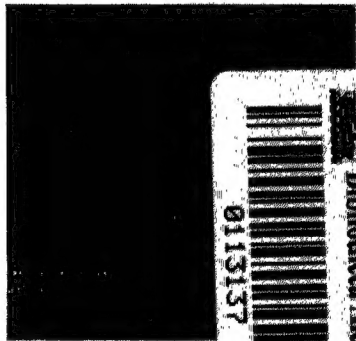
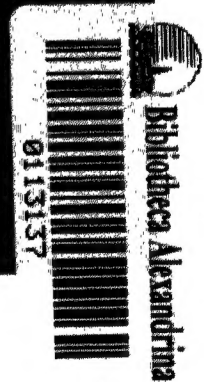


بيترمانقولد

تدخل الدول لعظمى في الشرق الأوسط



ترجمة
أرويس شيش



الطبعة الثانية

١٩٩٤



للدراسات والترجمة والنشر

دمشق - أوتومتراد المزة

هاتف ٨١٦١٢٦ - ٨٨٦٩٥١

تلكس ٤١٢٠٥٠

ص . ب : ١٦٠٣٥

العنوان البرقي

تلاسداز

TLASDAR

ربيع الذاريين مخصص
لصالح مدارس أبناء الشهداء في القطر العربي السوري

تدخل الدول العظمى
في الشرق الأوسط

جميع الحقوق محفوظة
لدار طلاس للدراسات والترجمة والنشر

بيترمانفولد

تدخل الدول العظمى في الشرق الأوسط



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

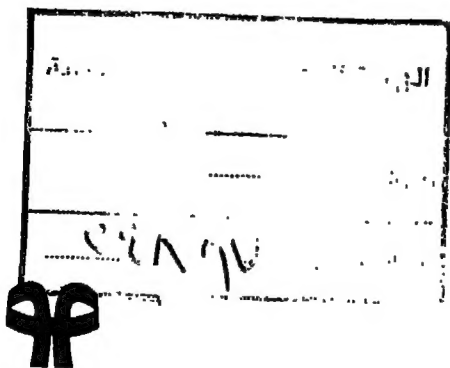
مجمع: أريب وكتيبين

الآراء الواردة في كتب الدار تعبر عن فكر مؤلفيها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

أصل الكتاب باللغة الإنكليزية

SUPERPOWER INTERVENTION IN THE MIDDLE EAST

PETER MANGOLD



CROOM HELM LONDON

الامتداء

إلى
الشهداء
والفدائيين
العرب

مقدمة الترجمة

- يروي هذا الكتاب قصة أحداث الشرق الأوسط في
الفترة الممتدة من عام ١٩٤٥ الى ١٩٧٥ :
- العدوان الثلاثي على مصر — ١٩٥٦ .
 - التطورات في اليمن ١٩٥٦ .
 - الأزمة السورية — تهديد جاراتها بالعدوان عليها —
١٩٥٧ .
 - نزول القوات الأمريكية في بيروت في عهد شمعون
— ١٩٥٨ .
 - حرب حزيران — ١٩٦٧ .
 - الأزمة السورية الأردنية — ١٩٧٠ .
 - حرب تشرين — ١٩٧٣ .

هذا بالإضافة الى إشارات الى حلف بغداد وتقسيم فلسطين والحرب القبرصية التركية وعلاقة إيران في عهد الشاه بالتمرد الكردي في العراق .

هذه الأحداث الخطيرة التي كان مسرحها الشرق الأوسط خلال الربع الثالث من هذا القرن يعرضها المؤلف « بيتر مانغولد » بإيجاز من زاوية التدخل العسكري فيها من جانب الدولتين العظيمين : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية . وهو يفعل ذلك في إطار دراسة أسباب هذا التدخل في كل مرة وطبيعته ، ومدى نجاح كل من الدولتين العظيمين فيه ، والعوامل التي كانت تقيدهما من داخل منطقة الشرق الأوسط ومن خارجها .

ومن الاطلاع على فصول هذه الأحداث المثيرة يجد القارئ أن الاتحاد السوفيتي كان يقف الى جانب قوى القومية العربية الصاعدة والحركات العربية الثورية ، أي الأقطار والمنظمات العربية « الراديكالية » ،

مثل: بقصر عبد الناصر وسورية ومنظمة التحرير الفلسطينية، واليمن. هذا بينما كانت الولايات المتحدة تساندة وتحمي الأنظمة «المحافظة» مثل نظام الملك حسين في الأردن، ونظام شمعون في لبنان الى جانب تأييدها وكيالتها الرئيسة «اسرائيل» والتزامها بحمايتها وضمنان بقائها.

هذا التمييز الواضح بين الموقفين والسياستين معزوف للجميع، ولاسيما الجيل الذي عاش هذه الأحداث أو رافقها وتأثر بها وأثر فيها. لكن الأهم بالنسبة للقارئ ما سيقف عليه من نتائج هذه الدراسة:

- ١- إن الولايات المتحدة ليست مطلقة اليدين في المنطقة. ولا تستطيع المضي في تأييد اغتصاب اسرائيل الحقوق العربية الى ما لا نهاية. كما أن سياستها العسكرية مقيّدة بعوامل كثيرة يجد القارئ بيانها في الكتاب.
- ٢- من الصعب على الاتحاد السوفيتي تقديم كل ما

يتطلبه العرب لإحراز نصر حاسم على اسرائيل وكفيلتها الولايات المتحدة من دون تعريض العالم لكارثة حرب نووية. هذا على الرغم من أنه استطاع في الماضي الدفاع عن المراكز العربية الحيوية وجنب العرب القبول بشروط اسرائيل المهينة.

٣- وهذا هو الأهم، إن هذا الصراع العربي الاسرائيلي تحت «المظلة النووية» سوف ينتهي بإعادة الحق العربي الى أصحابه عندما تتجمع القوى الذاتية العربية وتمنع الولايات المتحدة من دعم اسرائيل دعماً عسكرياً غير محدود. وعندئذ يزول أهم مبررين لممارسة الدولتين العظميين سياسة عسكرية في الشرق الأوسط: العدوان الاسرائيلي وضعف القوى الذاتية العربية.

وسوف يهتم القارئ بالاطلاع على وسائل السياسة العسكرية لدى الدولتين وظروف استخدامها: من التحذير الى التهديد الى نشر القوات ثم استخدامها عند اللزوم، الى اعلان حالة التأهب

القصى فى جمىع الأسلحة ومن ضمنها الأسلحة النووية ؛ وهذا الى جانب الإمدادات العسكرية الهائلة قبل الأحداث وفى أنائها وبعدها .

ولن يكون اهتمام القارئ ولا دهشته أقل حين يطالع على ثمن السياسة العسكرية الباهظ الذى دفعته الدولتان العظميان بصورة شتى .

وبعد فإننى أعتق أن قراءة هذا الكتاب سوف تهب القارئ بصيرة وقدرة على فهم الأحداث التى جرت بعد ذلك على ساحة الشرق الأوسط : كحرب الخليج والثورة الإيرانية وحرب لبنان الأهلية والغزو الاسرائيلي للبنان . كما سوف تجعله أقدر على فهم الأحداث التى قد تقع فى المستقبل ، وهذا هو الأهم .

ولا بد من الإشارة فى الختام الى أن المؤلف على الرغم من بحثه الموضوعي ينظر الى الأحداث من زاوية غربية تختلف عن نظرتنا إليها فى كثير من

الأحيان ، ولكن من المفيد الاطلاع الواعي على الآراء
المختلفة في معالجة قضايانا المصيرية على الساحة
الدولية . وهذا ما قصدنا اليه من ترجمة هذا الكتاب .

المترجم

مقدمة

(يشتهد الإغراء تحت المظلة النووية باستخدام القوات الاقليمية أو بشن الحروب بالوكالة) (١). هذا ما قاله الدكتور كيسنجر في عام ١٩٧٦. وكانت حجته، كما يُتوقع من وزير خارجية أمريكي، نموّ القوات السوفيتية التقليدية والبحرية والذرية، وامتداد (النفوذ العالمي) للاتحاد السوفيتي. ولو أراد كيسنجر البحث عن مبرر نظري لقوله لأمكن من دون شك أن يعثر عليه في كتابات الأدميرال «غوركوف» القائد الأعلى للأسطول السوفيتي. ولكن يمكن أن يضيف غوركوف وغيره من السوفييت ملاحظة: الحواشي مرتبة حسب التسلسل الرقمي في نهاية كل فصل.

(الناشر)

حجة أخرى الى حجة كيسنجر، فيشيروا بدورهم الى حجم القوات الأمريكية المنقولة، والى التاريخ الطويل لسياسات التدخل الأمريكي، الذي يمتد الى الأيام الأولى للحرب الباردة. ومهما اختلفت آراء الطرفين حول من منهما الذي يبادر الى التدخل، فإن هناك أدلة كثيرة على ما ذهب إليه كيسنجر من وجود سبل مختلفة للسياسة العسكرية مفتوحة للقوى العظمى، بالرغم من القيود الحقيقية التي يفرضها توازن الرعب النووي والتي تفرضها الحركات الوطنية الأفريقية الآسيوية خارج أوروبا.

ولعل أوضح مجال لممارسة السياسة العسكرية تحت المظلة النووية هو منطقة الشرق الأوسط، التي خضعت زمناً طويلاً لسيطرة القوى الأجنبية، وهي سيطرة طراً عليها تبدل هام خلال القرن العشرين. ففي أعقاب سقوط الامبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى حصلت بريطانيا وفرنسا من عصبة الأمم على الانتداب:

(بريطانيا) على العراق وفلسطين (وفرنسا) على سورية ولبنان. وعُقدت سلسلة من المعاهدات الثنائية فُرضت بموجبها قيود على السياسات الخارجية والداخلية لحكومات أقطار الشرق الأوسط، التي تتراوح في حجمها وأهميتها من مصر والعراق إلى مشيخات الخليج العربي. وكانت المصالح الاستراتيجية الامبريالية هي التي تملي هذه القيود. كما كانت تفرضها الحاميات المسلحة والجنود الأجانب التي يمكن في حالة الطوارئ تعزيزهم بقوات من الاحتياطي الاستراتيجي، إلى درجة أن السفير البريطاني كان حتى عام ١٩٤٢ يستطيع أن يطّوق قصر عابدين في القاهرة بالعربات المصفحة، وأن يخير الملك فاروق بين تشكيل حكومة موالية لبريطانيا أو التنازل عن العرش.

لكن بعد أربع عشرة سنة عجزت حملة انكليزية — فرنسية بشكل مهين عن الإطاحة بحكومة الرئيس جمال عبد الناصر. وفي عام ١٩٥٦ صار ميزان القوى بين

القومية العربية والامبريالية الأوربية يميل بشكل حاسم الى جانب الأولى، وأخذ يؤدي إلى سقوط الحكومات التي كانت الامبراطورية البريطانية تستند إليها عن طريق المعاهدات^(١). ويجعل القواعد البريطانية البرية والبحرية في وضع لا يمكن الدفاع عنه إزاء مزيج من الضغط السياسي ونشاط قوى المقاومة الوطنية المسلحة. لكن هذه العملية كانت طويلة وغير منتظمة، وأعطت عن القومية العربية صورة قوة غير كافية في ذاتها، وصورة عن ضعف القوى الامبريالية لأوربا ما بعد الحرب. بدأت هذه العملية في شرقي البحر الأبيض المتوسط عندما اضطرت فرنسا في ١٩٤٦ الى الاقرار بالاستقلال لكل من سورية ولبنان. وفي السنة التالية، تخلت بريطانيا عن مسؤوليتها الأولى عن تركيا واليونان وعن الانتداب على فلسطين. وفي عام ١٩٥٦، بعد سنوات من الشغب والاضطرابات، انسحبت القوات البريطانية من قاعدة منطقة قناة

السويس، وأخذ الجهد البريطاني منذ ذلك الحين يتركز بالدرجة الأولى في شبه الجزيرة العربية المحافظة ومنطقة الخليج. ولم تنسحب القوات البريطانية إلا في ١٩٦٧ من عدن، وفي عام ١٩٧١ انسحب معظم الوجود البريطاني من الخليج وذلك لأسباب تتصل بضعف الاقتصاد البريطاني أكثر منها بالسياسات الشرق أوسطية المباشرة.

لكن الانسحاب العسكري البريطاني لم يضع حداً للتورط العسكري الخارجي في الشرق الأوسط، وهو أمر كان في وسع أي مستمع إلى راديو القاهرة في أواسط الخمسينات أن يتوقعه. بل كان يعني تغيراً في هوية قوى التدخل وفي طبيعة التدخل العسكري الخارجي. كان التنافس الأمريكي - السوفيتي، الذي بدأ عقب هزيمة ألمانيا مباشرة، يجعل من المستحيل على منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الاستراتيجية أن تتجنب الانجرار إلى الحرب الباردة. وكان عدم الاستقرار الملازم للنظام السياسي

الشرق أوسطي، حين خرج من نظام الوصاية الامبريالية،
شديداً إلى درجة دفعت سائر دول المنطقة الى البحث
بسرعة في خارج المنطقة عن السلاح والحماية. ولم يكن
بين هذه الدول تلك الدول المحافظة فقط التي كانت
لا تزال كثيرة العدد، والتي كانت تبحث عن شكل من
الدعم بديل للدعم البريطاني السابق، بل كان بينها تلك
الأنظمة الوطنية، وفيها مصر عبد الناصر، التي كانت
تخشى التدخل الأوربي، والتي أصبحت أيضاً بصورة مباشرة
طرفاً في النزاع العربي - الاسرائيلي.

من أجل هذا كان الظهور العسكري الأول في
منطقة الشرق الأوسط للأمريكيين، ثم للسوفييت تحت
ستار توفير الحماية وبيع السلاح. وكانت القواعد الكبيرة
والمعاهدات (غير المتكافئة) قد وُلِّتْ، وصار من
المستحيل الرجوع اليها كما دلت التجربة السوفييتية في
مصر. وأصبح التدخل العسكري المباشر ظاهرة نادرة

وخطرة، لا يُلجأ إليه أبداً من دون الاستعانة بخلفاء من المنطقة. وكانت القوتان العظميان تعتمدان اعتماداً كبيراً على توافر «المدخل العسكري». أعني: الممثلين المحليين — كالدول والتجمعات الحليفة، وحركات التمرد، التي كانت تجمعها بها مصلحة مشتركة، والتي كان يمكن من خلالها إدخال أشكال متعددة من النفوذ العسكري إلى المنطقة. وكان هذا يتم في معظم الأحيان بشكل غير مباشر بنقل الإمدادات العسكرية إلى ذوي العلاقة في محاولة لإقامة توازن قوى في المنطقة. وكان يعني بالدرجة الأولى نقل الأسلحة^(١٣). لكنه كان يتضمن أيضاً نقل المهارات والتقنيات العسكرية، وتقديم المعونة الاقتصادية لأغراض تتصل بالأمن، وتشكيل التنظيمات الأساسية العسكرية وتقديم المعلومات. وصلت هذه الإمدادات إلى كل دولة مستقلة في منطقة الشرق الأوسط، مع التركيز على قوى المنطقة الرئيسة التي كانت الدولتان العظميان ترغبان في

تحويلها الى وكلاء عسكريين محليين ، كما وصلت أيضاً إلى دول المواجهة الأخرى في الصراع العربي - الإسرائيلي ، وإلى الدول الإسلامية غير العربية المخاضية مباشرة للاتحاد السوفيتي . ونظراً لانعدام الاستقرار في المنطقة ، ولأن إسرائيل وحدها كانت تملك صناعة أسلحة متطورة ، ولعدم وجود أقطار ذات مجتمعات قادرة مباشرة على استعمال الأسلحة المعقدة ، كان الطلب شديداً جداً على كل أشكال الإمدادات العسكرية من الدول العظمى . وكان نقل الإمدادات العسكرية يتم في بعض الحالات بطريقة تؤدي إلى زيادة حقيقية في الامكانيات العسكرية للدول المعنية ، وفي حالات أخرى كانت هذه الموارد في حقيقة الأمر ذات طابع رمزي يُقصد منها طمأنة الحكومات المحلية أو ردع خصومها وتخويفهم من خلال التظاهر بالدعم أو إقامة توازن للقوى على الورق ، لكن من دون قيمة عسكرية حقيقية .

وكانت كثرة من دول الشرق الأوسط ترحب بالالتزامات العسكرية التي كانت تصحب أو يؤمل أن تصحب نقل الإمدادات العسكرية، لكنها لم تكن ترغب، في أغلب الأحيان، في أن تبلغ هذه الالتزامات درجة الوجود العسكري الخارجي على أرضها بشكل دائم. كما أن القوتين العظميين، ولاسيما الولايات المتحدة، لم تكونا هما أيضاً راغبتين دائماً في توسيع التزاماتهما وتورطاتهما العسكرية. ولكن مبدأ العون الذاتي أو الاعتماد على النفس عسكرياً كان في أغلب الأحيان أقرب إلى الحلم منه إلى الحقيقة، ولذلك كان لزاماً على الدولتين العظميين استخدام قواتهما العسكرية الخاصة أيضاً لدعم أهدافهما السياسية في الشرق الأوسط. أما ممارسة القوة العسكرية، أي استخدام القوة للهجوم أو الدخول في نزاع مسلح مع دول المنطقة أو الحركات العسكرية، فلم تكن تجري دائماً. إذا استثنينا مشاركة السوفييت في قيادة جهاز

الدفاع الجوي المصري من ١٩٧٠ الى ١٩٧٢ .

لكن ممارسة النفوذ العسكري بوساطة التهديد بالتدخل العسكري أو بالوعد بالدعم كانت أكثر أهمية من التدخل العسكري المباشر، وكان التعبير عن ذلك بشكل دائم يتم بسلسلة من المعاهدات الأمنية والتصريحات أو المبادئ والالتزامات الدفاعية الضمنية أو المفترضة، وبوجود بعض القواعد الصغيرة نسبياً في الأماكن المعنية .

وكانت الدول العظمى ، في الفترات التي يبدو فيها الصراع العسكري وشيك الوقوع وينذر باتخاذ مجرى ضار جداً بأحد الزبائن، تعتمد إلى تحذيرات مباشرة أشد بإمكان التدخل العسكري . وكان يجري تأكيد هذه التحذيرات في العادة بوضع القوات في حالة التأهب خارج منطقة الشرق الأوسط . وكان كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي يعتمد إلى تحريك السفن، والجيش

والطائرات والى زيادة حالة التأهب في مختلف القوات التقليدية، والقوات النووية أيضاً، لكي تعبر إحداهما للأخرى، وكذلك لدول المنطقة عن نواياها الجديدة في التدخل العسكري، إذا لم تلَبَّ مطالبها السياسية المحددة . ونجد شرحاً لمبررات هذه الأساليب التهديدية، فيما قاله الأميرال رادفورد :

بما أن التخطيط العسكري الجيد يتطلب أن تكون قدرات الخصم أول ما ينبغي التفكير فيه عند تحديد سبل العمل، لابد للسوفييت من تقويم اختياراتهم ضمن ظلال وجودنا العسكري المتقل . وتتطلب الحكمة منهم أن يتنبهوا لكل الامكانيات التي تنطوي عليها نزعاتنا المتغيرة، وأن يوجهوا أفعالهم تبعاً لذلك . ويمكن اتخاذ حتى التغيرات في المواقع الجغرافية والتصرفات والسرعات كمؤشرات تحدّد بها بلا غموض درجة اهتمامنا بحالات معينة من التوتر المتزايد^(١) .

بيد أنه لم تكن كل أشكال سياسة التهديد تنطوي على مواجهة بين الدولتين العظميين أو على تحريك القوات العسكرية، وكانت الاشارات التي يمكن نقلها، مع التقدير «للجنرال رادفورد»، تتراوح بين الإشارات المحددة جداً، والإشارات الغامضة عن عمد التي تسمح بشيء من الخداع. لهذا نجد أن الشكل من الدبلوماسية، القائم على التهديد باللجوء إلى القوة لإكراه الخصم، كان يزود الدولتين العظميين بأداة سياسية فعالة ومرنة جداً، أداة، عندما تستعمل بعناية، تعطي مكاسب سياسية فائقة مقابل مخاطر يسهل التغلب عليها.

بهذه الصورة، وعلى الرغم من التصاعد المتزايد للقومية المحلية وانسحاب الوجود العسكري الأوروبي، وخطر المواجهة النووية، ثابرت قوى التدخل على القيام بدور عسكري بارز في الشرق الأوسط، ولم تكن الدولتان العظيمتان لتسيطران على سياسات الدول الإقليمية كما كان

يفعل أسلافهما من الدول الأوربية: لم يحلّ سلام أمريكي أو سلام سوفيتي محل السلام البريطاني^(١) في الخليج في السبعينات. كان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يسعيان الى ممارسة النفوذ لا القوة، لكن كلتا الدولتين العظميين استخدمتا السياسة العسكرية بدرجة ملموسة. لماذا فعلتا ذلك، وإلى أية درجة نجحتا في دعم مصالحهما الخاصة ومصالح الدول الزبائن لهما، وكيف كانت تقيدهما عوامل نابعة من منطقة الشرق الأوسط وعوامل أخرى من خارج الشرق الأوسط؟ هذا هو موضوع هذه الدراسة عن سياسة التدخل تحت المظلة النووية.

حواشي المقدمة

- ١ — مجلة البقاء (Survival) ايلول — ت ١ ١٩٧٦ ، ص ص ١٩٦ — ١٩٧ .
- ٢ — عنوان كتاب ألقه : م . أ . فيتسيمونز .
- ٣ — لكن نقل الإمدادات العسكرية لايتضمن بيع الأسلحة لأسباب تجارية بالدرجة الأولى ، على الرغم من أنه يصعب بطبيعة الحال فصل الدوافع الاقتصادية عن الدوافع السياسية .
- ٤ — صحيفة نيويورك تايمز ، ١٦ شباط ١٩٧١ .
- ٥ — (Pax Britannica) — السلام البريطاني الذي كان الاستعمار البريطاني يفرضه (المترجم) .

الفصل الأول

أهمية الشرق الأوسط

أهمية الشرق الأوسط من الموضوعات المطروقة فيما يُكتب عن السياسة الدولية، بسبب النفط والاستراتيجية، وعدم الاستقرار الإقليمي. يصدق هذا، بصورة إجمالية، على نهاية الحرب العالمية الثانية، مثلما يصدق على أواسط السبعينات. لكن لدى إمعان النظر يظهر أنه قد طرأت تبدلات هامة على دور المنطقة في النظام الدولي، وعلى مبرر سياسات التدخل فيها في فترة الثلاثين سنة المنصرمة.

نتجت هذه التبدلات، خارج المنطقة، عن تحول في مركز القوى الدولية، وتبدلات في تكنولوجيا الأسلحة وتزايد أهمية النفط كمصدر للطاقة. كما نتجت، داخل الشرق الأوسط، عن التحول السريع في أشكال التوترات الإقليمية وعن تزايد القوة الاقتصادية والسياسية للدول المنتجة للنفط.

وكان أشد هذه التبدلات لفتاً للنظر بروز أقطار في الشرق الأوسط كممثلين مستقلين في الشؤون الدولية، أقطار ينبغي كسب ودها بسبب نفوذها المستقل بدلاً من إخضاعها واستغلالها من أجل مواردها الاقتصادية أو من أجل موقعها الاستراتيجي الثابت، كما كان الحال من قبل. وترجع جذور القاعدة السياسية لهذا التطور إلى بروز الحركة القومية. أما أصوله الاقتصادية فنجدتها في ازدياد الاستهلاك العالمي للنفط بشكل يلفت النظر. ففي ١٩٣٨ بلغ انتاج الشرق الأوسط من النفط ١٦٢ مليون طن متري^١. أي ٧٧ بالمائة من الانتاج العالمي. وفي ١٩٦٣ بلغ الانتاج ٣٩٠ مليون طن متري، أي ٣٤٧ بالمائة من الانتاج العالمي. وبعد عشر سنوات قفز الانتاج الى ١٢١٠ مليون طن متري، وصار يساوي عندئذ ٥١٣ بالمائة من الانتاج العالمي^٢. ويزداد وضوح هذه الأرقام عندما ينظر إليها لا من زاوية الزيادة العالمية في معدلات النمو الاقتصادي في الخمسينات والستينات، التي أمكن تحقيقها الى حد كبير بسبب توافر نفط الشرق الأوسط الرخيص، لكن من زاوية الزيادة في استخدام النفط كمصدر للطاقة أيضاً. فبينما كان النفط في عام ١٠٠٠ كغ من السوائل. (الناشر).

١٩٦٠ يمثل ٣٩ بالمائة من مجموع استهلاك الطاقة لدول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، ارتفع هذا الرقم في عام ١٩٧٣ الى ٥٣ بالمائة^{١٢}. يضاف الى هذا أن الشرق الأوسط كان يحتوي على الجزء الأعظم من الاحتياطي العالمي الثابت من النفط. وفي عام ١٩٧٤ ارتفع الرقم الى ٦٠٫٨٥ بالمائة. وكانت العربية السعودية وحدها تملك ٢٤٫٢ بالمائة من الاحتياطي العالمي الثابت من النفط، والكويت ١١٫٤ بالمائة، وإيران ٩٫٢ بالمائة. ومع الزيادة في انتاج النفط جاء تراكم الثروات، فأصبح لدى الكويت منذ أواسط الخمسينات مبالغ ضخمة من الأموال بالعملات الأجنبية، وكانت مثاراً لبعض القلق بالنسبة للسلطات في لندن. وفي ١٩٦١ أنشأت أمانة الكويت صندوق الكويت للتنمية الاقتصادية العربية. وكانت الكويت مثلاً لما سوف يحدث في سائر منطقة الخليج في السبعينات. وبعد أن ظل سعر النفط مستقراً خلال فترة تزيد على ١٥ سنة، أخذ يرتفع في عام ١٩٧٠، ثم بلغ أربعة أضعاف سعره في حرب تشرين (يوم الغفران). وقد نتج عن ذلك انتقال مفاجيء للثروة أبعد ما يكون عن اشاعة الاستقرار، من أيدي مستهلكي النفط الى أيدي المنتجين الذي تراكم لديهم فائض في ميزان المدفوعات بلغ حوالي

٦٠ بليون دولار في ١٩٧٤^(١١). وبعد زوال موجة الذعر الأولى أخذ يظهر أن بالامكان في الحقيقة علاج انتقال ميزان القوى الاقتصادي من المستهلكين الى المنتجين من دون التعرض لأزمة اقتصادية عالمية. لكن الشرق الأوسط كان قد أثبت بشكل درامي قدرته على تقويض النظام الاقتصادي العالمي، كما أن مستقبل كثير من منتجي النفط كان قد تبدل تبديلاً جذرياً. فتلك الأقطار الخليجية التي كانت مداخيلها تزيد على موازنة التنمية وموازنة الدفاع فيها، ولاسيما المملكة العربية السعودية، صار لها فجأة نفوذ دولي كبير^(١٢) وصار في حوزتها وسائل للتأثير في التطورات الاقتصادية والسياسية داخل الشرق الأوسط وخارجه — في العالم الثالث — من خلال تقديم العون المالي^(١٣)، وفي المؤسسات الدولية الاقتصادية الرئيسة، وفي الدول الصناعية أيضاً سواء بفضل الاستثمارات الاقتصادية أم بإشهار ما يدعى (سلاح المال)^(١٤).

لكن في أواسط السبعينات كان ظهور الشرق الأوسط كمثل مستقل في النظام الدولي مقصوراً بالدرجة الأولى على الشؤون الاقتصادية، وكان جانب كبير من ثروة المنتجين النفطية

في سبيله إلى أن يوظف في مشروعات التنمية . وبينما كانت هناك برامج أساسية للتوسع في النواحي العسكرية في أقطار الشرق الأوسط ، لم يكن هناك سوى القليل من هذه الأقطار قد برز كقوة عسكرية ذات أهمية إقليمية لا أكثر^{١٠} . هذا وقد تناقصت الأهمية الاستراتيجية للمنطقة بعض الشيء بالقياس إلى أهميتها الاقتصادية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . في عام ١٩٤٧ كان رؤساء الأركان البريطانيون يرون أن الشرق الأوسط سيكون في حالة نشوب حرب واسعة مسرحاً استراتيجياً (يلي المملكة المتحدة في الأهمية أو ربما يعادها)^{١١} . لكن البريطانيون كانوا لا يزالون عندئذ يفكرون في حرب تقليدية ، وصارت أهمية الشرق الأوسط في العصر النووي موضع شك أكبر . ولم تلبث السرعة الكبيرة في سباق التسلح أن حولت قاذفات القنابل الأنكلو — أمريكية والصواريخ الأمريكية ، التي كانت تستخدم قواعد الشرق الأوسط في الخمسينات وأوائل الستينات ، إلى سلاح عتيق . ولم يكن هناك سوى عدد قليل من الغوصات المزودة بالصواريخ عابرة القارات منشوراً في البحر الأبيض المتوسط والبحر العربي الذي أصبح بعد ١٩٦٤ منطقة لنشر القوات ذات إمكانات كبيرة ، إليه لم تستعمل إلا نادراً^{١٢} . وقد استخدمت الولايات

المتحدة عدداً من مرافق الاستطلاع الالكترونية الهامة في الشرق الأوسط كعنصر مساعد في التوازن النووي المركزي، وكانت هذه المرافق تتألف من وصلة رئيسية بجهاز الرادار الأمريكي المخصص للأنذار المبكر، ومن عدد من مواقع التنصت التي كانت المصدر الأولي الذي يستقي الأمريكيون منه معلوماتهم عن تطور الصواريخ السوفيتية. وعن التزام السوفييت بمعاهدة سالت لعام ١٩٧٢. وكذلك لم يلعب الشرق الأوسط إلا دوراً ثانوياً في التوازن التقليدي بين الشرق والغرب بالنسبة للدفاع عن حلف شمال الأطلسي وعن الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي. كانت الهجمات العسكرية الخارجية تلقى حتماً الاهتمام من جانب واضعي الخطط الدفاعية في كل من الاتحاد السوفيتي والدول الغربية، على الرغم من أنه من المشكوك فيه أن يكون الاتحاد السوفيتي قد تعرض لأي تهديد تقليدي حقيقي من جانب الشرق الأوسط. فحلف بغداد الذي كان ثمرة لعدة سنوات من المحاولات من جانب بريطانيا والولايات المتحدة لتنظيم حلف عسكري معاد للسوفييت في الشرق الأوسط قد ثبت أنه ولد ميتاً. وربما كان لدى الحلف الأطلسي مبرر أقوى للقلق عندما أنشأ الاتحاد السوفيتي في الستينات الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض المتوسط، وعندما

حاول تعزيز البنية الأساسية لقاعدة سوفيتية بمحاذاة شواطئ الحلف الجنوبية الشرقية. فقد كان لهذا مغزى عسكري وسياسي معاً، إذ خلق الوجود السوفيتي الاحساس لدى بعض أعضاء الحلف في جنوبي أوروبا بأنهم مطوّقون^{١١١}. وأثار مسألة قدرة الأسطول السادس على دعم هذه الأقطار في زمن الحرب، وهدد بتقويض الثقة في ضمانات الحلف الأطلسي لكل من تركيا واليونان، وإيطاليا إلى حدّ ما، وبهذه الصورة أضعف الحلف بمجموعه. وكانت القوات الجوية التركية واليونانية والإيطالية تُعتبر حتى في ظروف زمن السلم أقلّ قدرة من القوات الجوية السوفيتية المستخدمة في مصر والمرتبطة بوحدات حلف وارسو الموجودة في بلغاريا^{١١٢}. وقد كان من المفروض أنه يمكن في حالة حرب أو أزمة إرسال المزيد من الطائرات السوفيتية بسرعة إلى مطارات مصر وشمال أفريقيا وبهذه الصورة يمكن القضاء على الميزة التي يتمتع بها الأسطول السادس على الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض المتوسط وهي وجود قوة جوية فيه، مما يؤدي بالضرورة إلى إضعاف الغطاء الجوي لحدود الحلف الأطلسي بتغيير اتجاه طائراته من الجناح الشمالي والركزي إلى الجناح الجنوبي^{١١٣}. لكن هذا التهديد كان، كما جرى الاعتراف به، في حيّز الامكان ولم يكن

تهديداً مباشراً، وقد زال مع خروج القوات السوفيتية من مصر عام ١٩٧٢ .

كانت خطوط المواصلات العسكرية إلى أفريقيا وآسيا والمحيط الهندي هي الأكثر أهمية، وكان الشرق الأوسط خطأً للمواصلات حيواً للامبراطورية البريطانية، وظل كذلك في التفكير العسكري البريطاني طوال بقاء الوجود العسكري البريطاني (شرقي السويس) . لكن الشرق الأوسط كان بالنسبة للأمريكيين نهاية طريق ولم يكن طريقاً رئيساً إلى أماكن أخرى . فالطريق البحري من بيرل هاربور إلى الخليج العربي أطول من الطريق من الساحل الشرقي لأمريكا إلى الخليج العربي عبر السويس ؛ ١١٠٠ ميل فقط . وحتى عندما أخذ أسطول الولايات المتحدة في أوائل السبعينات يبدى اهتماماً أكبر بالمحيط الهندي لم يكن يدخل في حسابه تعزيزات من البحر المتوسط^{١١١} . ومع انسحاب بريطانيا من (شرقي السويس) ونمو المقدرة السوفيتية على التدخل بعيد المدى في أواخر الستينات، انتقلت خطوط المواصلات الاستراتيجية عبر الشرق الأوسط من محور شرق-غرب إلى محور شمال-جنوب . وتركز جانب كبير من انتباه الغرب في

قناة السويس التي أدت إعادة فتحها في عام ١٩٧٥ إلى تقصير مدة الانحار ٢٤ يوماً بين البحر الأسود والبحر العربي، وإلى تقصير المدة بين أوديسا وبومبي من ٤١ يوماً بطريق الكاب إلى ١٦ يوماً بطريق القناة^(١٠٠)، وكانت قناة السويس هي الطريق المفضل لتعزيز الأسطول السوفييتي في المحيط الهادي^(١٠١). كما أنها كانت تزود الاتحاد السوفييتي بطريق بديل للمواصلات إلى تلك الأجزاء من روسيا الواقعة في الشرق الأقصى، لأن الطريق البري الوحيد إلى تلك الأجزاء معرض لتدخل صيني ممكن^(١٠٢). لكن في أواسط السبعينات كانت هناك دلائل توحي بأن حجم أسطول البحر الأسود قد لا يسمح له بخدمة المحيط الهندي^(١٠٣) وأنه يجب على خطط الدفاع السوفييتية أن تأخذ في الاعتبار دائماً أن بالامكان إغلاق القناة بسهولة في حالة الطوارئ. لكن الذي لفت النظر أكثر بصورة مباشرة استخدام محطات الهبوط ومستودعات التخزين في الشرق الأوسط منذ أوائل الستينات لدعم أفريقيا ومنطقة المحيط الهندي^(١٠٤) فاستخدمت المرافق العسكرية في مصر لدى نقل الامدادات الجوية إلى اليمن عام ١٩٦٨^(١٠٥). والسودان عام ١٩٧١^(١٠٦). وإلى الهند في أثناء الحرب الهندية — الباكستانية عام ١٩٧١^(١٠٧).

وعلى مستوى تقني أعلى أخذ الشرق الأوسط يؤثر تأثيراً كبيراً في تطوير أنظمة الأسلحة التقليدية والفكر العسكري. نشأ هذا من حجم المعدات العسكرية الكبير التي طلبتها الأقطار الشرق أوسطية، ومن زيادة تعقيد الأسلحة المستخدمة في ميدان القتال في الشرق الأوسط. فاستغل الفرنسيون في الخمسينات الصراع العربي- الاسرائيلي لاختبار أسلحتهم في ظروف المعركة مقابل الأسلحة السوفيتية ولتخفيض سعر الوحدة بالنسبة لأسلحتهم الخاصة؛ وقد خفّضت الطلبات الاسرائيلية ثمن بعض الطائرات الفرنسية بمقدار ثلثه تقريباً^(١٣). وسار الأمريكيون على هذا النهج بعد عشر سنوات حين طوّروا بعض الأسلحة خصوصاً لاستخدامها من قبل اسرائيل بشرط تزويد الولايات المتحدة بمعلومات مفصلة عن مدى نجاحها في المعركة^(١٤). وقد حصلت الأقطار الغربية أيضاً على معلومات ثمينة بعد استيلاء الاسرائيليين على أسلحة سوفيتية متقدمة جداً. وفي عام ١٩٧٣ قدّمت حرب تشرين (يوم الغفران) بياناً جلياً عن قدرة الانجاز لمجموعة كاملة من التقنيات العسكرية الحربية الجديدة التي وُضعت في الخدمة على مدى الأعوام العشرين السابقة. وكانت «الدروس» المستفادة منها موضوعاً لمناقشات عالمية واسعة في

الشرق والغرب على السواء^(١٢٠)، أسفرت عن نتائج انعكس بعضها على تكتيك الحلف الأطلسي، وعلى تركيب قواته بعد أقل من عامين^(١٢١).

وتكمن الأهمية السياسية الأوسع لتصعيد الصراع العربي - الإسرائيلي بعد أواسط الستينات في بروز المنطقة بصورة المسرح الأولي لتنافس الدولتين العظميين. فأخذت كل منهما تمنح زبائنها في الشرق الأوسط الأولوية في موضوع تسليم الأسلحة على حساب حليفاتها الأوربيات^(١٢٢)، وتغير انتباهها جدياً إلى أن الشرق الأوسط يمكن أن يجرها إلى مواجهة نووية. والحقيقة أن (بيان المبادئ)^(١٢٣) الذي أصدره «نيكسون وبرنجنيف» في عام ١٩٧٢ كان يُقصد به عندئذ الشرق الأوسط بصورة خاصة^(١٢٤). وعلى هذا كان من الممكن النظر إلى الشرق الأوسط كأحد الميادين الرئيسة لاختبار الوفاق. وأدى عجز السوفييت قبل حرب تشرين عن التقيد بالمبادئ الموضوعية في السنة السابقة إلى تساؤلات جدية في الولايات المتحدة حول مفهوم الوفاق. وأكد معضلة أساسية لديهم وهي وجوب تهيئة بين الأحظار السياسية الناشئة عن عجزهم عسكرياً عن دعم الأصدقاء الموجودين والحركات «التقدمية» بصورة عامة. ونخبر الأوسع الناشيء عن

تقويض وضع التعايش الذي كانت موسكو تحتاج إلى التوصل إليه مع واشنطن في سبيل التقليل من خطر حرب نووية . وكانت كل جولة من الصراع العربي الاسرائيلي تضع الالتزامات موضع تساؤل — رغبة كل من واشنطن وموسكو في دعم زبائنها ومقدرة كل منهما على ذلك . وقد شكلت

النقطتان عاملاً سيكولوجياً في توازن القوى بين الشرق والغرب ، كما كانا تراقبان عن كثب في عاصمتي الدولتين العظميين للتعرف على ملامح من مزاج الخصم ، وتصميمه ، وما ينوي عمله في المستقبل وما تنطوي عليه هذه من المعاني في نظر الآخرين . وهذه الأخيرة كانت نقطة ذات حساسية خاصة ، ومعرضة لرد فعل شديد . ففي أثناء حرب تشرين ، كانت أفعال معظم الحكومات الأوربية توحى بأنها لم تكن تقبل بوجهة نظر إحدى الصحف البريطانية التي ذهبت إلى أن الحرب قد تجاوزت كثيراً كونها قضية شرق أوسطية محلية عندما صارت نتائجها تتوقف على أي من كفتي الطرفين سوف يرهن على أن لديه من الوسائل العسكرية ما يتيح له أن يثبت في ميدان المعركة ؛ ثم مضت إلى القول إن الاسرائيليين ، كالأوربيين ، يعتمدون في البقاء على الولايات المتحدة^{١٠٠} . لكن رأي صحيفة «الايكونوميست»

كان مطابقاً حقاً لرأي واشنطن، وقد قال الدكتور كيسنجر فيما بعد في مقابلة له مع صحيفة الأهرام: (إن الولايات المتحدة، لأسباب تتعلق مباشرة بميزان القوى بين الدولتين العظميين، لا تستطيع السماح للأسلحة السوفيتية بإحراز نصر كبير على الأسلحة الأمريكية — وإن لم يكن نصراً حاسماً^(٣٣)). وكذلك كان للهزيمة المستمرة للقوات المجهزة بمعدات سوفيتية أمام القوات المجهزة بمعدات أمريكية بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٠ انعكاس سيء على سمعة التدريب السوفيتي، وأوحت أن الاتحاد السوفيتي متخلف عن الولايات المتحدة في بعض فروع التكنولوجيا العسكرية^(٣٤). وكان لأمثال هذه الأحكام مضامين خطيرة بالنسبة للمسرح الأوربي المركزي^(٣٥). وكانت تثير في العالم الثالث شكاً حول الرغبة في تفضيل الامدادات العسكرية السوفيتية على الأمريكية. إن سمعة الدولة العظمى، بمعنى صورة القوة، كانت بهذا الشكل داخلة في الصراع العربي — الاسرائيلي، وقد تبين أن الشرق الأوسط كان مقياساً صالحاً لحظوظ المنافسة بين الدول العظمى.

إذن: قلما توجد دولة ليس لها نوع من المصالح في الشرق

الأوسط . إن التركيب الاقتصادي ، وفي النهاية التركيب السياسي ، للنظام الدولي يعتمد اعتياداً كبيراً على توافر إمدادات النفط باستمرار من الشرق الأوسط ، بالدرجة الأولى ، وعلى السعر الذي يمكن به شراء هذا النفط بالدرجة الثانية . ويرتبط توازن القوى الشامل بين الشرق والغرب بدرجة الصراع بين عدد من دول الشرق الأوسط الرئيسة وبانحيازها الدولي . لكن مستوى الاعتماد الخارجي ليس واحداً أبداً ، إذ تؤثر التبدلات في مستويات الأسعار تأثيراً مباشراً في جميع الأقطار المستوردة للنفط . وقد لعبت دول الشرق الأوسط الأعضاء في منظمة الأوبك (OPEC) دوراً حاسماً في حدوث هذه التبدلات . لكن الدول الصناعية والدول السائرة في طريق التصنيع لا تعتمد كلها بصورة خطيرة على نفط الشرق الأوسط . يضاف إلى هذا أن أشكال الاقتصاد المختلفة ليست على درجة واحدة من حيث القدرة على التكيف مع تبدلات الأسعار أو الخلل في الإمدادات ، ولا من حيث تأثير هذا الخلل في الأنظمة السياسية . فيمكن افتراض أن بعض هذه الأقطار يستطيع احتمال قدر من البطالة أكبر ، ودرجة من الكساد أشد مما في وسع الأقطار الأخرى احتماله ، على الرغم من أن مستوى الخلل في الإمدادات الذي شهدته الأقطار المستوردة

للنفط في ذروة حرب تشرين لم يكن كافياً لاختبار صحة هذه الافتراضات .

من المفيد إذن أن نُمَيِّز بين عدد من الأمور لدى مناقشة ما للدول — منفردة أو منضمة في مجموعات — من مصالح في الشرق الأوسط . هناك أولاً التمييز بين المصالح المباشرة، أي الاعتماد اليومي على إمدادات نفط الشرق الأوسط، والمصالح غير المباشرة، أي الاستعداد للتعرض، في فترة يشهد فيها الاعتماد المتبادل العسكري والاقتصادي، إلى الخسارة أو الضرر نتيجة لارتباطات مع دول أخرى لها مصالح مباشرة في الشرق الأوسط وقد أشرنا إلى هذا إشارة ضمنية من قبل . فلم يكن في وسع سوى أقطار قليلة أن تأمل في النجاة من عواقب الأزمة المصرفية الدولية التي خشي منها البعض في ١٩٧٤ نتيجة للمشكلات التي نشأت عن الحاجة إلى إعادة توظيف عائدات النفط من الدولارات (أو ما يسمى البترودولار) . وهناك، ثانياً، مصالح أهم من مصالح أخرى بصورة واضحة . فهناك تمييز بين تلك المصالح التي توصف غالباً بأنها حيوية، وتلك التي ليست كذلك، والمصالح الحيوية هي تلك المصالح الضرورية لكي تتمكن الدولة من أداء الوظائف الأساسية لوجودها: مثل الأمن، والمحافظة على القانون والنظام،

وبقاء نظام سياسي أو اجتماعي معين . أما المصالح غير الحيوية التي يمكن تسميتها (رغبات) ، فتشمل زيادة أملاك الدولة وتحسين مركزها الدولي لأسباب تتعلق بزيادة الثروة أو البحث عن المكانة ، أو السعي وراء منافع الأقليات . وهناك بالإضافة إلى هذا مصالح مشتقة ، وهي السمعة والصيت والشهرة ، وهذه مرتبطة بالتزامات أو تورطات مسبقة في المنطقة .

والأقطار ذات المصالح الحيوية في الشرق الأوسط لا تنحصر في مجموعة دول أوروبا الغربية المعروفة واليابان . فكثير من الأقطار النامية في العالم الثالث حساسة بشكل خاص لمستوى أسعار النفط ، وقد قُدِّرَ مادفعته أقطار من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية في عام ١٩٧٥ لقاء ما استوردته من النفط بحوالي ١٠ بلايين دولار في السنة ، زيادة على ما كانت تدفعه قبل ارتفاع الأسعار في عام ١٩٧٣ ، وهو رقم يمثل حوالي ١٧ بالمائة من مجموع الانتاج الوطني العام فيها كلها^(٣) . يضاف الى ذلك أن لعدد من أقطار العالم الثالث وجنوبي أوروبا مصالح أمن مباشرة وغير مباشرة في المنطقة . فقد أثر النزاع العربي الاسرائيلي تأثيراً عسكرياً في بعض الدول الأفريقية ابتداء من عام ١٩٦٠ حين بدأت اسرائيل تقيم علاقات وثيقة مع الحبشة ، وأخذت

الاستخبارات الاسرائيلية تعمل في عدد من الأقطار حديثة الاستقلال في أفريقيا السوداء^(٣٢). وفي عام ١٩٧٦ أظهرت حادثة تافهة، ولكن جرى تضخيمها جداً، أن عنتية كانت في متناول القوة الجوية الشرق أوسطية. وكانت أقطار الشرق الأوسط متورطة أيضاً في المنافسات المعقدة في القرن الأفريقي، بينما، في الشرق، أثرت قوة إيران العسكرية المتزايدة في المنافسات القائمة في شبه القارة الهندية؛ ويمكن القول إن لأقطار أخرى كثيرة مصالح غير مباشرة في الشرق الأوسط، لأن أمنها واستقلالها يعتمدان على توازن القوى الشامل بين الشرق والغرب. كما يعتمدان، بصورة مباشرة أكثر في بعض الحالات، على قدرة كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، أو رغبتهما في استخدام الشرق الأوسط بغيرية لأغراض المرور العسكري والنشر المتقدم للقوات. ولدى أقطار البحر الأبيض المتوسط قلق واضح بصورة خاصة حول هذا الموضوع ظهر في الاقتراح الذي كانت كل أقطار البحر الأبيض المتوسط، ماعدا اليونان وتركيا وإيطاليا، تتقدم به لإخراج كل من الاسطول السادس والأسطول السوفييتي. وأبدت يوغوسلافيا اهتماماً خاصاً بهذا الأمر. فعلى الرغم من أن بلغراد أيدت السياسة السوفييتية في الشرق الأوسط

بعد حرب الأيام الستة خوفاً من أن يسيء سقوط عبد الناصر إلى
فعالية سياسة عدم الانحياز التي تتبعها^(٣٧)، أبدى اليوغوسلافيون،
مثل الرومانيين والهنغارين كذلك، قلقهم من أن تسبب لهم
المواجهة بين القوتين العظميين في الشرق الأوسط ضغطاً أشد من
جانب الاتحاد السوفيتي. وقد أجرت كل من رومانيا ويوغوسلافيا
تدريبات عسكرية خلال حرب تشرين على سبيل الاستعداد،
وذلك فيما يظهر بسبب حالة التوتر إزاء النوايا السوفيتية^(٣٨).

إن ما يميز مصالح الدول الصناعية كاليابان وأوروبا الغربية في
الشرق الأوسط عن مصالح أقطار العالم الثالث^(٣٩) وعن مصالح
الدولتين العظميين أيضاً، هو اعتمادها الشديد على إمدادات نفط
الشرق الأوسط. فلكل من اليابان وأوروبا الغربية مصالح مباشرة
وحيوية في الشرق الأوسط، مصالح اقتصادية في المقام الأول،
لكنها تتضمن أيضاً عنصراً استراتيجياً هاماً. ولليابان وضع يلفت
النظر بشكل خاص. فقد بلغت كميات النفط التي استوردتها
اليابان في ١٩٦٣ من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٣٢ بالمائة
من مجموع الطاقة المستهلكة فيها؛ وفي عام ١٩٧٢ قفز الرقم إلى
٥٧ر٤ بالمائة^(٤٠). وكانت الأرقام المقابلة في أوروبا الغربية أقل،
لكنها كانت على الرغم من ذلك كبيرة: ٢٧ر٢ بالمائة من

مجموع الطاقة المستهلكة في أوروبا الغربية جاء من النفط المستورد من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في ١٩٦٢، وارتفع الرقم إلى ٤٧٤ بالمائة في عام ١٩٧٢^{١٠}. وكانت درجة الاعتماد مختلفة ضمن أوروبا الغربية، وخصوصاً بعد تدفق انتاج النفط البريطاني والنرويجي في أواسط السبعينات. على الرغم من ذلك كان النفط في عام ١٩٧٣ يمثل، بترتيب متصاعد، النسب المتوية التالية من مصادر الطاقة الأولية: بريطانيا ٥٢١ بالمائة، هولندا ٥٤٢ بالمائة، ألمانيا الغربية ٥٨٦ بالمائة، بلجيكا ٦٢١ بالمائة، فرنسا ٧٢٥ بالمائة، وإيطاليا ٧٨٦ بالمائة^{١١}. غير أن القطرين الواقعين في طرفي هذه القائمة، القطرين الأضعف اقتصادياً، انكسرا وإيطاليا، هما اللذان تعرضا لأشد المصاعب في ميزان المدفوعات نتيجة لارتفاع أسعار النفط في عام ١٩٧٣، على الرغم من أن عواقب هذا الوضع على السياسة لم تكن كبيرة إلا في إيطاليا.

من جهة أخرى، كان معظم المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط مصالح غير مباشرة حتى أواسط السبعينات، ولذلك كانت أقل أهمية من مصالح حلفائها. فبفضل حجم الولايات المتحدة وبعدها عن الشرق الأوسط يمكن اعتبار مصالحها في

المنطقة أصغر من مصالح اليونان وإيطاليا وحتى ألمانيا الغربية. وكانت الولايات المتحدة بوصفها أكبر منتج للنفط لسنوات عديدة، لا تعتمد إلا بصورة هامشية على النفط المستورد من الشرق الأوسط. كان النفط يؤلف ١٥ بالمائة من مجموع استهلاك الطاقة في أمريكا عام ١٩٦٢، و ٢ بالمائة فقط بعد عشر سنوات^(١٢٢). لكن في أواسط السبعينات أصبحت الولايات المتحدة أكبر مستورد للنفط في العالم، وارتفعت النسبة المثوية لمستورديها من نفط الشرق الأوسط من ٧ بالمائة في عام ١٩٧٣ الى ٣٤ بالمائة في عام ١٩٧٥^(١٢٣). وفي كانون الثاني من تلك السنة دلت التقديرات الرسمية على أنه في حالة انقطاع واردات النفط المستورد انقطاعاً تاماً، فإن النفط الذي تنتجه أمريكا لن يكفي لسد حاجات الاقتصاد، حتى في زمن الحرب، وهو تطور قبل أن تأثيره على الأمن القومي (مباشر) و(آلي) و(غير ملائم)^(١٢٤). وكانت حرب تشرين قد أثرت في الخدمات الأمريكية، مثلما أثرت في خدمات حليفاتها، فظل الطيارون بعد ذلك لفترة من الزمن لا يخرجون للتدريب إلا في طلعات قصيرة، كما جرى بصورة جذرية تخفيض عدد الأيام التي تعمل فيها السفن الحربية في الخطوط الأمامية^(١٢٥).

على الرغم من هذا، كانت الولايات المتحدة، قبل السبعينات بفترة غير قصيرة، قد حدّدت مصالحها في الشرق الأوسط بعبارات سياسية استراتيجية وغير مباشرة بالدرجة الأولى. ولم تلبث واشنطن أن أدركت، مع ظهور الاتحاد السوفييتي كمنافس أول لها عقب الحرب العالمية الثانية، أن توازن القوى الكلي يعتمد جزئياً على التوازن الاقليمي ضمن الشرق الأوسط. وكانت المنطقة بهم الولايات المتحدة لأنها كانت بهم أعضاء نظام الحلف الذي أصبحت قائدة له. لهذا قبلت الولايات المتحدة أن تتورط بدور فعال في المنطقة، مضيفة بذلك عنصراً فرعياً هاماً الى مصالحها لأن سمعة قوتها منذ ذلك الحين أصبحت هدفاً في الصراعات الاقليمية.

إن الاتحاد السوفييتي، على عكس الولايات المتحدة، قريب من الشرق الأوسط من الوجهة الجغرافية، وله حدود مشتركة مع تركيا وإيران، وهو قريب من البحر الأبيض المتوسط. وعلى الرغم من هذا ليس للاتحاد السوفييتي في المنطقة سوى مصالح أمنية. فجنوبي روسيا، بما في ذلك حوض الدون المصنّع تصييع غائباً. معرّض جداً للهجمات من الشرق الأوسط ومن القوات البحرية العاملة في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود.

ولأسباب جغرافية وتاريخية بقي الروس أمداً طويلاً حساسين جداً لكل الأمور المتصلة بالأمن، وما نشأ عن ذلك من اهتمام غريزي بإمكان تعرض روسيا الجنوبية للأخطار، اهتماماً ربما تعزز بما خبروه من تهديدات لهذا الجزء من الحدود السوفيتية في أثناء الحرب الأهلية، والحرب العالمية الثانية، والمراحل الأولى للحرب الباردة. وتتضح هذه النقطة الأخيرة من الضغط الذي مارسه السوفييت على إيران خلال الخمسينات وأوائل الستينات محاولةً منهم للحيلولة دون انحياز إيران إلى الولايات المتحدة انحيازاً قوياً^(١٦). كما تتضح من شكوى «خروتشيف» خلال أزمة الصواريخ الكوبية من الوجود العسكري الأمريكي في تركيا^(١٧). وكان لابد من أن يظل الشرق الأوسط موضع اهتمام واضعي الخطط الدفاعية السوفيت في السبعينات لا شيء إلا لقربه من الاتحاد السوفيتي، ولأن بعض القوات الغربية تتابع عملها فيه، ولأنه غير مستقر ولأنه مسلح تسليحاً هائلاً. لكن التهديد من الجنوب قد تقلص مع انسيحاب قاذفات V-7-النووية البريطانية من قبرص وقاذفات جوهر IRBM الأمريكية من تركيا. ولولا بقاء الشرق الأوسط عاملاً مساعداً ممكناً في نشوء صراع بين الدولتين العظميين، لأمكن اعتبار التهديد من الجنوب ثانوياً لدى مقارنته

بالتهديد من الغرب ومن الصين في الشرق. ويرغب الاتحاد السوفييتي في كميات محدودة من نفط الشرق الأوسط، لكنه لا يحتاج إليها. وقد بدأ يستورد النفط من المنطقة عام ١٩٦٧، فعقد اتفاقات نفطية مع عدد من الأقطار، كان أهمها العراق، حيث يشارك في استثمار أحد حقول البترول الشمالية. وفي أواسط السبعينات بلغت صادرات العراق من النفط الى الاتحاد السوفييتي حوالي مليونين من الأطنان في العام، وكان من المنتظر أن تزيد^(٨). لكن يجب مقارنة هذا الرقم بمعدل انتاج النفط السنوي في الاتحاد السوفييتي الذي يتجاوز ٥٠٠ مليون طن^(٩)، والحقيقة أن الاتحاد السوفييتي كان قد أصبح في ١٩٧٥ أعظم منتج للنفط في العالم. فمن الواضح أن استيراد الاتحاد السوفييتي النفط من الشرق الأوسط هو ميزة لا ضرورة. ويرجع هذا بالدرجة الأولى إلى أن الاتحاد السوفييتي، في فترة يزداد فيها الاستهلاك السوفييتي للنفط، ما يزال يرغب في الاستمرار في تصدير النفط إلى أوروبا الغربية والشرقية^(١٠). والاحتياطي في سبيريا كبير لكنه إما باهظ التكاليف أو يصعب استثماره بتقنيات الحفر الحالية.

بناء على ذلك، ربما كانت مصلحة الاتحاد السوفييتي

الرئيسة في الشرق الأوسط هي (رغبة) ناشئة عن طموح الاتحاد السوفيتي المتزايد لكي يصبح نداً سياسياً للولايات المتحدة، لكي يقيم لنفسه دوراً عالمياً. وقد أدى هذا إلى تورط عسكري وسياسي متزايد من جانب السوفييت في العالم الثالث الذي يؤلف الشرق الأوسط جزءاً هاماً منه. لهذا كان للاتحاد السوفيتي مصلحة في دعم (الأنظمة التقدمية) في المنطقة ولاسيما اذا كانت من قبيل مصر عبد الناصر التي لعبت دوراً رئيساً في حركة عدم الانحياز، وفي تقديم مرافق عسكرية دائمة وحقوق مرور للقيام بعمليات في أماكن بعيدة عن الاتحاد السوفيتي. ومن شأن هذه التطورات أن تسمح للاتحاد السوفيتي بأن يضعف الولايات المتحدة وأن يحقق تحولاً مناسباً في (معادلة القوات) في منطقة تعتبر عاملاً هاماً في المعركة ضد (الأمبريالية)^(١). لكن السعي وراء هذه الأهداف كان ينطوي على إقحام السمعة، ولاسيما سمعة السلاح، التي خلقت بدورها مصلحة سوفيتية فرعية في المنطقة، فقد كان للاتحاد السوفيتي في فترة حرب الأيام الستة مصلحة هامة في الإبقاء على توظيفاته الكبيرة في الشرق الأوسط. وهي مصلحة لم تكن موجودة قبل خمسة عشر عاماً من ذلك التاريخ.

تختلف أهمية الشرق الأوسط اذن، اختلافاً كبيراً تبعاً للعواصم الكبرى، والصغرى في الحقيقة، التي ينظر منها إليه. فما تراه موسكو في الشرق الأوسط مختلف جداً عما تراه كل من واشنطن وروما. لموسكو رغبات هامة في الشرق الأوسط لأن الاتحاد السوفييتي قوة تصحيحية. ولواشنطن مصالح حيوية في إبقاء الأوضاع الراهنة على ما هي لأنها زعيمة حلف. لكن هذه المصالح غير مباشرة في الغالب. وليس الأمر كذلك بالنسبة لإيطاليا، التي تعتمد بصورة مباشرة وقوية على نفط الشرق الأوسط، وقد تعرض اقتصادها لمصاعب كبيرة في سبيل سد العجز في ميزان المدفوعات الذي نشأ عن ارتفاع أسعار النفط في أوائل السبعينات، كما كانت معرضة لتهديد مباشر من تزايد القوات السوفييتية في شرقي البحر الأبيض المتوسط. على الرغم من هذا، ماكانت القرارات العسكرية الحاسمة لتتخذ في روما ولا في أية واحدة من العواصم العديدة التي كان فيها المسؤولون عن اتخاذ القرارات يواجهون بوجود مصالح مباشرة وحيوية لهم في الشرق الأوسط، بل كانت تتخذ في واشنطن وموسكو.

الحواشي

- ١ — الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ص ٨٣،
و ١٩٧٣/ ١٩٧٤ ص ٧٥.
- ٢ — الإيكونوميست، ٧ ك ٢١٩٧٦، (٥١) بالمائة في ١٩٧٤.
- ٣ — ٤٨ بالمائة فقط من الاحتياطي الثابت المنشور كان موجوداً في
شمال أفريقيا وإيران. هانس مول، النفط والنفوذ، ص ٣٧.
- ٤ — ٤٥ بليون دولار من فائض ١٩٧٤ كانت تعود الى الدول
العربية وايران. وفي ١٩٧٥ كان الفائض يقدر ما بين ٣٤
بليون دولار و ٤٠ بليون دولار، التي كان ٩٠ بالمائة منها يعود
الى دول الشرق الأوسط الثماني الأعضاء في الأوبك، والتي كان
ثلثها تقريباً يعودان الى أربع من الدول العربية منتجة للنفط:
العربية السعودية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، وقطر.
فاينانشال تايمز، ٢٩ آذار ١٩٧٦.
- ٥ — في نهاية ١٩٧٥ كان رصد السعودية من العملات يأتي بعد

رصيد ألمانيا الغربية فقط، انترناشنال هيرالد تريبيون، ٣ آذار ١٩٧٦.

٦ — لكن في الواقع كان العون الاقتصادي مقصوراً بالدرجة الأولى على الأقطار الإسلامية.

٧ — لكن أهمية التهديد بسلح المال لم تلبث أن تضاءلت. انظر كلاوس كنور (حدود القوة العسكرية والاقتصادية)، ديدالوس، خريف ١٩٧٥، ص ٢٣٥.

٨ — الدلائل على قلق السوفييت من ازدياد القوة العسكرية في إيران بدأت تظهر في ١٩٧٣، التايمز، ٧ آب ١٩٧٣، الغارديان، ١٣ آب ١٩٧٣، والفائنانشال تايمز، ٢٣ ت ١٩٧٦. وكان ينبغي على المسؤولين عن خطط الدفاع السوفيتية أن يأخذوا بالاعتبار إمكان توجيه قدرة نووية اسرائيلية، في ظل بعض الظروف، ضد الاتحاد السوفيتي.

٩ — العلاقات الخارجية للولايات المتحدة، ١٩٤٧، المجلد الخامس، الشرق الأوسط وأفريقيا ص ٥٦٦. (م)

١٠ — كان ٩٠ بالمائة من غواصات بولاريس يتواجد في العادة خارج البحر الأبيض المتوسط وبناء على التقارير كان البحر العربي في ١٩٧٤ يُستخدم بكثرة من قبل الغواصات الأمريكية حاملات الصواريخ. جيمس كابل دبلوماسي القارب المسلح، ص ص:

١٣٨ — ١٣٩. أنباء الولايات المتحدة وتقرير عن العالم . ٢٤
حزيران ١٩٧٤ .

١١ — كان هذا يصدق بصورة خاصة على تركيا التي كانت دائماً
تواجه تهديداً على طول حدودها البرية وحدودها البحرية
الشمالية، والتي كانت ثقتها بالولايات المتحدة ككفيل
عسكري قد ضعفت بسبب أزمة الصواريخ الكوبية، والضغط
الأمريكي لمنع تركيا من غزو قبرص ١٩٦٤ .

١٢ — أسبوع الطيران، ٥ حزيران ١٩٧٢ .

١٣ — مجلة معهد الخدمة المتحدة الملكي للدراسات الدفاعية،
حزيران ١٩٧٢، ص ٦، رُوي في ١٩٧١ عن رئيس أركان القوة
الجوية الإيطالية قوله إن التهديد العسكري السوفييتي كان
محدوداً، ودائماً بسبب عدم توافر الغطاء الجوي المناسب،
ونقص القدرة على الاستطلاع، وعدم وجود دعم سوقي مناسب
(لوجستيكي). غير أن شبكة المطارات السوفييتية (تجعل من
الممكن استخدام قوات جوية قوية إلى درجة كافية لتطوير
إيطاليا من الجنوب والالتفاف حول الحلف عند اللزوم، ولتعقب
كل السفن المتجهة إلى إيطاليا أو المارة في البحر الأبيض
المتوسط وملاحقتها، وللطيران على ارتفاع منخفض لمهاجمة كل
الأهداف الكائنة في جنوبي إيطاليا وأواسطها، ولفتح جبهة
حقيقية في الجنوب وامتدادها بإتزال قوات جوية، ولدعم

العمليات البرية والبحرية، وقوات المغاور، ووحدات (الحركات
الانقلابية)، فلانك، ١٤ ك ٢ عام ١٩٧١.

١٤ — الأرمال زوموالك، (الزيادة المقترحة في التسهيلات العسكرية
للولايات المتحدة في المحيط الهندي)، شهادات، المجلس
النيابي، ص ١٣٩. حاملتا الطائرات الأمريكية التابعتان
للأسطول السادس لا تستطيعان الإبحار في قناة السويس
لضعفهما.

١٥ — أدى إغلاق قناة السويس في عام ١٩٦٧ خلال الحرب
الفيتنامية إلى مضاعفة المسافة من الاتحاد السوفيتي إلى شمالي
فيتنام وتناقص عدد سفن الشحن السوفيتية التي تصل هايفونغ
من ٤٧ إلى حوالي ٣٢ — ٢٥ في الشهر، دونالد ماثيل،
(التحدي البحري السوفيتي) أوريس، ربيع ١٩٧٠ ص
١٥١.

١٦ — ر. د. ماك لوران، الشرق الأوسط في السياسة السوفيتية،
ص ٤٢.

١٧ — المصدر السابق، ص ٤٣.

١٨ — بناء على مارواه ويليم كولبي مدير وكالة الاستخبارات المركزية
(CIA)، في عام ١٩٧٥، كان من المنتظر أن يزيد فتح قناة
السويس من مرونة السوفيت في استخدام وجودهم العسكري
كله في المحيط الهندي. لكن من دون زيادة وجودهم العسكري



زيادة تستحق الذكر. وكان من شأنه أن يزيد في سهولة استخدام سفن الدعم السوقي في المحيط الهندي، وتقليل اعتماد السوفييت على الدول الواقعة على السواحل، غير أن أسطول المحيط الهادي سوف يظل المصدر الرئيسي للمقاتلين في البر بسبب الأولوية العظمى التي تعطى لعمليات البحر الأبيض المتوسط والحاجة إلى الاحتفاظ باحتياطي استراتيجي في البحر الأسود. سجل الكونغرس، ٢٢ آذار ١٩٧٥.

- ١٩ — نُقلت الأسلحة السوفيتية، التي رُوِّدت بها مصر، الى الكونغو ونيجيريا خلال الحروب الأهلية التي وقعت في الستينات.
- ٢٠ — (SIPRI)، تجارة الأسلحة مع العالم الثالث، ص ٥٦٨.
- ٢١ — جون أريكسن، القوة العسكرية السوفيتية، ص ٨٠.
- ٢٢ — يقال إنه لم تكن الطائرات السوفيتية المحملة بالسلح الى الهند فقط تزود بالوقود في المطارات الكائنة في مصر العليا، بل إن طائرات الميغ ٢١ الموجودة في مصر بقيادة طيارين سوفيت أرسلت الى الهند لتعويض الخسائر الهندية، أرنولد هوتنجر، (القوى العظمى والشرق الأوسط) وليم غريفس (الناشر) العالم ومثلثات القوة العظمى، ص ١٣٨، والنيويورك تايمز ٣١ آذار ١٩٧٢.

- ٢٣ — سيلفيا كروسبي، تحالف ضمني: فرنسا واسرائيل من السويس إلى حرب الأيام الستة، ص ص ١٥٦ — ٢١٦.

وفيما بعد مولت إيران تطوير نسخة من صاروخ Kaper SAM ،
البريطاني ، وقدمت قرضاً لشركة غرومان لصنع طائرات ، F14 ،
، التي أوصت عليها ، الفارديان ، ٢٣ تموز ١٩٧٥ .

٢٤ — ويشمل ذلك طائرات بلا ضيادين للاستطلاع . ورؤوسا حربية
متطورة خصيصاً لصواريخ شرايك جو — أرض ضد صواريخ
(SAM3) ، أسبوع الطيران ، ١٨ ك ٢ ١٩٧١ . وبالمقابل
طبعاً ، كانت خسارة الأسلحة المعقدة ، وانتقالها الى الغرب عن
طريق الشرق الأوسط تقلق العسكريين السوفييت ، وكان هذا ،
بناء على مصدر مصري ، أحد الأسباب التي أدت الى فشل
زيارة بودغورني لمصر بعيد حرب الأيام الستة . محمد هيكس ،
الطريق الى رمضان ، ص ٤٧ .

٢٥ — الدروس التكتيكية المستفادة من حرب تشرين ، وخصوصاً
صلاحية العربات المدرعة للبقاء في المستقبل في ميدان المعركة
الحديث ، كانت موضوعاً لمؤتمرين عسكريين كبيرين انعقدوا في
الاتحاد السوفيتي في ت ١ و ك ٢ ١٩٧٥ .. وقد أعقب هذين
المؤتمرين نقاش كبير في الصحف العسكرية السوفيتية حول
الدروس المستفادة من فعالية الأسلحة المضادة للدروع خلال
الحرب . لكن ليست الدبابات وعربات المقاتلين المشاة هي التي
أدرك السوفييت أنها الأكثر تعرضاً للتهديد بالسلاح المضاد

للدروع، فيليب كاير، (المنافشات السوفيتية ضد الدروع)،
البقاء، أيار تموز، ص ص ١٠٥ — ١٠٦.

٢٦ — سبكتيتور، ١٣ ك ١ عام ١٩٧٥، بناء على هذا التقرير كانت
المشكلة التي تسبب أشد القلق لحلف الناتو (NATO)، أن
الحرب قد بينت أن أكداًس العتاد المخزونة يمكن أن تنفذ بصورة
أسرع مما كان يفترض. ومن بين النتائج الأخرى للحرب أن
أحدى فرق الولايات المتحدة، التي حلت في ١٩٧٥ محل فرقة
أخرى في ألمانيا الغربية، زُوِّدت بعدد أكبر من الصواريخ
المضادة للدروع. بينما قرر جيش ألمانيا الغربية (Bundeswehr)
تخفيض عدد الدبابات الموضوعة تحت إمرة الضابط الواحد من
١٨ الى ١٠. الفايانثيال تايمز، ١٧ حزيران ١٩٧٥.

٢٧ — كان هذا واضحاً بصورة خاصة من رغبة كلتا الدولتين
العظميين في السحب من أكداًس الأسلحة المخزونة في أوروبا
خلال حرب ١٩٧٣. لكن في ربيع ١٩٧١ أُنحِر الاتحاد
السوفيتي، لأول مرة، تنفيذ التزاماته بتحديث قوات حلف
وارسو المسلحة، وقُدِّم عليه تلبية حاجات الدفاع الملحة لبلد
غير شيوعي، وغير منحاز. لويس ل. ويتن. حرب القناة،
ص ص ١٦٢ — ١٦٦. أنظر أيضاً الفصل ١ —.

٢٨ — تتضمن هذه المبادئ القيود المتبادلة التالية بشأن المشاركة في
مغامرات «محلية»:

— التحيلولة دون نمو أوضاع من شأنها أن تسيء إساءة باللغة إلى العلاقات السوفيتية الأمريكية.

— بذل أقصى الجهد لتجنب المواجهة العسكرية.

— الاعتراف بأن الجهود المبذولة للوصول إلى ميزة وحيدة الطرف على حساب الطرف الآخر، سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة، لا تتسجم مع هذه الأهداف.

— المسؤولية الخاصة لبذل كل ما في وسعهما للتحيلولة دون قيام نزاعات أو أوضاع من شأنها أن تؤدي إلى زيادة التوترات العالمية .

تيودور درابر (الهدوء والوفاء)، تعليق، شباط ١٩٧٦
ص ٣٠٠.

٢٩ — جورج بول، (موسكو والشرق الأوسط)، الواشنطن بوست،
١٨ ايار ١٩٧٥.

٣٠ — الأيكونوميست، ت ٢ ١٩٧٣. للاطلاع على التصورات
الأمريكية، راجع المورر. زوموالت، (دروس للناتو من الخبرة
العسكرية الحديثة)، مجلة اتلانتك كومينيوتي كوارتولي، شتاء
١٩٧٥/٧٤.

٣١ — وردت في فريق «الساندي تايمز» لتقصي الحقائق، (نظرة
عميقة الى حرب الشرق الأوسط) ص ٢٣٨.

٣٢ — نيوساياتنيست، ٤ حزيران ١٩٧٠.

٣٣ — ملاحظة: يرى المعلق الاسرائيلي الجنرال هرتزوغ أن تدمير شبكة (SAM-2) في مصر في ١٩٦٩ كان يعني ظهور عجز شبكات السلاح التي كان الدفاع ضد الطيران يعتمد عليها في الامبراطورية السوفيتية. نيويورك تايمز، ٣ شباط ١٩٧١.

٣٤ — انترناشيونال هيرالد تريبون، ١٨ شباط ١٩٧٦. وجدت أشد الأقطار الأفريقية فقراً أن واردتها الأساسية من الوقود ترتفع من ١٠ بالمائة الى ما بين ٣٠ بالمائة و ٤٠ بالمائة مما تجنيه من الصادرات. وارتفع ثمن ما تستورده من النفط من ١١٠ مليون جنيه استرليني في عام ١٩٧٢/٧٣ الى ٦٥٠ مليون جنيه استرليني في عام ١٩٧٤/٧٥. فاينانشال تايمز، ٣٠ ايلول ١٩٧٥.

٣٥ — الغارديان والديلي تلغراف، ٢٥ شباط ١٩٧٧.

٣٦ — (الى جانب المظاهر العاطفية والعقائدية للدفاع تبتو عن سياسة عدم الانحياز، كان يعتبر أن أعظم تهديد لمصالح يوغوسلافيا على المدى الطويل هو إمكان عودة الشرق الأوسط إلى ساحة الحرب الباردة، وكان هذا شبيهاً بما حدث بعد الصراع العربي الاسرائيلي عام ١٩٥٦، وكان أحد الحوافز الأولية لمشاركة يوغوسلافيا في البداية في حركة عدم الانحياز)، ويقال إن تيتو نصح المصريين بالألا يعطوا الاتحاد السوفيتي قواعيد. ويتن،

المرجع السابق. ص ٣٨٠. هوتنجر، المرجع السابق — ص ١٤٣.

٣٧ — نيويورك تايمز، ٤ آذار ١٩٧١، مشيرة الى أن أهم ما يشغل رومانيا وهنغاريا هو تأثير مثل هذا الضغط على السياسة الداخلية وخصوصاً تأثير التراخي المستمر في الرقابة المركزية. للاطلاع على الاحتياطات التي اتخذتها كل من يوغوسلافيا ورومانيا خلال حرب تشرين، راجع جون د. غلاسمن، السلاح للعرب ص ١٤٦.

٣٨ — إن الأقطار النامية غير النفطية لا تستهلك سوى ١٠ بالمائة من الاستهلاك العالمي السنوي من النفط. م. ج. ويليمز (برامج المساعدة التي تقدمها أقطار OPEC). الشؤون الخارجية ك ١ ١٩٧٦، ص ٣١١.

٣٩ — (أزمة النفط في المنظار)، ديدالوس، خريف ١٩٧٥ ص ٢١. لكن جزءاً كبيراً من النفط الياباني كان يأتي من إيران. وهذه الصورة كان النفط الغربي يؤلف ١٢,٨ بالمائة من امدادات الطاقة في ١٩٥٦، و ٣٣,٤ بالمائة في ١٩٦٧ و ٣٣ بالمائة في ١٩٧٣. مول، المصدر السابق، ص ٣.

٤٠ — ديدالوس المصدر السابق. ص ٢١.

- ٤١ — المصدر ذاته، ص ٩٥. الدفترك هي من أقطار أوروبا الغربية الأكثر اعتماداً على النفط كمصدر للطاقة.
- ٤٢ — المصدر ذاته. ص ٢١.
- ٤٣ — الايكونوميست، ٢ تشرين أول ١٩٧٦.
- ٤٤ — مذكرة بقلم وزير الخزانة، وليم سيمون، ١٤ كانون الثاني ١٩٧٥.
- ملاحظة: هذا التحليل يستبعد المصالح الاقتصادية الأخرى مثل التجارة وتوظيف رؤوس الأموال التي تقع خارج فئة المصالح التي تحتاج الى حماية وتنمية بالوسائل العسكرية. والحالة الاستثنائية الوحيدة هي الوجود العسكري البريطاني بعد الحرب الذي يقع خارج نطاق هذه الدراسة.
- ٤٥ — الواشنطن بوست، ١٨ تشرين ثاني ١٩٧٤.
- ٤٦ — بالرغم من أن كثيراً من الدعاية السوفيتية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات تركز في مسألة إقامة القواعد الغربية في إيران، فإن توثيق علاقات ايران مع الغرب هو الذي ربما كان يقلق الاتحاد السوفيتي أكثر. راجع شهرام شوبين، وسيفار زاويه. علاقات ايران الخارجية، الفصل ١.
- ٤٧ — (أنتم قلقون بشأن كوبا. تقولون إنها تقلقكم لأنها تقع على بعد ٩٠ ميلاً عبر البحر من شواطئ الولايات المتحدة. لكن تركيا تقع على حدودنا. وحراس الحدود من الطرفين يصعدون وينزلون

ويراقب أحدهم الآخر.. وقد أقمتم الأسلحة الصاروخية المدمرة، التي تصفونها بالمجومية، في تركيا، في جوارنا مباشرة تماماً). إليي آييل، صواريخ تشرين أول، ص ١٦٥. كان يرباط في تركيا في ذلك الوقت ٢٧٠٠ جندي أمريكي بالإضافة الى صواريخ (IRBM).

٤٨ — جيرمي رسل، (اعتبارات الطاقة في سياسة الكوميكون

Comecon) العالم اليوم، شباط ١٩٧٦، ص ٤٧.

٤٩ — بيروليوم ايكونوميست، آذار ١٩٧٧، ص ٨٦.

٥٠ — بقيت الصادرات الى أوروبا الشرقية زمناً طويلاً تُعتبر وسيلة

للسيطرة السوفييتية، وفي أواسط السبعينات كانت أقطار الكوميكون تعتمد على الاتحاد السوفييتي في أكثر من ٨٠ بالمائة من إمداداتها النفطية. لكن الطلب على النفط أخذ في الارتفاع في أوروبا الشرقية أيضاً، أبلغت أقطار أوروبا الشرقية بأن عليها أن تتخذ ترتيباتها الخاصة مع المنتجين لإمدادها بالنفط. وتؤلف صادرات الاتحاد السوفييتي من النفط إلى أوروبا الغربية أكبر مصادر الاتحاد السوفييتي من العملة الصعبة، وفي تقدير أحد المصادر الغربية، أن أكثر من ٣٠ بالمائة من مداخل الاتحاد السوفييتي من العملة الصعبة كان يأتيها من صادرات النفط والغاز. وسوف تتوقف درجة اعتماد الاتحاد السوفييتي على نفط الشرق الأوسط في المستقبل على انجازات الاقتصاد السوفييتي

إلى حد كبير. رسل (Russel)، المصدر السابق ص ٤٠-٤٢.

٥١- «تجديد وغور وهافي»، في الاتحاد السوفييتي وحرب تشرين ١٩٦٣ في الشرق الأوسط. ص ٢٢.
(Comecon) مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة. ويضم الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية (بامستثناء ألبانيا ويوغوسلافيا) ومنغوليا وكوبا - المترجم.

الفصل الثاني

الممثلون العسكريون وغير العسكريين

تتألف الأقطار التي اتبعت أحد أشكال السياسة العسكرية في الشرق الأوسط من أربع فئات. فهناك الأقطار الخمسة عشر التي كانت حتى عام ١٩٧٥ تسهم بجنود طوارئ في قوات حفظ السلام الثلاث التي شكّلت بسبب النزاع العربي-الاسرائيلي^(١). وكانت تضم خمسة أقطار من أوروبا^(٢)، وفطرين من إفريقيا^(٣)، وثلاثة أقطار من أمريكا اللاتينية^(٤)، وثلاثة أقطار من آسيا^(٥). وتتألف الفئة الثانية من مختلف الأقطار الشيوعية التي قدمت للدول العربية الأكثر راديكالية إمدادات عسكرية ومن ضمنها التدريب، وفي بعض الأحوال قوات قتال متخصصة أيضاً كالطيارين^(٦). وربما كان معظم هذه الفئة من الأقطار مدفوعة بعلاقتها بموسكو، باستثناء الصين التي قدمت مساعدة عسكرية محدودة خلال فترة قصيرة للمجبهة الشعبية

لتحرير الخليج العربي المحتل (PFLOAG)، وباستثناء يوغوسلافيا أيضاً^{١٠}. وتتألف الفئة الثالثة من القوى الأوربية الأمبريالية السابقة، التي كان دورها العسكري في المنطقة أكبر كثيراً من دور كل من الفئتين المذكورتين آنفاً. وهناك أخيراً فئة رابعة، وهي الفئة الأهم، وتضم الدولتين العظميين.

وهكذا باستثناء تلك الأقطار الصغيرة التي كانت تسعى لحماية مصالحها غير المباشرة في المنطقة بواسطة الإسهام بصورة محدودة في قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام، نجد التورط العسكري في الشرق الأوسط قد ظل بشكل أساسي احتكاراً للقوتين العظميين وحليفاتهما. وبقيت بريطانيا، من بين الدول العظمى السابقة، تحتفظ حتى أواسط السبعينات بقاعدة في قبرص، بينما قوة التدخل الفرنسية عبر البحار المؤلفة من ٢١ ألف جندي ظلت مخصصة للعمليات في المناطق الواقعة خارج أوروبا وآسيا الشرق الأوسط. وقد شهدت أواسط السبعينات في الحقيقة إحياء المصلحة العسكرية الفرنسية في المنطقة. فأخذت الوحدات البحرية الفرنسية ترود المحيط الهندي، كما أخذت مجموعة من الناقلات الفرنسية تعمل في البحر الأبيض المتوسط ابتداء من عام ١٩٧٥^{١١}.

لكن هذه القوات لم تكن كبيرة، إذا قورنت بتلك التي كانت قبل عقدين من السنين، أو حتى قبل عقد واحد^(١)، ومما يدعو الى الاستغراب أن قائمة الممثلين العسكريين الرئيسيين لا تحوي بعض الأقطار التي هي من أغنى الأقطار وأكثرها حظاً من التصنيع والتي كان كثير منها قريباً من الشرق الأوسط جغرافياً، وكانت له مصالح حيوية في المنطقة. وهذا لا يعني القول إن أوروبا الغربية قد تخلت تماماً عن اختيارها العسكري في المنطقة. وبالإضافة الى القوى الامبريالية السابقة، أسهم في قوات حفظ السلام الدولية قطران أوريان من حلف الناتو (nao) الدانمارك والنرويج^(٢)، وثلاثة أقطار أوربية محايدة: النمسا، وفنلندا، والسويد. بقي أيضاً التنويه بالتزام الغرب الأدبي ببقاء اسرائيل التي صرح وزير خارجية بريطانيا خلال حرب تشرين بأن القضاء عليها (لا يمكن السماح به)^(٣). ولقي هذا الرأي دعماً خاصاً من جانب هولندا التي كانت إحدى الأقطار القليلة الراغبة في الأسهم في قوة دولية للحفاظ على حرية الملاحة في مضائق تيران قبيل حرب الأيام الستة، والتي سمحت خلال حرب تشرين للولايات المتحدة باستخدام مطاراتها في الجسر الجوي إلى اسرائيل^(٤).

إلا أن القوى الاقتصادية الجديدة، التي برزت في العقدين من السنين اللذين أعقبا الحرب العالمية الثانية، لم تتبع سياسة عسكرية في الشرق الأوسط. ففي كل من ألمانيا واليابان كانت مصائب السنوات الخمسين الأخيرة تغطي على الاتجاهات نحو القوة العسكرية^{١١١}، وكانت قوات ألمانيا الغربية مصممة بـ... زيادة خاصة لكي تكون جزءا لا يتجزأ من حلف الأطلسي، (NATO)، وبموجب الاتفاقات المعقودة بين ألمانيا الغربية والحلفاء الغربيين التي تسمح بإنشاء جيش ألماني اتحادي (Bundeswehr)، لا يخق للجنود الألمان أن يربطوا خارج ألمانيا الغربية^{١١٢}. لأن السياسة العسكرية من شأنها إذا وجدت أن تكون ذات تأثير بوجه خاص في العلاقات بين إسرائيل وألمانيا الغربية بسبب ذكريات اضطهاد النازيين لليهود^{١١٣}. ويحظر الدستور الياباني كذلك إرسال القوات اليابانية خارج الأراضي اليابانية. ويظهر أن صدمة النفط ذاتها التي حدثت في عام ١٩٧٣ لم تؤثر في النزعة السلمية المتغلغلة في تفكير اليابانيين بعد الحرب. نُقل عن وزير الخارجية اليابانية في أيار ١٩٧٥ قوله (كان من الوهم الزعم أن في وسع اليابان الصغيرة المزدهمة المعرضة للخطر إرسال قواتها العسكرية عبر البحار لتأمين مصادر للمواد الخام)^{١١٤}.

بالإضافة الى هذه العوامل اتخذت التاريخية هناك ما يشير إلى اغتباط شديد بتأمين إمدادات النفط يظهر بصورة خاصة في حالة اليابان أيضاً. فقبل حرب تشرين لم يفعل اليابانيون أي شيء لتطوير علاقاتهم مع الأقطار العربية: لم يقدموا أي عون اقتصادي للشرق الأوسط، وكانت تبرعاتهم «للاونروا» أقلّ جداً من تبرعات أي قطر صناعي آخر. كانوا يفترضون أنهم سيظلون بمنجى من أي خلل في إمدادات النفط بسبب عدم وجود تاريخ استعماري لهم في المنطقة، وعدم امتلاكهم شركة نفط كبيرة. والذين يصنعون السياسة اليابانية لم يقللوا فقط من شأن عدم الاستقرار في الشرق الأوسط وما ينشأ عن ذلك من خطر وقوع خلل في الإمدادات، بل غفلوا أيضاً عن أن علاقة اليابان الوثيقة بالولايات المتحدة يمكن أن تجعلها هدفاً سهلاً يمكن من خلاله ممارسة الضغط السياسي ضد الدولة العظمى الأقل عرضة للخطر من الناحية الاقتصادية، لكن الأكثر أهمية من الناحية السياسية. ونتيجة لهذا فوجيء اليابانيون كل المفاجأة لا باندلاع حرب تشرين فقط بل بتصنيفهم من جانب منظمة (الأوبك OAPEC) دولة (غير صديقة).

بيد أن القوى الاقتصادية الجديدة كانت محظوظة لأن مصالحها، ولأسيما تأمين إمدادات النفط، كانت تحرسها بدرجة كبيرة السياسة العسكرية لكل من بريطانيا والولايات المتحدة. إن إسهام بريطانيا في استقرار الخليج في الخمسينات والستينات زوّد جميع الدول المستهلكة لنفط الخليج بدرجة من الأمن الاقتصادي. كما أن محاولات الولايات المتحدة لاحتواء النفوذ السوفييتي السياسي والعسكري في الشرق الأوسط أسهمت أيضا في توافر الأمن العسكري خفف الناتو (NATO) ولأسيما دول جناحه الجنوبي، وقد سبّر عن هذا ماكميلان بصورة غير علنية بمناسبة الأزمة السورية في ١٩٥٧ في قوله:

«إذا لم يوقف النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط (كذا) فقد (أكلتها) بريطانيا وأوربا (كما يقال). وفي وسع الأمريكيين وحدهم جلب القوة التي تستطيع:

- أ — منع الغرب... الخ من السقوط.
- ب — مواجهة العواقب... أي التهديدات السوفيتية لتركيا والعراق.. الخ

ج — الحيلولة دون تحول هذا الى حرب شاملة — بالتهديد الأمريكي الجوي للاتحاد السوفيتي»^(١٧).

لكن يبدو أن أحداً من الأقطار الغربية الأخرى لم يكن راعياً في الاعتراف بوجهة النظر هذه فكيف بدعمها. فكان حلف الناتو يركز انتباهه على جناحه المركزي ولم يلبث الأعضاء الأوروبيون فيه أن أظهروا أنهم حساسون سياسياً بشأن مد الحدود القسرية استراتيجياً إلى المنطقة التي تغطيها معاهدة شمالي الأطلسي. ولقي تأييد أمريكا في عام ١٩٥٠ انضمام اليونان وتركيا إلى الحلف، وهو تأييد مبني بالدرجة الأولى على أسس استراتيجية، معارضة أولئك الأعضاء الأوروبيين في الحلف الذين كانوا غير راغبين في مد منطقة التزاماتهم الأمنية إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط، أو كانوا يشعرون بالانزعاج من عضوية كل من اليونان وتركيا بشكل خاص لم تكن متمشيت مع مفهوم الناتو كجماعة من أقطار شمالي الأطلسي ذات طبيعة مشتركة: دينية وثقافية واجتماعية واقتصادية؛ ولأسباب من هذا القبيل إلى حد ما لم تحرز محاولات إسرائيل الانتساب إلى الحلف في عام ١٩٥٧ أي نجاح^(١٨). وبعد ذلك بأربع عشرة سنة وبسبب قلق البنتاغون من أن تحريك قاذفات القنابل (TU-16) السوفيتية إلى مصر يعتبر

تهديداً على المدى الطويل لجناح الناتو الجنوبي، ومن أن الوجود السوفيتي يمكن أن يزداد في هذه المنطقة عقب أي انسحاب للولايات المتحدة من أوروبا على إثر مفاوضات بخصوص العلاقات بين القوى المتوازنة المتبادلة (MBFR)، طالب الأمريكيون بإقامة أسطول دائم للناتو في البحر الأبيض المتوسط^{١١١}، وقوبل اقتراحهم بالمعارضة الأوربية مرة ثانية.

إذا رجعنا بنظرنا الى الوراء نجد أن الخجج التي قُدمت ضد عضوية اليونان وتركيا في الناتو كانت منطقية بعض الشيء. فقد كانت تركيا واليونان هما القطرين الوحيدين من أقطار الناتو اللذين وصلا الى حافة الحرب أحدهما مع الآخر، كما أن وضع تركيا المكشوف بوصفها قطرا جانبيا للحلف بالإضافة الى روابطها مع العالم الاسلامي، كان يجعلها في بعض الأحيان عضواً صعباً في الحلف إلى حد ما. لكن المشكلات التي تولدت عن مقابلة الرغبة الأمريكية بالتهاون الأوربي بشأن ضمان الدفاع عن الجناح الشرقي للناتو لم تبلغ في أي وقت مستوى المشادات بسبب اختلاف السياسة الأمريكية عن السياسة الأوربية في الشرق الأوسط. وأسباب النزاع الانكليزي الأمريكي حول السويس معقدة، على الرغم من أن الفرق بين بريطانيا والولايات المتحدة في

الاعتماد النسبي على نفط الشرق الأوسط هو بلا ريب أحد الأسباب؛ لكن بينما كانت الولايات المتحدة هي التي تخشى في عام ١٩٥٦ عواقب استعمال القوة من قبل بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط، نجد أن الوضع قد انعكس في عام ١٩٧٠. وقد مرت حرب الأيام الستة من دون أن تعكر صفو العلاقات بين الأقطار الواقعة على جانبي المحيط الأطلسي، لأن الحرب كانت قصيرة، ولم يكن هناك حاجة لتزويد الاسرائيليين بأسلحة من أمريكا. لكن في صيف ١٩٧٠ صار واضحاً أن أي رد أمريكي على الوجود السوفيتي المتزايد في مصر، حتى بيع الأعداد الكبيرة من الطائرات التي طلبها الاسرائيليون، سوف يلقي معارضة في أوروبا الغربية، ولاسيما من جانب فرنسا وإيطاليا^(١). وقيل إن وزير الدفاع الأمريكي، المستر «ليرد» انتقد الحلفاء الأوربيين في عام ١٩٧٠ لتقصيرهم في تقديم التأييد بشأن الوضع في الشرق الأوسط^(٢). وعندما حاول الأمريكيون في شهر أيلول القيام بتهديدات عسكرية لدعم الأردن، رفض عدد من الأقطار الأوربية السماح لأمريكا باستخدام أجوائهم وقواعدهم لهذا الغرض^(٣).

وتفاقمت هذه المشكلة في حرب تشرين حينما كان الأوربيون، لأول مرة في الحقيقة، يواجهون التهديد بحظر النفط.

وحدثت بعد نهاية الحرب حادثة كانت من وجهة النظر الأمريكية نذيراً بأشد الخطر، ذلك أن الأمريكيين لم يخفوا سماحهم للبواخر الاسرائيلية بتحميل الامدادات الأمريكية من مرفأ ألماني، فأعلن وزير الخارجية الألماني، في تصريح له، حياد ألمانيا الغربية في النزاع العربي — الاسرائيلي، وطالب الأمريكيين بالكف عن إرسال المعدات العسكرية من ألمانيا الغربية إلى اسرائيل^{١٣٤}. وكانت ألمانيا الغربية تضم أكبر مجمع للقواعد الأمريكية في أوروبا، فكان هذا أحد أسباب الحدة في الجواب الأمريكي على هذا التصرف، إذ صرح وزير الدفاع، الدكتور «شلسنجر»، أن الولايات المتحدة تحتفظ بقوات في ألمانيا «لأنها تقف معنا على أهبة الاستعداد الشديد». وقد أثارت ردود الفعل من جانب وزير خارجية ألمانيا بعض التساؤلات حول ما إذا كانوا يرون الاستعداد مثلما نراه. لذلك يجب أن نفكر ملياً في هذا الموضوع»^{١٣٥}.

كانت الأزمة التي نشأت حادة، وزاد من حدتها التوتر الذي كان قد طرأ على العلاقات الأطلسية في عام ١٩٧٣ بسبب عدم الاتفاق حول مبادرة الدكتور كيسنجر بشأن (عام أوروبا)، والضغط على واضعي السياسة الخارجية الأمريكية الناشئة عن قضية «وترغيت»، ووجود وزير خارجية لدى الأمريكيين في عام

١٩٧٣، كذلك الذي كان في عام ١٩٥٦، نجد المشاورات داخل الحلف صعبة إن لم تكن مزعجة. إلا أن القضايا التي أثارها الأزمة كانت قضايا حقيقية جداً، وهي توضح العوامل الكثيرة وراء التوترات طويلة الأمد في العلاقات الأوربية الأمريكية بشأن الشرق الأوسط^(٢٥). والمشكلة لم تكن تناقض مصالح بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين بقدر ما كانت اختلافاً في الأولويات التي تعطى لهذه المصالح. فكان الأمن والنفط معرضين للخطر بالنسبة لكل من أوروبا الغربية والولايات المتحدة، لكن أوروبا الغربية كانت تعطي لأمن امداداتها النفطية من الشرق الأوسط، التي ترى أنها معرضة لتهديد مباشر، أولوية أعظم من الأولوية التي تعطى لها أمنها العسكري الذي كانت ترى أنه لم يكن معرضاً للتهديد إلا بصورة غير مباشرة. وهذا على الرغم من أن الحرب كانت بين قطرين مجاورين لحدود الناتو — تركيا التي قلما تذكر لدى مناقشات استراتيجية الناتو تجاور سورية والعراق — وعلى الرغم من أن القطعات السوفييتية في شرقي أوروبا كانت موضوعة في حالة تأهب^(٢٦). أما الولايات المتحدة، فكانت تضع الاعتبار الاستراتيجي فوق أمن الامدادات النفطية. وما إن بدأت إمدادات الأسلحة السوفييتية تصل إلى نسب عالية حتى

أخذت واشنطن ترى النزاع بمنظار توازن القوى بين الدول العظمى'. فقد كان وجود أحد زبائن أمريكا معرضاً للمخاطر على أيدي أحد زبائن السوفييت. وكان هناك تهديد بتغلغل سوفيتي جديد في الشرق الأوسط.

وبعبارة أخرى، إذا استخدمنا التمييز الضمني الذي أشار إليه الدكتور كيسنجر في خطابه عن (عام أوروبا)، كانت الولايات المتحدة ترى الصراع من منظور دولة عظمى لا من منظور دولة إقليمية. وكان مدى الممكن بالنسبة لقوة عظمى أعظم جداً منه بالنسبة لقوة إقليمية. وهذه مسألة موارد وحالة ذهنية معاً. هذا قال وزير الخزانة الأمريكي بمناسبة أزمة النفط اللاحقة: (لا يمكن أن نجلس هنا ونهزأ أحذيتنا فقط، نحن أمة عظيمة، نحن أمة قوية). هذا الموقف كان، بصورة أقل بريقاً، وراء محاولة أمريكا الوصول إلى تسوية سلمية في الشرق الأوسط ووراء دور أمريكا الرادع ضد التدخل العسكري السوفيتي في المنطقة، وهما دوران يتجاوزان قدرات الأقطار الأوروبية. لكن مهما كانت الأسباب الكامنة وراء الصراع فقد كانت المسألة أن الولايات المتحدة احتاجت إلى الدعم الأوروبي وأن هذا الدعم قد مُنع عنها، على الأقل بصورة جزئية، لأن شحنات الأسلحة الأمريكية إلى

اسرائيل ليس فقط لا تضمن مصالح أوروبا الغربية المباشرة بل، على العكس، تعرض هذه المصالح لخطر أعظم. كان هناك تناقض غير حاد بين مطالب الأمن الاستراتيجي لأوروبا الغربية، التي تقضي بتقديم الدعم للولايات المتحدة على المدى الطويل، ومطالب أمنها الاقتصادي التي تقضي بوجوب ابتعاد أوروبا الغربية عن الولايات المتحدة على المدى القصير. وقد فهمت الولايات المتحدة هذا التناقض، وإن لم تقدره حق قدره، فالتحذت بعد ذلك خطوات للتقليل من اعتمادها على قواعد أوروبا الغربية في حالة نشوب حرب أخرى. وبعد أنقضاء سنتين، لم يبق من هذه الأزمة أية آثار واضحة^(٨). على الرغم من أنه من المعلوم أن مسألة كيفية التصرف في موقف مماثل قد سببت انقسامات عميقة في مجلس وزراء ألمانيا الغربية^(٩).

من دواعي السخرية أن نذكر إذن أن التورط العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط كان بالدرجة الأولى رداً على انسحاب القوة الأوروبية من المنطقة، ومعظمها بريطاني، وأن الأمريكيين كانوا يدركون أن مصالحهم هناك كانت غير مباشرة بصورة أساسية، وذلك عند النظر إليها بالمنظار الغربي الواسع، لا بالمنظار الأمريكي

القاري المحدّد. وإذا كان الأوروبيون غير راغبين في النظر إلى الأمريكيين كوكلائهم العسكريين، بحكم الواقع، في الشرق الأوسط، فإن الأمريكيين، على الرغم من ذلك، كانوا يرون أنفسهم فعلاً بهذه الصورة. كان الهدف الأساسي للسياسة الأمريكية هو احتواء القوة العسكرية السوفييتية والنفوذ السوفييتي، لأن الشرق الأوسط ليس سوى مسرح آخر للحرب الباردة أو ميدان للمنافسة بين الدولتين العظميين. وقد جرى تحديد السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بسلسلة من مبادئ الحرب الباردة. فقد أُعلن مبدأ ترومان في عام ١٩٤٧ استجابة للأحداث التي وقعت في شرقي البحر الأبيض المتوسط على الرغم من أن أهميته لم تكن محصورة تماماً بتلك المنطقة. وفي عام ١٩٥٧، نتيجة لما تصورته واشنطن فراغ قوة في الشرق الأوسط، نشأ عقب عملية حملة السويس الانكليزية — الفرنسية الفاشلة، أصدر الكونغرس (القرار المشترك لنشر السلام والاستقرار في الشرق الأوسط) — المعروف بمبدأ ايزنهاور — الذي يخول رئيس الولايات المتحدة (تنفيذ برامج مساعدة عسكرية في منطقة الشرق الأوسط، بشكل عام، مع أية أمة أو مجموعة من الأمم الراغبة في مساعدة من هذا القبيل). وجاء في القرار أيضاً أن:

«الولايات المتحدة تعتبر المحافظة على استقلال أمم الشرق الأوسط ووحدةها أمراً حيوياً للمصلحة القومية والسلام العالمي، لهذه الغاية، إذا رأى الرئيس ضرورة فالولايات المتحدة مصممة على استخدام القوة المسلحة لتقديم العون لأية أمة أو مجموعة من الأمم عندما تطلب العون ضد العدوان المسلح من جانب أي قطر خاضع للشيوعية الدولية»^(٣٠).

وبعد اثني عشر عاماً صدر مبدأ نيكسون متضمناً منحى أشد حذراً لدور القوة في السياسة الأمريكية، فصرح الرئيس نيكسون بأن الولايات المتحدة: «سوف تحافظ على كل الالتزامات التي وقعت عليها. سوف تقدم غطاء إذا ما صدر تهديد من قوة نووية... وفي الحالات التي تنطوي على أنواع أخرى من التهديد، سوف تقدم مساعدة عسكرية واقتصادية عندما يُطلب وبالشكل المناسب، لكننا نحرص على أن تتحمل الأمة التي تتعرض مباشرة للتهديد مسؤولية تقديم القوة البشرية لدفاعها».

وكان لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط هدف آخر، وكان في الأصل هدفاً مستقلاً تماماً. فدعم الولايات

المتحدة لإسرائيل، الذي يعود تاريخه الى ما قبل إنشاء الدولة اليهودية في عام ١٩٤٨، ترجع جذوره إلى السياسة الأمريكية الداخلية. كان الأمريكيون، وليس «اللوبي اليهودي» فقط، يرغبون في أن تبقى اسرائيل وتزدهر، بالرغم من أن بقاء اسرائيل ذاته كان ذا فائدة محدودة للولايات المتحدة. وكانت اسرائيل بعد كل شيء دولة صغيرة تسيء الى سياسة الاستقرار في الشرق الأوسط بدلاً من أن تدعمها. لكنها لم تلبث أن أصبحت دولة قوية جداً، الدولة الوحيدة المستقرة في الشرق الأوسط التي تملك (حكومة ديمقراطية) وقوة عسكرية هائلة. فسُهلّت هذه المؤهلات العسكرية تعاون اسرائيل مع فرنسا في الخمسينات ومع الولايات المتحدة بعد أواسط الستينات. وكان البنتاغون ينظر إلى القوة الجوية الاسرائيلية على أنها (الرادع الفعال بثمان بـمخس)^(٣١) ضد التحركات السوفيتية في البحر الأبيض المتوسط، وصارت اسرائيل توصف بصورة مختلفة مثل (قلعة) ضد التوسع السوفيتي و (حصن) ضد الشيوعية في الشرق الأوسط. كانت سياسة ترومان بتأييد خلق اسرائيل قد لقيت معارضة في عام ١٩٤٨ من وزارات الخارجية والدفاع والبحرية ومن جانب هيئة رؤساء الأركان المشتركة، الذين كانوا يخشون، في

حالة النضوب السريع لاحتياطي النفط الأمريكي، أن تؤثر السياسة الأمريكية في إمدادات النفط بالمستقبل، وكانوا يعتقدون أن العرب يمكن أن يلتفتوا نتيجة لذلك إلى الاتحاد السوفيتي^(٣٢). وثبت أن هذه المخاوف كانت تنطوي على بعد نظر. فقد بدأ العرب فعلاً يلتفتون إلى الاتحاد السوفيتي بعد سبع سنوات، وكان ارتباط أمريكا بإسرائيل هو المسؤول بالدرجة الأولى عن تزويد الاتحاد السوفيتي بمنفذ عسكري في المنطقة. إلا أن التناقض الرئيسي بين الهدافين الأمريكيين، احتواء النفوذ السوفيتي، ودعم إسرائيل، لم يصبح حاداً إلا في أواخر الستينات عندما انكشف أمرهما بظهور دور إسرائيل كوكيلة للأمريكيين في الشرق الأوسط، لأنه بعد ١٩٦٧ أصبح الأمريكيون فعلاً سجناء للنصر الذي أحرزه زبونهم مثلما أصبح الاتحاد السوفيتي فعلاً حبيساً للهزيمة التي لحقت بزيائنه. إن الدعم الأمريكي لإسرائيل التي ترفض التنازل عن الأمن الحدودي الذي يحته بصورة غير منتظرة بعد سنوات من عدم الأمن. دفع دول المواجهة العربية إلى الاعتماد على الاتحاد السوفيتي اعتماداً يزداد عمقاً من دون توقف فيما يظهر. وهذه الصورة كان الأمريكيون يواجهون إمكان تبلور الصراع العربي—الإسرائيلي في صورة يكون فيها السوفييت هم

وحدهم المدافعين عن العرب ، بينما ينعزل الأمريكيون بالتدريج في دعمهم لاسرائيل ، مما يفقدهم على المدى الطويل صداقة حتى أنظمة الحكم المحافظة مثل الأردن والعربية السعودية . وإذا حدث تطور من هذا القبيل فإنه سوف يزيد من التغلغل السوفيتي في المنطقة ويبعد أمريكا عن إمكان استغلال نفوذها عند العرب والاسرائيليين من أجل الوصول الى تسوية ، كما أنه سوف يعني ، على حد قول الدكتور كيسنجر : « إن أي صراع في الشرق الأوسط سوف يتخذ صفة المواجهة بين الدولتين العظميين التي لا يوجد لها حل »^(٣٣) .

لهذا جرت منذ عام ١٩٦٩ محاولات أمريكية متكررة لكن غير ناجحة للوصول الى شكل من التسوية للنزاع العربي — الاسرائيلي . أعادت إدارة نيكسون تأكيد السياسة الأمريكية التقليدية القاضية بعدم التحيز في النزاع العربي — الاسرائيلي ، موضحة أيضاً أنها حين تضمن أمن اسرائيل لن تكفل لها فتوحاتها^(٣٤) . وقبيل حرب عام ١٩٧٣ قامت الإدارة الأمريكية بأربع مبادرات منفصلة للتسوية المقترحة بين اسرائيل ومصر والأردن في تشرين أول عام ١٩٦٩ ، واتفاقية وقف اطلاق النار

على طول قناة السويس في آب عام ١٩٧١، ومقترحات لمحادثات عن قرب، قبلتها اسرائيل فقط، في شباط ١٩٧٢، لكن الظروف السياسية اللازمة لإنجاز تسوية سياسية بقيت غير مواتية حتى حرب تشرين حين ظهرت ضرورة الحل السياسي مع إدراك واشنطن المتزايد أن الدعم الأمريكي لاسرائيل لايتماشى على المدى الطويل مع المطالب الأمريكية الكبيرة المتوقعة من النفط المستورد من الشرق الأوسط. وبالفعل صرح مساعد وزير الخارجية الأمريكية «سيسكو»، في تموز عام ١٩٧٣، في التلفزيون الأمريكي بأنه على الرغم من أن المصالح الأمريكية تتوافق والمصالح الاسرائيلية في معظم القضايا، توجد استثناءات، وذكر منها على سبيل المثال، النفط^(٣٠).

ونشأت مشكلات من التوفيق بين المصالح النفطية الأمريكية المباشرة حديثة العهد في الشرق الأوسط والإطار الراهن للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، ظهرت بعض دلائلها في التناقض الملحوظ بين التهديدات الأمريكية في كانون الثاني ١٩٧٥ بغزو العربية السعودية، وإعلان الولايات المتحدة، بعد أسابيع، أن مدنيين أمريكيين سوف يدربون الحرس الوطني السعودي على الدفاع عن منشآت النفط. لكن مهما كانت

مشكلات التوفيق بين أهداف السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، تبقى حقيقة أن هذه الأهداف كلها تنطوي على بعض الدفاع الأمريكي عن الوضع الراهن ، وهو دفاع كان يعتمد كثيراً على توافر النفوذ الأمريكي ، والقوة العسكرية الأمريكية ، هذا على الرغم من أن الأمريكيين كانوا حريصين على تجنب الالتزامات الرسمية في المنطقة .

إن تلخيص إطار السياسة الأمريكية أسهل جداً من تلخيص إطار السياسة العسكرية السوفيتية . فالمعلومات المبنية على الوقائع غير كافية ، والدرجة العالية من الانتهازية في السياسية السوفيتية تجعل من الصعب جداً تحديد أية أولوية واضحة في الأهداف ، فقد حاول الاتحاد السوفيتي في الأربعينات استغلال الظروف المائعة التي خلقتها الحرب العالمية الثانية بقصد مدّ نفوذه في الأقطار الواقعة على حدوده الجنوبية . من هنا كانت قصة المحادثات بين «مولوتوف وروبرتروب» في عام ١٩٤٠ التي يشار إليها كثيراً^{٣٦} . ومطالبة السوفييت في عام ١٩٤٥ بقاعدة على البوسفور وبمقاطعة «قارص واردهان» التركية ، مع منفذ على البحر الأبيض المتوسط . وفي عام ١٩٤٦ رفض الاتحاد السوفيتي

الجلء عن أذربيجان الإيرانية. لكنه تراجع في جميع هذه المواقف بسبب المعارضة الصارمة من جانب تركيا وإيران، المعارضة المدعومة من الولايات المتحدة. وبعد فترة طويلة استطاع السوفييت في أواسط الخمسينات الحصول للمرة الأولى على مدخل عسكري محدود إلى العالم العربي. وكانت تملي أفعالهم بدرجة كبيرة اعتبارات أمنية دفع إليها بصورة مباشرة في عام ١٩٥٥ تشكيل حلف بغداد الذي هدّد بإتمام حلقة الأحلاف العسكرية المؤيدة للغرب حول الاتحاد السوفيتي، والتي كانت تضم حلف الناتو في أوروبا وحلف السيأتو (SEATO) في جنوب شرقي آسيا. وأدى هذا، إلى حد ما، إلى جر السوفييت إلى المعركة الدائرة بين الاتجاه المحافظ والثورة. لكن يبدو أنها كانت معركة لم يكونوا مستعدين لخوضها عسكرياً أو كانوا غير قادرين فعلاً على القيام بدور كبير فيها.

ولم يظهر إلا في الستينات دليل على محاولات السوفييت تعزيز دورهم السياسي في الشرق الأوسط^(٣٣). في تلك الفترة كان الاتحاد السوفيتي بصدد البحث عن تسهيلات في الشرق الأوسط لأسطوله في البحر الأبيض المتوسط^(٣٤). وازدادت الحاجة إلى مثل هذه التسهيلات مع تزايد القوات السوفيتية التقليدية

المنقولة في أواخر الستينات وأوائل السبعينات . ويرجع الفضل إلى حد كبير في نجاح هذا البحث عن التسهيلات ، وهو نجاح لم يعمّر طويلاً ، إلى حرب الأيام الستة . لكن الحرب ، على الرغم من مجيئها في وقت كان السوفييت قادرين فيه على تقديم عون عسكري أكبر والقيام بتهديدات عسكرية قوية في المنطقة ، قد ورطتهم توريطاً عميقاً في دعم زبائن منهمكين في صراع مستمر مع خضهم قوي ، ولا يمكن السيطرة عليهم إلا بمقدار . أصبحت مشكلة الاتحاد السوفييتي الأساسية إذن حاجته الى تعزيز موقعه في الشرق الأوسط . وكان معنى هذا ليس فقط الحاجة الى استعادة زمام المبادرة في الأحداث التي صارت تمس سمعته وأمن تسهيلاتة العسكرية ، بل الحاجة أيضاً الى الاعتراف بالدور السوفييتي كقوة شرق أوسطية ، قوة لا بد من استشارتها في القضايا الإقليمية الكبرى ، ولاسيما التسوية العربية — الاسرائيلية . ويظهر أن السوفييت أدركوا أنه مادام من غير الممكن إزاحة النفوذ الأمريكي من الشرق الأوسط ، فلا بد لهم من الوصول الى نوع من التلاؤم مع واشنطن . إن مفهوم الحكم المشترك أو السيطرة الثنائية ذو جذور عميقة في نظرة السوفييت الى العالم وإلى الصراع الطبقي الدولي ، وقد تقدم الاتحاد السوفييتي به فيما يتعلق

بالشرق الأوسط في أكثر من مناسبة منذ عام ١٩٤٨^{١٣٧}. لكن في حين كانت الولايات المتحدة في ١٩٦٩ راغبة فيما يظهر في التفاوض مع موسكو حول الشرق الأوسط، نجدها بعد حرب تشرين تعتمد إبعاد السوفييت عن جهود كيسنجر لإحلال السلام.

وإذن بينما كان الاتحاد السوفييتي بصورة واضحة تماماً قوة تصحيحية في الشرق الأوسط، نجد أن عشرين عاماً من التورط السياسي قد حرّمته من حرية العمل الحقيقية. إن الاعتبارات الأمنية هي التي كانت في الأصل تملّي بدرجة كبيرة تورطه في الشرق الأوسط بعد الحرب. لكن السعي إلى القضاء على النفوذ العسكري البريطاني كان شيئاً، وكان شيئاً آخر تماماً منع الولايات المتحدة من الحلّول محلّ النفوذ العسكري البريطاني، والسعي إلى إقامة تسهيلات عسكرية ومواقع سياسية خاصة به في منطقة ما تزال حساسة جداً للتغلغل الأجنبي. إن الحاجة إلى الدفاع عن مصالح الاتحاد السوفييتي الفرعية التي نشأت لأسباب أخرى على مرّ السنوات العشر الأخيرة هي إذن التي أخذت تملّي إلى حد كبير مستوى تورطه العسكري في أواخر الستينات وأوائل السبعينات. لم يكن أحد يشك في وجود مطامح للاتحاد السوفييتي

في المنطقة، ولكن كان من المشكوك فيه جداً وجود أهداف له ذات أولوية أو أية استراتيجية بعيدة المدى له لتحقيق تلك الأهداف.

الحواشي

- ١ — قوة الطوارئ الدولية رقم ١ في سيناء، التي شُكِّلت في عام ١٩٥٦. وقوة الطوارئ الدولية رقم ٢ في سيناء التي شُكِّلت في عام ١٩٧٣، وقوة الأمم المتحدة لمراقبة فك الارتباط على مرتفعات الجولان التي شُكِّلت في عام ١٩٧٤.
- ٢ — النمسا والدنمرك وفنلندا والنرويج وبولندا والسويد ويوغوسلافيا.
- ٣ — غانا والسنغال.
- ٤ — البرازيل والبنما والبيرو.
- ٥ — اندونيسيا ونيبال والهند. وقد قدم كل من الهند والباكستان تدريباً عسكرياً وخصوصاً الطيارين الى عدد من أقطار الشرق الأوسط.
- ٦ — وهذه تشمل كوبا، وتشيكوسلوفاكيا، وألمانيا الشرقية، وكوريا الشمالية، وفيتنام الشمالية. بالإضافة الى ذلك كانت السفن البحرية البلغارية تقوم بتدريبات مع الوحدة البحرية السوفيتية، في البحر الأبيض المتوسط. وفي أوائل السبعينات كانت السفن البلغارية هي السفن الوحيدة غير السوفيتية في حلف وارسو

التي زارت مرفأً عربياً. جورج س. دراغنيس (بحث الاتحاد السوفيتي عن منفذ الى التسهيلات البحرية في مصر قبيل حرب حزيران ١٩٦٧). في ماكواير، بوث، ومكدونل، السياسة البحرية السوفيتية: أهدافها وقبورها، ص ٢٦٤. —٧ إن الدوافع الكوبية غامضة بشكل خاص. المقالات التي نشرت في انترناشيال هيرالد تريبون في ٣ شباط و ٢ آذار ١٩٧٦ أشارت الى مزيج من العقائدية والانتهازية والرغبة في تحقيق الأغراض السوفيتية في البلدان الأخرى. لاحظ أيضاً الوجود الكوبي في أفريقيا وخصوصاً دورهم في العمليات في أنغولا في أواخر ١٩٧٥.

—٨ كانت مصلحة فرنسا المستمرة في لبنان واضحة من العروض الفرنسية لارسال قوة لحفظ السلام التي قدمها الرئيس «جيسكار ديستان» في ربيع ١٩٧٦.

—٩ أنظر الجدل في بريطانيا في أواسط وأواخر الستينات حول مستقبل الوجود البريطاني (شرقي السويس). يمكن الوقوع على خلاصة مقيلة في الفصل الثامن من الوزارة لباترك كوردن ووكر.

—١٠ العضو الآخر من الناتو الذي أسهم في قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام هو: كندا.

—١١ وتابع السير ألك دوغلاس هوم (كان هذا التزاماً من العالم الغربي

كله). وفيما بعد تقدمت بريطانيا بعرض للمشاركة في قوة دولية لحفظ السلام. لكن سياسة بريطانيا في أثناء الحرب التي تضمنت حظر السلاح عن الطرفين، وهو حظر كان أشد ضرراً لإسرائيل منه للعرب، كان عرضة للنقد الشديد في ذلك الحين، في كل من بريطانيا وإسرائيل.

١٢ — الرئيس نيكسون في مقابلة صحفية، وردت في *جوهش كرونيكل*، ١٢ كانون أول ١٩٧٥.

١٣ — لأسباب مماثلة اتخذت اليابان وألمانيا الغربية أيضاً خطأً يحظر بشدة بيع السلاح لمناطق الصراع تتضمن الشرق الأوسط، بالرغم من أن ألمانيا الغربية كانت قد زوّدت إسرائيل بالأسلحة في أوائل الستينات كجزء من سياسة التعويضان عن الاضطهاد النازي لليهود.

١٤ — الغارديان، ٣١ آذار ١٩٧٦.

١٥ — بناء على أحد التقارير، في أثناء زيارة الرئيس السادات لألمانيا الغربية في آذار ١٩٧٦، كانت الدوائر الحكومية في ألمانيا الغربية هي أيضاً متلكئة في التفكير في ما يمكن أن يُعتبر بعثاً لفيلق أفريقيا. المصدر ذاته.

١٦ — انترناشيال هيرالد تريبيون، ٢٣ أيار ١٩٧٤.

١٧ — هارولد ماكميلان، *ركوب العاصفة*، ص ٢٨١.

١٨ — بناء على تقرير شمعون بيريز عن هذه الحادثة، تبين أن الموقف

الترونجي هو الذي كان حاسماً في إقناع إسرائيل بعدم متابعة السعي للانضمام الى الناتو . فقد كانت الحجج التي قدمها وزير الخارجية الترونجية الدكتور لانج ضد عضوية إسرائيل مشابهة جداً للحجج التي عارضوها بها عضوية اليونان وتركيا في الحلف .
مقلاع داود، ص ص ١٤٦ — ١٤٧ .

١٩ — انترناشيونال هيرالد تريبيون، ١٤ كانون ٢ ١٩٧٢ . بيد أنه رداً على نمو الأسطول البحري السوفيتي بعد حرب الأيام الستة، أنشأ حلف الناتو وحدة مراقبة جوية : القوات الجوية البحرية في المتوسط . كما أنشئت قوة جوية أخرى : القوة البحرية الخليفة تحت الطلب في المتوسط (NAVOCFORME) . وبعد حرب الأيام الستة نُقل عن ممثل أمريكا في حلف الناتو قوله (بينما يبقى الشرق الأوسط على العموم خارج «منطقة الناتو» ، يبقى البحر الأبيض المتوسط كله جزءاً من المنطقة الدفاعية التي تقول معاهدة الناتو إن انهجوم فيها على أحد أعضاء الحلف هو هجوم على كل الأعضاء فيه) .

٢٠ — واشنطن بوست، ٨ حزيران ١٩٧٠ . كانت هذه الأقطار قلقه من أن مثل هذه انبيعات يمكن أن تعرّض للخطر إمدادات النفط . وكان هناك قلق بصورة خاصة من رد الفعل الليبي ، لأن ٢٨ بالمائة من النفط الذي تستورده إيطاليا كان يأتي من ليبيا .

- ٢١ — الواشنطن بوست، ١٨ حزيران ١٩٧٠.
- ٢٢ — انظر الفصل ٣/.
- ٢٣ — ملاحظة: لاحظ أن خطوة ألمانيا الغربية جاءت بعد فرض العقوبات النفطية العربية.
- ٢٤ — واشنطن بوست، ٢٧ تشرين أول ١٩٧٣، وكرّد فعل على ما تنطوي عليه هذه العبارة من شعور ان لم يكن على العبارة ذاتها، ذكر أن مصدراً أوروبياً قال إن الحلف (ليس مجرد آلة في أيدي السياسة الخارجية الأمريكية) النيويورك تايمز، ١٣ تشرين ثاني ١٩٧٣.
- ٢٥ — لكن كان هناك أيضاً عنصر من المنافسة في حالتي فرنسا وبريطانيا في علاقاتهما مع الولايات المتحدة، حول الشرق الأوسط، فحتى ١٩٧٥ يقال إن المصادر البريطانية في عُمان كانت تشعر أن الأمريكيين يريدون إخراجهم من البلاد، بينما كان الأمريكيون يحتجون بأن البريطانيين هم الذين يتباطؤون في حرب ظفار وفي «تعمين» الجيش العماني لاطالة مواقع سيطرتهم في المنطقة ولجني الأرباح من التجارة وغير ذلك من الميزات. التايمز، ٧ شباط ١٩٧٥.
- ٢٦ — انظر الفصل ٧/.
- ٢٧ — ملاحظة: لكن في الأسبوع الأول للحرب تبثت الولايات المتحدة وكل من حلفائها الغربيين سياسة عدم التظاهر. ولم

يحدث التباعد في علاقات الولايات المتحدة بالحلف إلا مع
ظهور الجسر الجوي السوفيتي.

٢٨- في كانون أول ١٩٧٥ أخبر الدكتور كيسنجر السفراء
الأمريكيين في أحد اجتماعاتهم (أننا أصبحنا الآن أقرب إلى
المشاركة الأطلسية مما كنا نتصور في (عام أوروبا) في ١٩٧٣.
التايمز، ٨ نيسان ١٩٧٦.

٢٩- واشنطن بوست، ٧ كانون ثاني ١٩٧٥.

٣٠- في ١٩٦١ جرى تأكيد (القرار) مرة ثانية. وفي ١٩٧٠ قرر
أعضاء مجلس الشيوخ الذين اقترحوا إلغاء أو تخفيض
الالتزامات الأمريكية في سائر أنحاء العالم عدم منح التوصية
بنقض (القرار المشترك).

٣١- ادور سعيد (سياسة الولايات المتحدة وصراع القوى في الشرق
الأوسط)، مجلة الدراسات الفلسطينية، ربيع ١٩٧٣، ص
٣٨.

٣٢- وليم كواندت، (سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط،
القيود والاختيارات). في: هاموند وألكسندر، ديناميات
السياسة في الشرق الأوسط، ص ٤٩٧.

٣٣- المؤتمر الصحفي، ١٨ حزيران ١٩٧٤.

٣٤- انظر مقالة ستوارت ألسوب في نيوزويك، ٣ آب ١٩٧٠.

٣٥ — روبرت فريدمان، السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط منذ

١٩٧٠، ص ١١٦.

٣٦ — للاطلاع على تقرير يضع في منظور تاريخي هذا الحادث الذي

يُشار إليه كثيراً، أنظر «هانز أدوميت»، (السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط: مشكلات التحليل)، الدراسات السوفيتية، نيسان ١٩٧٥، ص ص ٢٩٦ — ٢٩٧.

وبمناسبة هذه الحادثة إنما صرح الاتحاد السوفيتي أن مطالبه هي في (المنطقة الواقعة الى الجنوب من باصوم وباكو في الاتجاه العام نحو الخليج العربي). ويعتقد أدوميت أن التصريح السوفيتي قد صدر لدواعٍ تكتيكية كبرّة على الضغط الألماني.

٣٧ — فريدمان، المصدر السابق، ص ص ١٩ — ٢١.

٣٨ — إن انشاء الوحدة البحرية السوفيتية في البحر الأبيض المتوسط

ربما كان في الأصل رداً بالدرجة الأولى على وجود شبكة الأسلحة الاستراتيجية الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط.

٣٩ — كورال بيل (الشرق الأوسط: إدارة الأزمة في أثناء الوفاق)،

الشؤون الدولية، تشرين أول ١٩٧٤، ص ٥٣٥. في عام

١٩٤٨ أيد الاتحاد السوفيتي إنشاء قوة سوفيتية أمريكية

مشتركة لفرض تقسيم فلسطين. وخلال أزمة السويس اقترح

الروس ثانية تدخلاً مشتركاً من الولايات المتحدة والاتحاد

السوفيتي. وفي أواخر مايو ١٩٦٧ اقترحوا عقد مؤتمر ثنائي

أمريكي سوفيتي للاتفاق على خطة مشتركة لفرض تسوية.
وبناء على مقاله برينجيف عن زيارته للولايات المتحدة في صيف
١٩٧٣، (جعلت نكسون يسهر طوال الليل تقريباً بشأن
الشرق الأوسط، محاولاً إقناعه بالحاجة الى عمل مشترك، وبأن
انفجاراً سوف يقع إن لم نفعل هذا)، انترناشينال هيرالد
تريبون، ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٤.

الفصل الثالث

متطلبات السياسة العسكرية

ان المتطلبات اللازمة لاتباع سياسة عسكرية في الشرق الأوسط، غير تلك اللازمة لتقديم الامدادات العسكرية المحدودة، هي متطلبات سياسية وعسكرية على حدّ سواء. وهي تتضمن لاتوافر قوات التدخل المتخصصة والبنية التحتية الأساسية الضرورية للسماح بانتشارها في المنطقة فحسب بل توافر منفذ عسكري في الشرق الأوسط أيضاً، وموافقة تلك الأقطار الواقعة في الطريق التي تقدم تسهيلات للدعم أو التي لا بد أن تمنح حقوق الطيران فوق أراضيها، بالإضافة إلى مناخ سياسي داخلي راغب في تأييد سياسة عسكرية أو في قبولها على الأقل. وتدل تجربة كل من الأوربيين السابقين والدولتين العظميين أنه لا يمكن اعتبار أي من هذه المتطلبات أمراً مفروضاً منه. ولا يمكن اتباع سياسة عسكرية طويلة الأجل إلا إذا أمكن قبولها داخلياً. وتدل

دراسة الوجود العسكري البريطاني في العقدين الأخيرين في الشرق الأوسط على أن صانعي القرارات أصبحوا حساسين بصورة متزايدة لردود فعل الرأي العام على أية استجابة عسكرية إزاء الأزمات الإقليمية. وكان الموقف العدائي بشكل عام ضمن حزب العمال ضد استمرار وجود عسكري بريطاني «شرقي السويس» عاملاً هاماً في اتخاذ القرار النهائي بالانسحاب من الخليج^{١١}. وبينما لا يبدو أن صانعي القرارات السوفيت يخضعون لمثل هذه القيود^{١٢}، نجد في الولايات المتحدة أن المزاج العام تجاه اتباع سياسة عسكرية أصبح أكثر تقييداً نتيجة فييتنام ولتزايد سيطرة الكونغرس على السياسة الخارجية. وقد أظهرت السلطة التشريعية أنها تفوق السلطة التنفيذية تشاؤماً من الآلة العسكرية، واتخذت وجهة نظر أدعى إلى الاطمئنان بشأن التنافس بين الدولتين العظميين في العالم الثالث، وكانت مهتمة بالحكم على السياسة العسكرية بناء على استمرار المنفذ العسكري لا بمقياس لعبة أمريكية سوفيتية تكون السمعة فيها كل شيء.

حدثت هذه التطورات مع نمو المصلحة العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط نتيجة لازدياد التوترات سوءاً في أعقاب حرب الأيام الستة ونمو التغلغل السوفيتي في المنطقة

وبعد أواسط الستينات، إذن، أصبحت سلسلة كاملة من القضايا المرتبطة بالسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط موضعاً للجدل. فقرار «مانسفيلد» الذي صدر في ١٩٦٩ ودعا إلى تخفيضات كبيرة في القوات الأمريكية المربطة بصورة مستديمة في أوروبا، كان يعني بصورة خاصة الوحدات البحرية، على الرغم من أن الأسطول السادس كان أقل تعرضاً للتدقيق من القوات الأمريكية في ألمانيا الغربية. وقد قوبل قرار الولايات المتحدة بالابقاء على وجودها المحدود في البحرين بعد انسحاب بريطانيا من الخليج، وقرارها بتوسيع التسهيلات البحرية الأمريكية في جزيرة «دييغو غارسيا» في المحيط الهندي بمعارضة من الكونغرس^(١). ولقي معارضة أيضاً الدعم الأمريكي لإسرائيل على الرغم من اللوبي المؤيد لإسرائيل. وتبين أن الرأي العام الأمريكي، على الرغم من أن معظمه مؤيد لإسرائيل، حساس جداً لأي تطور في العلاقات العسكرية مع إسرائيل إذا كان من شأنه أن يؤدي إلى تورط عسكري أكبر معها. لذلك كان هناك معارضة للمنحة المؤلفة من ٢٢ بليون دولار بعد حرب يوم الغفران^(٢)، وللمرابطة ٣٠٠ مدني أمريكي للعمل في محطات الانذار المبكر في سيناء بموجب اتفاقية فك الارتباط الثانية بين مصر وإسرائيل. وكانت

تجري مقارنة هذه الحالات وأمثالها بالتورط الأمريكي في فيتنام، على أساس أن هذا التورط الأخير قد نشأ في الأصل من علاقة ضعيفة قائمة على نقل إمدادات السلاح^(١٢). وبالفعل أصبحت قضية نقل المواد العسكرية الى الشرق الأوسط موضعاً للنظر عقب الزيادة الهائلة المفاجئة في مبيعات الأسلحة الأمريكية في أوائل السبعينات. فاحتج المتقنون بأن سياسة الادارة الأمريكية ينقصها التنسيق وبأن الولايات المتحدة بتشجيعها سباقات التسليح المتعددة في الشرق الأوسط لا تكفي بالاسهام في خلق عدم الاستقرار في المنطقة، بل تعرض نفسها أيضاً لخطر التورط في الصراعات المقبلة نتيجة لوجود فرق التدريب الأمريكية على نطاق واسع. وقد تم إدخال تشريع الى الكونغرس لمراقبة الصفقات الكبيرة لمبيعات الأسلحة^(١٣). وفي عام ١٩٧٥ اقترح السيناتور «ادوارد كندي» تعليق مبيعات الأسلحة الأمريكية الى الخليج مدة ستة أشهر^(١٤). وعلى الرغم من عدم تبني هذا الاقتراح، فإن ضغط الكونغرس في عام ١٩٧٦ أدى إلى تخفيض في إمدادات العربية السعودية من الصواريخ. وجاءت قيود إضافية على نقل الأسلحة من جانب التكتلات العرقية (اللوبيات العرقية). فاللوبي المؤيد لليونان كان مسؤولاً الى حد كبير عن

تعلق شحنات الأسلحة الى تركيا بعد غزو تركيا لجزيرة قبرص في صيف ١٩٧٤ ، بينما كان اللوبي المؤيد لاسرائيل في عام ١٩٧٥ يعارض مختلف مبيعات الأسلحة الى الأفطار العربية متضمنة شبكة صواريخ مضادة للطائرات (هوك) الى الأردن ، وصفقة مؤلفة من طائرات نقل جوي من طراز «هركول C/30» الى مصر في ١٩٧٦ ، وهي أول شحنة إمدادات عسكرية أمريكية الى مصر منذ سنوات عديدة . لكن هذه المعارضة لم تكن تبليغ درجة البقض (الفيقو) وكانت السلطة التنفيذية في الحقيقة تمضي في سبيلها في معظم القضايا سالفة الذكر . لكن الرأي العام على الرغم من هذا كان قيئاً للسياسة العسكرية . يتضح هذا من صدور مبدأ نيكسون الذي أيد نقل الموارد العسكرية الأمريكية لا التدخل الأمريكي المباشر ، كما يتضح من عدد من الأمثلة المعينة التي أظهرت فيها الإدارة الأمريكية تريئاً في الاستجابة عسكرياً للتطورات في الشرق الأوسط . وإصرار الرئيس جونسون على العمل المشترك لا العمل وحيد الجانب لضمان حرية الملاحة في مضائق تيران في أيار ١٩٦٧ ، وعدم رغبته في القيام بأي عمل من دون إصدار قرار جديد من الكونغرس يفوض الرئيس باستخدام القوة ، على الرغم من أن (القرار المشترك) الذي صدر

في عام ١٩٥٧ كان لا يزال نافذ المفعول، كان إصرار الرئيس جونسون يمليه الجدل الذي ثار بسبب فييتنام وجرد (الادارة) من حرية التصرف في موقف يتحرك بسرعة^(١١). وبعد ثلاث سنوات ساعدت اعتبارات مماثلة في عدم رغبة (الادارة) في الردّ بشكل ظاهر على تزايد وجود الدفاع الجوي السوفيتي في مصر وعدم رغبتها في التدخل فيما بعد في أزمة ايلول الأردنية^(١٢). لكن القيود الداخلية لم تمنع التطورات التهديدية، ولم تكن على ما يبدو لتحول دون القيام بشكل من التدخل المباشر لو أن الموقف في الأردن ازداد سوءاً^(١٣). ويظهر أن مجال العمل المسموح به للادارة في أمور الشرق الأوسط العسكرية يتوقف كثيراً على متغيرات مثل درجة آنية الأزمة، والقيادة التي تقدمها السلطة التنفيذية، ونوع السياسات التي تتبعها.

وكان التدخل العسكري الى الشرق الأوسط يُعتبر قيداً أشد لسياسة كل من الدولتين العظيمين، لأنه كان محدوداً بالأقطار والظروف التي يتوافر فيها، ولأنه في أغلب الأحيان لا يُركن اليه على المدى الطويل. وقد تمتعت الولايات المتحدة عن طريق اسرائيل بمدخل عسكري الى الصراع العربي الاسرائيلي، وعن

طريق الأردن والعربية السعودية ولبنان في بعض الأحيان بمدخل عسكري الى الصراع بين الحركات القومية والاتجاهات المحافظة، وعن طريق الدول الاسلامية غير العربية في كل من تركيا وايران بمدخل الى «دول الحزام الشمالي» (Northern Tier)، وفي الحالة الأخيرة الى الخليج أيضاً. وهذه العلاقات لم تكن بصورة عامة لتولد أي احتكاك نسبياً لأن الظروف التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى فيها الى مدخل عسكري كانت مقصورة على ضمان أمن الدول المعنية والأنظمة ذات العلاقة. لكن يرجع ضعف وضع المدخل العسكري الأمريكي إلى أن قدرة الأنظمة المحافظة على البقاء لم تكن أكيدة على المدى الطويل، وإلى اعتماد أمريكا الشديد نسبياً على دول غير عربية، وأبرزها اسرائيل وإيران.

تركز المدخل العسكري السوفييتي على الصراع العربي لاسرائيلي وعلى حواشي منطقة الخليج والجزيرة العربية. وكان اعتماده مقصوراً تقريباً على الدول الثورية — سورية، ومصر، حتى أواسط سبعينات على الأقل، بالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي، وعلى العراق والجمهورية العربية اليمنية، وجمهورية اليمن الشعبية لديمقراطية بالنسبة لمنطقة الخليج والجزيرة العربية. لكن كان

الاتحاد السوفييتي يعاني من أن الأهداف التي يسعى الى مدخل عسكري من أجلها لم تكن دائماً مقبولة من أصدقائه . فقد كانوا دائماً راغبين في العمل كوكلاء للسوفييت للقضاء على النفوذ الغربي أو لموازنة الزبائن الغربيين من الناحية الاستراتيجية ، وكان لدى السوفييت من أجل هذه الأغراض مدخل عسكري كاف لنقل الإمدادات العسكرية ، لكن المدخل العسكري للتهديد والعمليات كان أكثره مقصوراً على الصراعات التي لم يكن للاتحاد السوفييتي فيها أية مصلحة ذاتية أو سوى مصلحة قليلة . يضاف إلى هذا أنه في الحقيقة لم يرغب أي من أصدقاء الاتحاد السوفييتي منحه أي نفوذ حقيقي في صنع قراراته سواء فيما يتعلق بسياسته الخارجية أم الداخلية . كما أنهم لم يكونوا يريدون بسهولة تزويد الاتحاد السوفييتي بتسهيلات عسكرية .

ويبدو أن هذا الاعتبار الأخير قد سبب للاتحاد السوفييتي مشاكل كبيرة . فبينما كانت سياسة التصريحات لدى الاتحاد السوفييتي تعارض القواعد الأجنبية ، كانت العمليات تتطلب سياسة أخرى مختلفة ، لأن توسيع الأسطول السوفييتي في البحر الأبيض المتوسط في أول الأمر وفي المحيط الهندي فيما بعد ولد حاجة الى تسهيلات المرافئ المحلية^(١) ، وإلى قواعد أو محطات

مرور (ترانزيت) يمكن أن تقدم استطلاعاً جويّاً، أو غطاءً جويّاً في الحالات المثلّي أيضاً^(١١٠). ويمكن تقدير قيمة القواعد من أن أيام الإنجاز السوفييتية في الأبيض المتوسط تضاعفت ثلاث مرات تقريباً بعد أن توافرت لها في مصر التسهيلات البحرية، كما زاد عدد الغواصات من ٢ — ٤ الى ٦ — ٩ بعد أن أخذت سفن التموين تستخدم الأماكن المسقوفة لرسو السفن في الاسكندرية^(١١١).

أخذ الاتحاد السوفييتي منذ مرحلة مبكرة جداً في علاقاته بأصدقائه في الشرق الأوسط بتوسيع البنى الأساسية العسكرية الموجودة وتطويرها. فبدأ بعد انقلاب ١٩٥٨ في العراق بتحسين شبكة النقل المائي الداخلية بالاضافة الى ميناء البصرة^(١١٢). وفي أواسط الستينات فرغ المهندسون السوفييت من تطوير ميناء الحديد والمطارات في اليمن^(١١٣). ويقال إن التقنيين السوفييت كانوا في أواخر الستينات يشرفون على بناء الأرصفة والمستودعات ومرافق الصيانة في اللاذقية وطرطوس بينما كان الخبراء السوفييت يعملون في تحديث المطارات السورية التي أخذت تستقبل فيما بعد القاذفات السوفييتية^(١١٤). ويظهر أن من التطورات المرتبطة بهذا الموضوع تشجيع الأسطول المصري على النمو بشكل يفوق الحد

الضروري للأغراض المصرية المحددة، مما أضطر المصريين الى إيجاد البنية الأساسية الضرورية من المراسي وتجهيزات الموانئ التي يمكن فيما بعد استخدامها من قبل السفن السوفييتية^(١٧).

لكن الاتحاد السوفييتي عانى صعوبة كبيرة حينما حاول الحصول على تصريح باستخدام هذه التسهيلات، لأن الدول الثورية ظلت حساسة جداً لوجود أية مرافق عسكرية أجنبية فوق أراضيها. واحتاج الاتحاد السوفييتي الى ست سنوات للحصول على تسهيلات عسكرية في مصر^(١٨). وفي كانون أول عام ١٩٦١ بعد فترة وجيزة من فقدان القاعدة البحرية السوفييتية في ألبانيا، قام الأميرال «غوركوف» بأول زيارة من أربع زيارات لمصر قبل حرب يوم الغفران. ويقال أن السوفييت تقدموا بطلب الحصول على تسهيلات بحرية في نهاية ١٩٦٣، ولكن الطلب رُفض ولم يقبل به المصريون في آخر الأمر إلا بعد حرب الأيام الستة: لأن موقف السوفييت من المساومة كان قد قوي جداً نتيجة لهزيمة العرب وما تلاها من استئناف الإمدادات السوفييتية، وكان عبد الناصر راغباً في تسهيل انشاء قوة سوفييتية لمضاهاة قوة الأسطول السادس^(١٩). وفي أثناء زيارة «بودغورني» للقاهرة في ٢١ حزيران ١٩٦٧ طلب وضع محطة قيادة ورشة تصليح في الاسكندرية

تحت إشراف السوفييت وحراستهم . وعلى الرغم من أن هذين
المطلبين أثارا غضب عبد الناصر^(١١٠)، فقد مُنح السوفييت حوضاً
جافاً، وحوضين للتعويم وفناء للتصليح لاستعمالهم الخاص في
الاسكندرية . وفي آذار ١٩٦٨ جرى التوقيع على اتفاق رسمي
يُمنح الاتحاد السوفييتي بموجبه منفذاً الى (التسهيلات الواقعة في
البحر الأبيض المتوسط)^(١١١) . وفي العام ذاته أخذت طائرات
سوفييتية بقيادة طيارين سوفييت وشارت مصرية بالعمل في
القاهرة الغربية . وفي حزيران ١٩٧٠ أصبح السوفييت نتيجة
لاشرافهم على شبكة الدفاع الجوي المصري، يشرفون على حركة
سنة مطارات حربية هي : انشاص — المنصورة — جيانكليس —
بني سويف — القاهرة غرب — اسوان . وكان المطاران الأخيران
يتمتعان بأهمية خاصة^(١١٢) . وفي السنة التالية وُصفت مصر بأنها
أصبحت من وجوه كثيرة منطقة قواعد سوفييتية متقدمة^(١١٣) . وقد
جرى توسيع الوجود البحري فصار يشمل استخدام مرفأ المياه
العميقة الحديث في (مرسى مطروح) الذي كان للسوفييت فيه
تسهيلات للتخزين ولقضاء الاجازات على البر^(١١٤) .

ولكن هذه صورة لجانب فقط من المطالب السوفييتية،
فقد طالب الاتحاد السوفييتي قبل وفاة عبد الناصر وبعدها بأن

تقوم البحرية السوفيتية بحراسة الأماكن السكنية لعائلات السوفييت في مرسى مطروح وبرنيس الواقعة على البحر الأحمر^(١٠٠). وكانوا قبل ايلول ١٩٧٠ قد طالبوا بمنح السفن الحربية السوفيتية حق الدخول الى أي ميناء مصري من دون إعلام مسبق، ومنح القوة الجوية السوفيتية حق الهبوط في الأراضي المصرية والطيران في أجوائها بشكل دائم، واستخدام المطارات الحربية المصرية بعد بضع ساعات فقط من إعلام السلطات^(١٠١). بل قيل إن الاتحاد السوفيتي سعى في أيار ١٩٧٢ الى الحصول على إذن بإرسال فرقة محمولة جواً قوامها ٧٠٠٠ شخص الى مصر للمشاركة في مناورات مشتركة مع الوحدة البحرية السوفيتية في البحر الأبيض المتوسط^(١٠٢). وقد رفضت كل هذه المطالب. وفي ١٩٧٢ أخذ المصريون يشعرون بالذعر والمهانة من المطالب السوفيتية المتزايدة ولاسيما أن الدخول إلى بعض أماكن التسهيلات السوفيتية لم يكن مسموحاً به للضباط المصريين. ويقال إن الجنرال صادق قد أعلم الضباط المصريين أنه مادام وزيراً للحربية (لن يحصل الاتحاد السوفيتي أبداً على قاعدة واحدة في مصر لأنه إذا دخل السوفييت مرسى مطروح وأقاموا فيها قاعدة فلن نستطيع أبداً إخراجهم منها)^(١٠٣). كانت هذه المشاعر عاملاً هاماً في اتخاذ قرار

لإلغاء الوجود السوفيتي ، وكان من بين مطالب السادات المحددة في تموز ١٩٧٢ وضع مقرات التسهيلات السوفيتية المقامة منذ ١٩٦٧ تحت الاشراف المصري .

بهذه الصورة فقد السوفييت إشرافهم على المطارات الحربية المصرية الستة ، ومن ضمنها مطار غرب القاهرة . الأمر الذي كان يعني انسحاب سرب طائرات (Tu16) التي كانت تقوم بمهام استطلاعية ضد الأسطول السادس^(٢٢) . وخفضت كثيراً الامتيازات الممنوحة للسوفييت للتزود بالوقود^(٢٣) ، لكن سُمح لهم بالاحتفاظ ببعض مرافق الصيانة في الاسكندرية . لم يكن المصريون على استعداد لقطيعة كاملة ، ويظهر أنهم أدركوا أن التهديد بسحب هذا الامتياز الأخير كان وسيلة مفيدة للضغط على الاتحاد السوفيتي^(٢٤) . كانت اتفاقية (تسهيلات السوفييت في البحر الأبيض) الموقع عليها في عام ١٩٦٨ تنتهي في عام ١٩٧٣ فأبدى المصريون في كانون أول ١٩٧٢ رغبتهم في تجديدها على الرغم من أن طلبهم وُضع بصيغة توحى بأن القرار النهائي يتوقف على كمية شحنات الأسلحة السوفيتية ونوعها^(٢٥) . ويظهر أن هذه الشحنات كانت كافية^(٢٦) . لكن تبين أن الاتفاقية الجديدة غير مضمونة . وصرح السادات في نيسان ١٩٧٤ في

مقابلة صحفية ان مستقبل التسهيلات تحت الدراسة وأنه من الممكن أن يقرر المصريون اتخاذ تدبير مماثل لما حصل في يوغوسلافيا. ومعنى هذا تقديم تسهيلات لاصلاح السفن التابعة لجميع الأمم بشرط أن تتم الاصلاحات على أيدي العمال والخبراء المصريين^{١٠١}. وفي عام ١٩٧٥ توقف السوفييت عن استخدام مرسى مطروح وعن الرسو في مواجهة السلوم. وفي تموز وضعت قيود على دخول السوفييت الى الاسكندرية، وكان هذا فيما يظهر محاولة للضغط على الاتحاد السوفيتي لتأجيل استيفاء الديون المصرية^{١٠٢}. وأخيرا سُحِت في نيسان ١٩٧٦ تسهيلات الاسكندرية عقب إلغاء (معاهدة الصداقة والتعاون)^{١٠٣}.

استطاع الاتحاد السوفيتي إذن، الاحتفاظ بتسهيلاتهِ العسكرية في مصر لمدة ثماني سنوات فقط، ومن المشكوك فيه أنه كان يستطيع إحراز مثل هذا النجاح لولا الصراع العربي الاسرائيلي. والدولة الوحيدة الأخرى التي سمحت للاتحاد السوفيتي بتدخل الى التسهيلات البحرية لفترة طويلة كهذه هي سورية. وكان السوريون، كالمصريين، تدفعهم الحاجة الى الأسلحة السوفيتية وما يرافق انحود العسكري السوفيتي من شعور بالأمس. لكن كان عيب الماذقية مضطروس أنهما صغيرتان

نسبياً، ويظهر أن السوريين رفضوا طلبات السوفييت المتكررة للحصول على تسهيلات خاصة بهم شبيهة بتلك التي كانوا يتمتعون بها في الاسكندرية، واكتفوا بالسماح للوحدة البحرية السوفييتية في المتوسط بالتزود بالوقود والقيام بتوصيلات على نطاق ضيق^{١٣١}.

وتبين أيضا أن تلك الأقطار الأقل اعتمادا على المدد العسكري السوفييتي أقل استعداداً لتقديم التسهيلات العسكرية، فكانت ليبيا والجزائر متشددين جداً بالنسبة للتسهيلات التي ترغبان في تقديمها^{١٣٢}. والتسهيلات السوفييتية الرئيسة في شرق قناة السويس أقيمت في الصومال. وعلى الرغم من أن سرباً من قاذفات (Tu22) كان يربط في العراق في عام ١٩٧٣ ومن أن الاتحاد السوفييتي كما قيل كان يملك حق استخدام عدد من المطارات الحربية العراقية، يظهر أن الدخول الى ميناء أم نصر كان محظوراً^{١٣٣}. ويقال إن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية رفضت طلبات الاتحاد السوفييتي بشأن تسهيلات بحرية عند مدخل البحر الأحمر^{١٣٤}. وحتى عام ١٩٧٥ لم يكن عدد الجنود السوفييت الموجودين بصورة دائمة قريباً من الشواطئ يتجاوز بضعة عشر رجلاً مع ضرورة اتخاذ ترتيبات مسبقة للزيارات التي

يقوم بها الأسطول^(١١٠). وكانت السفن التي تحمل الامدادات وبعض السفن الحربية الصغيرة فقط هي وحدها التي يسمح لها من حين الى آخر بالتزود بالوقود في عدن، هذا مع أن طائرات النقل السوفيتية كانت تهبط بصورة دورية في قاعدة (١٠٠٣) سابقاً في خور ماخصر^(١١١). وقيل إن النشاط العسكري السوفيتي المحدود جداً كان يجري في جزيرة سوقطرا لكن الممر الجوي هنا محدود، وعلى الرغم من أن الأسطول السوفيتي كان يرسو مقابل الجزيرة، لم يكن له فيها منذ أوائل ١٩٧٥ مستودعات للوقود أو تسهيلات موانئ^(١١٢). وهكذا بعد مضي أكثر من عشر سنوات على دخول السفن السوفيتية لأول مرة مياه الشرق الأوسط لم يتوافر للسوفيت أية تسهيلات مضمونة دائمة للتخزين أو للتصليح^(١١٣)، ولا أية قاعدة يمكن أن تزودهم باستطلاعات جوية أو بغطاء جوي. ومن المحتمل أنه لم يكن بالامكان تقديم التسهيلات للقوات السوفيتية إلا في الحالات الطارئة، وخصوصاً في حالة أزمة شرق أوسطية يكون أصدقاء الاتحاد السوفيتي متورطين فيها. ويقال إنه في عام ١٩٧٢ كان بالامكان استخدام ٦٧ مطاراً حربياً من هذا القبيل في مصر وسوريا والعراق^(١١٤).

أما القواعد الأمريكية في الشرق الأوسط فقد أنشئت في

العقد الأول من الحرب الباردة، على الرغم من أنها لم تكن في أي مكان تضاهي في الضخامة تلك التي أنشئت في أوروبا وآسيا. ولم تكن تشمل قوات برية باستثناء تلك التي أنشئت في تركيا، يضاف الى هذا أنه قد تم تخفيضها كثيراً بعد أواسط الستينات. وفي تقدير بعضهم أنه كان للولايات المتحدة في العالم العربي حوالي ٦٠ مطاراً حريباً ومرفقاً لتقديم الامدادات في بداية ذلك العقد مقابل أقل من عشرة في أوائل السبعينات^(١١٢). أصبح بعض القواعد لا لزوم له نتيجة التغييرات التقنية ومن ذلك عدد من قواعد الصواريخ عابرة القارات (IRBM) وقواعد الاشراف الجوي الاستراتيجي. وبعض القواعد سقطت أمام الضغط السياسي. ففقدت الولايات المتحدة مطار ويلس الحربي الكبير في ليبيا عقب انقلاب ١٩٦٩، بينما خفضت قواتها في تركيا من حوالي ٢٣٠٠٠ فرد في أوائل الستينات الى حوالي ٧٠٠٠ في عام ١٩٧٢^(١١٣).

وكان تخفيض الوجود الأمريكي في تركيا معظمه نتيجة الضغوط على العلاقات التركية الأمريكية التي حدثت خلال العقد السابق، ومن ذلك ضغط الجناح اليساري ضد وجود القواعد الأمريكية، ومشكلة قبرص. فألغت تركيا في تموز ١٩٧٥

اتفاقية الدفاع الأمريكي التركي المشترك المعقودة في ٣٠ تموز ١٩٦٩ وذلك رداً على الحظر الذي فرضه الكونغرس على شحن الأسلحة الى تركيا في أعقاب غزو تركيا لقبرص. وبينما ظلت تسهيلات الناتو NATO غير متأثرة، واستمرت (القوة الجوية التكتيكية الأمريكية الحليفة) المجهزة بأسلحة نووية تكتيكية، نجد تسهيلات الاستخبارات التابعة للولايات المتحدة قد توقفت عن العمل، وكان أهمها «برنكليل وكراموسل وسينوب ولباسي». ونشأ عن ذلك، بناء على ما قاله الدكتور شلسنجر، أن (جزءاً كبيراً) من تغطية الولايات المتحدة الاستخبارية للاتحاد السوفيتي قد تأثر. وبعضهم يقدر أن التأثير أصاب ٣٠٪ منها^(١١١). فقد كان للتسهيلات التركية^(١١٢) أهمية في مراقبة التطورات في أحواض السفن في البحر الأسود ولاسيما حوض «نيكولاييف»^(١١٣)، وكذلك التحركات العسكرية والمواصلات في النصف الجنوبي من الاتحاد السوفيتي، وفي البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، وهذا إلى جانب دورها في مراقبة التطورات في الأسلحة الاستراتيجية السوفيتية. وهكذا كانت التسهيلات التركية تلعب دوراً في دفاع الناتو (NATO) وفي دعم السياسة العسكرية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، لأنه من تركيا كان بالإمكان

مراقبة شحنات الأسلحة السوفيتية إلى الشرق الأوسط أو أية تحركات عسكرية سوفيتية ممكنة ذات صلة بالمنطقة^(١٧). كما كانت التسهيلات التركية تقدم معلومات حول اتصالات العربية أيضاً^(١٨).

إن المرفق الآخر الذي تعرض للضغط السياسي في أواسط السبعينات هو ميناء البحرين الصغير ففي أعقاب حرب ١٩٧٣ أعلنت حكومة البحرين عن رغبتها في إنهاء الاتفاقية المعقودة مع الولايات المتحدة بشأن قاعدة البحرين. لكن الحكومة بدلت نيتها خلال السنة التالية. وترددت في الاستغناء عن صديقتها القوية وربما كانت تريد كثيراً العمل بنصيحة إيران والعربية السعودية بضرورة بقاء الولايات المتحدة^(١٩). وبعد الاتفاقية المعقودة بين العراق وإيران في آذار ١٩٧٥ والبيانات الإيرانية العراقية المشتركة ضد أي وجود عسكري خارجي في الخليج، طالب البحرينيون مرة ثانية بترحيل الولايات المتحدة، وكان هذا في ٣٠ تموز ١٩٧٧ هذه المرة، وهو قرار ظهر فيما بعد ما يشير الى أن الحكومة ندمت على اتخاذه ولكنها لم تلغه^(٢٠).

يمكن للولايات المتحدة، مثل الاتحاد السوفيتي، أن تستخدم في حالة الطوارئ عدداً من التسهيلات أكبر^(٢١). وهي

تستخدم حتى في الظروف الاعتيادية تسهيلات أخرى على أساس مؤقت. فقد استخدمت القواعد البريطانية في قبرص لدعم إنزال القوات الأمريكية في لبنان في عام ١٩٥٨، من قبل طائرات (U2) الاستطلاعية عقب اتفاقيتي وقف إطلاق النار بين إسرائيل ومصر في ١٩٧٠ و ١٩٧٣، وفي دعم العملية الأمريكية لتنظيف قناة السويس^(١٠٠). ويقال إنه كان لا يزال للولايات المتحدة في عام ١٩٧٥ رجال وتجهيزات في قاعدة «هارتسبريم» الإسرائيلية التي استخدمتها طائرات الولايات المتحدة خلال عملية الإمداد في ١٩٧٣^(١٠١). وتملك الولايات المتحدة في منطقة الخليج تسهيلات لجمع المعلومات في إيران. وكانت سفنها تتزود بالوقود في قاعدة بندر عباس البحرية، بينما كانت طائراتها تستخدم في بعض الأحيان المطار المجاور^(١٠٢). وبعد مضي عشرة أعوام على توقف الولايات المتحدة في عام ١٩٦٢ عن الإشراف على قاعدة الظهران السعودية ظلت قيادتها الجوية العسكرية تستخدمها كقاعدة هامة للمرور. وهناك دلائل أخرى على اهتمام الولايات المتحدة بتوسيع التسهيلات العسكرية في منطقة الخليج العامة، اتضحت في أوائل ١٩٧٥ بسبب ازدياد النشاط البحري السوفييتي في المنطقة وعدم الاطمئنان الى مستقبل القواعد

الامريكية في اليونان وتركيا وجزر الآزور . وكانت هذه التسهيلات تتركز في عُمان وخصوصاً جزيرة (مصيرة) ذات الموقع الاستراتيجي في مدخل الخليج التي بنى البريطانيون فيها مطاراً كبيراً . وفي سنة ١٩٧٦ التي سبقت انسحاب البريطانيين أخذت طائرات الاستطلاع الأمريكية تستخدم مصيرة للتزود بالوقود في أثناء قيامها بمراقبة طرق مرور النفط^(١٢١) . وأعلن العمانيون أنهم سوف يسمحون لأمريكا باستخدام تسهيلات المرور والتموين في عُمان زمن السلم^(١٢٢) . ويقال إن المخططين في الولايات المتحدة كانوا يفترضون أن بإمكانهم استخدام قاعدة (شاه باهار) الإيرانية عند الحاجة إلى إرسال قوة مهمات إلى المحيط الهندي^(١٢٣) .

إن القوات المدعومة بهذه القواعد والتسهيلات المحدودة الأمريكية السوفيتية كانت متواضعة بصورة متناسبة . فلم يكن للدولتين العظميين القواعد البحرية والبرية والجوية المجتمعة التي كانت بريطانيا تحتفظ بها في عدن ، حتى أواخر الستينات . وباستثناء التواجد الأمريكي في تركيا الذي كان متصلاً الى درجة كبيرة بالناتو ، والتواجد السوفيتي المؤقت أكثر في مصر ، كانت قواتهما الدائمة المخصصة للشرق الأوسط كلها بحرية تقريباً . ونظراً

لطبيعة القوة البحرية المرنة، كانت مهمات هذه الأساطيل موجهة الى الشرق الأوسط بصورة جزئية فقط، وكانت متركزة في البحر الأبيض المتوسط حيث كانت القوات البحرية الأمريكية تعمل منذ الحرب العالمية الثانية. وكان الأسطول السادس أعظم قوة في الشرق الأوسط حتى الستينات، لكن بروز الأسطول السوفييتي في البحر الأبيض المتوسط قضى على احتكار الأسطول السادس البحري في المنطقة. وكان ازدياد تعقيد القوات الجوية المحلية وحجمها يعني أن جناحه الجوي قد أصبح نسبياً قوة جوية صغيرة بالمقاييس المحلية، على الرغم من أنه ظل متفوقاً من حيث لكيف في مهارات القيادة والدعم الإلكتروني والاشراف الأرضي^(١٦٦). وقد خُفض حجم الأسطول أيضاً، ونشأت مشاكل سياسية إقليمية. ذلك أن الساسة العرب في فضحهم «امبريالية الولايات المتحدة» هم واليسار في تركيا اعتبروا الأسطول السادس هدفهم الأول، الأمر الذي أدى الى تقليص دخوله العسكري، ولاسيما قدرته على زيارة الموانئ في شرقي البحر الأبيض المتوسط. وظلت سفن الأسطول السادس طوال سنة بعد حرب الأيام الستة ممنوعة من زيارة أي ميناء عربي. كما انخفض عدد زياراته لتركيا أيضاً^(١٦٧). لكن يبدو أن هذه القيود لم تكن دائمة. وقد دلّ على

تحسن العلاقات بين مصر والولايات المتحدة بعد عام ١٩٧٣ إسهام بحرية الولايات المتحدة في تنظيف قناة السويس وحضور سفينة العلم التابعة للأسطول السادس حفل افتتاح القناة في حزيران ١٩٧٥. وظل الأسطول قوة هائلة تتجمع حول حاملتين للطائرات انجومية ضخمتين تحمل كل منهما من ٧٠ الى ٩٠ طائرة. وكان في عام ١٩٧٦ يضم بالإضافة الى ذلك ١٦ سفينة سطح قتالية وكتيبة بحرية مدعومة و ١٨٠٠ جندي على ظهر وحدة مؤلفة من ٥ — ٧ سفن حربية برمائية^(١٠). ويستطيع الأسطول السادس إلى جانب دوره كرمز لقوة الولايات المتحدة العسكرية في شرقي البحر الأبيض المتوسط، أن يقوم بوظيفة اعتراض وعرقلة خطيرة لردع تدخل البحرية السوفيتية في المنطقة، هذا في الوقت الذي يستطيع فيه جناحه الجوي منح الولايات المتحدة قدرة محلية لإحراز تفوق جوي فوق البر، ولإنزال ضربات جوية ضد الأهداف البرية. وتؤلف وحدته البرمائية في العادة رأس الرمح لأية قوة عملية للتدخل، على الرغم من أنها تحتاج الى تعزيزات خارجية كبيرة^(١١).

يرجع النشاط البحري السوفيتي في الأبيض المتوسط الى

أواخر الخمسينات على الرغم من أنه لم تشكل وحدة خاصة بالبحر الأبيض المتوسط تابعة لأسطول البحر الأسود إلا في عام ١٩٦٤. ولهذا التطور صلة بنمو مفاجيء للعلاقات التركية السوفيتية، نتيجة لانبعاث الصراع القبرصي. وكانت عمليات أسطول البحر الأبيض المتوسط موسمية في البداية فكان ينسحب في الشتاء الى البحر الأسود. وبعد حرب الأيام الستة والحصول على تسهيلات بحرية في مصر، صار الوجود السوفيتي في المتوسط مستمراً. وكان يتزايد بسرعة. ففي عام ١٩٦٨ كان الأسطول السوفيتي في المتوسط يتألف من حوالي ٤٥ سفينة مقابل ٢٥ سفينة في نهاية ١٩٦٦^(٦٧). وكان معدل قوته في فترات التقلص في أواسط السبعينات حوالي ٥٠ — ٦٠ سفينة^(٦٨). ولكن لم يتوافر إلا في ١٩٦٨ و ١٩٧٢ طائرات في مصر لتزود الأسطول بمعلومات عن مواقع وتحركات السفن التابعة للناو^(٦٩). كما أن وجود سرب من طائرات Tu16 مزود بصواريخ Kelt ، التي يمكن إطلاقها على السفن التابعة للأسطول السادس من مسافة ١٨٠ كم، كان يتطلب حالة من التأهب الدائم فوق الحاملات الأمريكية قريبة من الاستعداد للهجوم^(٧٠). وكان هناك خلال الفترة ذاتها عدد صغير من طائرات ايليوشن ٣٨ وطائرات Be12

ترابط في مصر أيضاً، وتزود الاتحاد السوفيتي بقدرة متواضعة ضد الغواصات^(٣١).

إن عدم وجود عنصر جوي كجزء لا يتجزأ من الأسطول السوفيتي كان يعني، الى جانب حرمانه من غطاء جوي، أنه كانت تنقصه القدرة على التدخل في البر، التي كانت للأسطول السادس، وهو نقص يزيد منه صغر حجم وحدته البرمائية. ولكن مجرد وجود قوة بحرية دائمة من شأنه زيادة النفوذ السوفيتي في المنطقة، كما أن وجود قوة للاعتراض أو الالتفاف يؤدي في وقت الأزمات الى زيادة كبيرة في المقدرة السوفيتية على ردع التدخل الأمريكي، والى رفع شأن دبلوماسية الاتحاد السوفيتي القائمة على التهديد. كما أن في وسع أسطول البحر الأبيض المتوسط أن يتوقع تعزيزات في وقت الأزمات. وكان واضحاً قلق الأسطول الأمريكي بشأن توازن القوى المحلي في ظل هذه الظروف في زمن الأزمة الأردنية في عام ١٩٧٠ ثم تكرر ذلك بشكل أكثر لفتاً للنظر في أثناء حرب تشرين. وجاء في (بيان الوضع الدفاعي) في عام ١٩٧٧ أن قدرة أسطول الولايات المتحدة على العمل في شرقي البحر المتوسط في زمن الحرب (سوف تكون في أحسن الأحوال مغامرة)^(٣٢).

ونجد الوجود البحري الدائم على نطاق أصغر جدا إذا اتجهنا الى الشرق، في البحر الأحمر والخليج واخيط انندي. وكان للولايات المتحدة في عام ١٩٤٩ وجود معظمه رمزي مؤلف من مدمرتين وسفينة للقيادة. وصلت سفينة القيادة الى البحرين في ١٩٦٦ وأطلق عليها Mideastfor، أما المدمرتان فكانتا تُنقلان من الأسطول الأطلسي بالناوبة، فتقضيان بضعة أسابيع فقط في كل سنة في البحرين. وبعد حرب ١٩٧٣ بدأت تزور اخيط الهندي بانتظام قوة المهيمات البحرية الخاصة بالولايات المتحدة، ومن ضمنها حاملات الطائرات^(٣٣). أما الوجود السوفيتي الذي يعود عهده الى ١٩٦٨ فقد تركز في منطقة البحر العربي والبحر الأحمر. وكانت القوة السوفيتية النموذجية في ١٩٧٣ تتألف من خمس سفن قتال سطحي، وغواصة ديزل وست سفن إضافية^(٣٤). ولم تكن التسهيلات الرئيسية للامدادات تقع في الشرق الأوسط، حيث ظهر تعذر الحصول عليها^(٣٥)، بل في الصومال على القرن الأفريقي على مقربة من مدخل البحر الأحمر. وبناء على صغر حجم وجود الدولتين العظميين العسكري الدائم اعتمدت كل منهما اعتماداً كبيراً على قوات وأسلحة يؤق بها من خارج المنطقة لاتخاذ تدابير تهديدية ملموسة، والقيام بتدخلات

عسكرية وعمليات إمدادات عسكرية كبيرة. لكن هدد الاستراتيجية قد تعقدت بعوامل عدة. فبينما اعتمدت كلتا الدولتين العظميين على سمعتهما وقدرتهما على تحريك عامل الخطر النووي للقيام بتدابير تهديدية فعالة، فإنه لم يكن لدى أية قوة خارجية منذ أوائل الخمسينات ما يلزم من قوات عسكرية متنقلة للقيام بعمليات برية كبيرة في الشرق الأوسط. وكان لا بد للبريطانيين في عام ١٩٥٦ من التحالف لا مع فرنسا فقط بل مع قوة إقليمية محلية من أجل الحصول على الامدادات اللازمة للقيام بعملية السويس. وعلى الرغم من ذلك أخفقت العملية، ويرجع ذلك جزئياً على الأقل الى أن الحلفاء الثلاثة لم تكن لديهم القدرة على استعمال القوة بالسرعة الكافية التي تمكنهم من وضع العالم أمام الأمر الواقع. وقام الأمريكيون بعد عامين في لبنان بعملية أصغر كانت فعالة أكثر، لكن حتى هذه العملية أجهدت الاستراتيجية الأمريكية^(٣٠). وكانت كل عملية تهديد أمريكية كبيرة بعد هذه، لاسيما في حرب الأيام الستة، وأزمة ١٩٧٠ الأردنية وحرب يوم الغفران، والتي حدثت كلها فيما كانت الولايات المتحدة متورطة في جنوبي شرق آسيا، تسبب للمخططين الأمريكيين مشاكل جديدة مرتبطة بتوافر قوات التدخل

المتقلة ومن ضمنها السفن^(٣٣). أما الاتحاد السوفييتي فلم تكن لديه، بكل بساطة، القدرة اللازمة للقيام بعمليات التدخل في المنطقة قبل أواخر الستينات، وحتى في أثناء حرب يوم الغفران كانت هناك تساؤلات حول القدرة السوفيتية على التدخل في البر^(٣٤).

وهناك تعقيد آخر سياسي وتعبوي تسببه المسافة التي تفصل القواعد في الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة عن الشرق الأوسط. وبلغة جغرافية بسيطة كانت المشاكل أكثر جدية، بشكل واضح، للولايات المتحدة منها للاتحاد السوفييتي. فكانت الطائرات الأمريكية، خلال عملية الإمدادات في عام ١٩٧٣، تقطع وسطياً ٦٤٥٠ ميلاً بحرياً، مقابل ١٧٠٠ ميل بحري تقطعها الطائرة السوفيتية^(٣٥). أما الإمدادات المرسلة بحراً من ساحل الولايات المتحدة الشرقي فكانت تحتاج الى ٣٠ يوماً للوصول الى اسرائيل، مقابل أربعة أيام تحتاجها الإمدادات السوفيتية المرسلة من موانئ البحر الأسود الى مصر وسورية. لكن تبين أن هذه الصعوبات لم تكن خطيرة نظراً لحجم الأسطول الجوي العسكري الأمريكي، ولتوافر ناقلات جوية عملاقة لمسافات بعيدة مثل غالاكسي C5 في أوائل السبعينات

بالرغم من أن البعد ينطوي على مشكلات أكثر جدية بالنسبة للقوات البحرية. فهو يزيد عدد السفن اللازمة للاحتفاظ بقوات ترابط بشكل دائم على ساحة الشرق الأوسط^(٨١). ولما كانت شبكة القواعد الأمريكية في كل أنحاء المعمورة غير مصممة لدعم عمليات الشرق الأوسط، فليس للولايات المتحدة سوى قدرة محدودة للقيام بعمليات سريعة واسعة النطاق، ولاسيما شرقي قناة السويس. فالقوة البرمائية المرسلّة بمهمة من ساحل الولايات المتحدة الغربي إلى الخليج تحتاج إلى شهر للوصول إلى المنطقة^(٨٢). وإعادة نشر السفن من ساحل الولايات المتحدة الشرقي إلى البحر الأبيض المتوسط قد يستغرق عشرة أيام إلى أربعة عشر يوماً. وهكذا نرى أن الأسطول السوفيتي في الأبيض المتوسط يتمتع بميزة كبيرة على الأسطول السادس لقرب مراكز إمداداته الواقعة في البحر الأسود^(٨٣).

هذه المشكلات يقابلها نظرياً، أو إلى حد ما عملياً، توافر القواعد الأمريكية ومحطات التزويّن في أوروبا الغربية. فبعض التجهيزات الأمريكية المخزونة في ألمانيا الغربية ممّوه بلون الصحراء لاستخدامه في الشرق الأوسط^(٨٤). وفي البحر الأبيض المتوسط استخدم الأمريكيون قواعد بحرية في اليونان خلال حرب الأيام

الستة وحرب يوم الغفران^(١٧٦). وإلى الغرب، استخدمت القواعد الاسبانية من قبل طائرات الوقود التي أسهمت في عملية ١٩٧٣ الجوية^(١٧٧) والتي كانت قاعدة «لاجز Lages» البرتغالية في جزر الأزور ذات أهمية كبيرة لها. لكن، كما أشرنا آنفاً، أظهرت التجربة في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٣ أن القواعد في أقطار الناتو لا تتوافر حتماً للعمليات الأمريكية وحيدة الطرف في الشرق الأوسط^(١٧٨). فقد تأثرت مواقف اليونان الرسمية بوجود جالية يونانية كبيرة في العالم العربي. وكانت هناك دلائل منذ مطلع ١٩٧٥ على عدم رضا اليونان عن استخدام القواعد اليونانية للعمليات الأمريكية في الشرق الأوسط. صحيح أن القواعد البحرية اليونانية استُعملت في ١٩٧٣، لكن اليونانيين لم يسمحوا باستخدام قواعدهم الجوية مما أدى إلى إحباط خطط قوة الطوارئ الجوية الأمريكية التي كانت تُفترض من جانب اليونان تعاوناً خفياً أو ضمناً^(١٧٩). وتحاول تركيا، بوصفها قطراً إسلامياً، أن تتعاطف مع القضية العربية في أي صراع عربي إسرائيلي، وهي على أية حال ليست مطمئنة إلى امكانية الثقة، على المدى الطويل، بالضمانة الأمريكية. إلا أن معظم أقطار أوروبا الغربية الأخرى تخشى من التدخل في إمداداتها النفطية. وقد تغلب هذا

الاعتبار حتى على أوثق صلاتها بواشنطن . بهذا تفسّر الصعوبات بين ألمانيا والولايات المتحدة في نهاية حرب تشرين ، وهذا السبب لم تشجع بريطانيا طلب الولايات المتحدة استخدام القواعد الأمريكية في بريطانيا كمحطات تموين لطائرات الجسر الجوي بين الولايات المتحدة واسرائيل . وأصرّت على السرية التامة حول اقتراح بشأن استخدام القواعد البريطانية من قبل طائرات التجسس الأمريكية (SR:71)^(١١١) . وكان البرتغاليون من جهة أخرى راغبين في السماح باستخدام قاعدة « لاجز » لأن جانباً كبيراً من نفطهم لم يكن يأتي من الشرق الأوسط بل من مستعمرة أنغولا البرتغالية ، ولأنهم كانوا يطعمون مقابل ذلك في موقف أمريكي أكثر تعاطفاً مع سياستهم في أفريقيا . لكن عقب الاطاحة بحكومة « كايانو » نالت أنغولا استقلالها . وصرح رئيس وزراء البرتغال « غونكالفس » في ٨ نيسان ١٩٧٥ بأن البرتغال لن تسمح للطائرات الأمريكية المتجهة الى اسرائيل بالتزود بالوقود في أراضيها إذا نشبت حرب أخرى في الشرق الأوسط^(١١٢) . لكن أحد ملاحق معاهدة الصداقة والتعاون الأسبانية الأمريكية ، المعقودة في ١٩٧٦ ، تضمّن موافقة أسبانيا على مضمض على استخدام قواعدها البحرية والجوية من جانب طائرات قوات الولايات

المتحدة الجوية والبرية والبحرية... للمرور عبر اسبانيا في طريقها الى الأماكن التي تقصدها. ولكي يستطيع الأمريكيون القيام بمهمة طائرة من هذا القبيل خزنوا مسبقاً معدات في اسرائيل، قيل انها تكفي للقتال مدة ٢١ يوما بكثافة حرب ١٩٧٣^(١٠٠)، ودربوا ملاحين لتزويد ناقلات غالاكسي C5 في الجو مما يتيح للولايات المتحدة إرسال طائرات النقل مباشرة من الولايات المتحدة الى الشرق الأوسط^(١٠١).

وعانت الولايات المتحدة من صعوبات في الحصول على إذن للطيران فوق أوروبا الغربية خلال أزمة الشرق الأوسط. ففي أثناء الأزمة اللبنانية في تموز ١٩٥٨، رفضت اليونان السماح بالطيران فوق أراضيها للطائرات المقاتلة القادمة من الولايات المتحدة الى قواعد في تركيا^(١٠٢). ويقال إن اليونان وأسبانيا وإيطاليا وفرنسا كانت من ضمن الأقطار التي رفضت منح الولايات المتحدة حقوق الطيران فوق أراضيها خلال حرب ١٩٧٣. ومرة أخرى كانت أمام الولايات المتحدة ترتيبات بديلة، برغم أنها اشتملت على عقوبات. فكانت الخطط المؤقتة، التي وُضعت في ايلول ١٩٧٠ لنقل الجيوش الى الأردن من ألمانيا وغيرها، تقتضي القيام بدورات طويلة حول أوروبا بسبب المشكلات المتوقعة من

الطيران فوق أوروبا^(٩٣). وفي عام ١٩٧٣ كان يجب على طرق التموين الجوية الرئيسية الآتية مباشرة من الولايات المتحدة عبر قاعدة لاجز البرتغالية أن تقطع البحر الأبيض المتوسط على بعد بضعة أميال من الأجواء العربية المعادية، بالرغم من أن الطريق كانت تحت رقابة سفن من الأسطول السادس مُخصّصة لهذا الغرض وقادرة على تقديم دفاع جوي في حال وقوع أي تدخل^(٩٤).

لما كان الاتحاد السوفيتي يمارس سيطرة على حلف وارسو أشد من سيطرة الولايات المتحدة على حلف الناتو، فإن استخدام القواعد الأمامية لم يكن بالنسبة لخطط الدفاع يعتبر مشكلة كذلك التي يواجهها نظراؤهم الأمريكيون. فكانت هنغاريا محطة التموين الرئيسة للطائرات المتجهة الى مصر وسورية خلال حرب يوم الغفران. أما الطائرات القادمة من كييف فكانت تتوقف في الطريق في بودابست، بينما كان جزء من الكميات الكبيرة من العتاد المأخوذ من احتياطي القوات السوفيتية في شرقي أوروبا، ومن احتياطي أقطار حلف وارسو، يُرسل جواً من بودابست مباشرة^(٩٥). ويقال أيضاً إنه قد أقيمت وصلة برية بين هنغاريا وميناء ريجيكا اليوغوسلافي الذي كانت

تُشحن منه نجرأ الإمدادات الثقيلة الى مصر وسورية والجزائر ، بينما كانت الحمولة المرسلة جواً من تركيري ، القاعدة الجوية السوفيتية في هنغاريا ، تجزأ في تيتوغراد ، أو تبقى هناك لتُشحن جواً فيما بعد^(١٠٠).

غير أن المرور ينطوي على مشكلات أساسية أخطر . فقد يخلق قطر شيوعي واحد على الأقل ، رومانيا مثلاً ، وقد خلق فعلاً صعوبات عندما طلب السوفييت الطيران فوق أراضيها في طريقهم الى الشرق الأوسط^(١٠١). لكن يوغوسلافيا على الرغم من كونها على خلاف مع موسكو غالباً ، تملك مشاعر ودية قوية إزاء العرب ، فكانت هي طريق المرور الرئيس الى الشرق الأوسط . ويبدو أن موقف اليوغوسلافين يقضي بالألا تمنح يوغوسلافيا حقوق الطيران فوق أراضيها إلا إذا طلبها فريق ثالث صديق ليوغوسلافيا ويقال إنها رفضت في عام ١٩٧٦ طلباً من السوفييت لمنحهم حق الطيران عبر أجوائهم بلا إذن مسبق^(١٠٢) . تقع الطرق الأخرى كلها عبر أراضي الناتو . ويقال إن الطائرات السوفيتية مرت أثناء حرب تشرين عبر اليونان ، والأهم من ذلك عبر تركيا . وهنا كان الاتحاد السوفيتي يتمتع بميزة عدة اتفاقيات بشأن المرور . فالمادة ٢٣ من اتفاقية مونترو تطالب تركيا

بتأمين طرق جوية «لضمان مرور الطيران المدني بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود». وتوص اتفاقية النقل الجوي المعقودة بين تركيا والاتحاد السوفيتي في عام ١٩٦٩ على تخصيص بعض الممرات الجوية عبر تركيا لكي يستخدمها الطيران المدني السوفيتي بعد فترة ٢٤ ساعة من الإعلام المسبق. وتستبعد هذه الاتفاقية بشكل محدد الطائرات العسكرية ذات الأسلحة المثبتة ومعدات التجسس، على الرغم من أن البضاعة التي تحملها تبقى غير خاضعة للتفتيش طبعاً. وهناك أيضاً اتفاقية تركية سوفيتية تسمح للمشاحنات السوفيتية بالمرور عبر تركيا في طريقها الى الأقطار العربية. ويبدو أن هذه الاتفاقيات قد طبقت وأسيء استعمالها معاً.

ومن بين العمليات السوفيتية الكبرى التي نفذت عبر تركيا، رحيل السوفييت من مصر في تموز ١٩٧٢، وجسر جوي الى سورية في تشرين الثاني من السنة ذاتها، وعملية إمدادات ١٩٧٣ استخدم فيها جسر جوي يبدأ من أريقان ويخاذي الحدود الإيرانية الى حلب، لتزويد سورية بالإمدادات بالدرجة الأولى^(١١١). لكن يعتقد أن السوفييت كانوا يرسلون طائرات مقاتلة، أعلنوا مسبقاً أنها طائرات مدنية^(١١٢). وفي مناسبات قبل ذلك كانت

طائرات الميغ الذاهبة الى القوات الجوية العربية، ترسل عبر تركيا، وكان بعضها يهبط في الطريق في مطارات تركية، وهذا أمر لم يكن يلقي تشجيعاً من الأتراك لكنهم لم يكونوا دائماً يعترضون عليه^(١٠١).

وكانت سيطرة تركيا على المضائق أكثر أهمية من وجهة النظر السوفيتية لأن تركيا تسيطر بهذه الصورة على خط المواصلات الوحيد بين البحر الأسود والأسطول السوفيتي في البحر الأبيض المتوسط. ويخضع المرور عبر المضائق لاتفاقية مونترو التي تفرض قيوداً على حرية حركة الأسطول السوفيتي. فلا يجوز مرور أية حاملة طائرات عبر المضائق. ويجب على السفن التي تتجاوز حمولتها ١٥٠٠٠ طن أن تمرّ منفردة، ولا يجوز أن تحرسها سوى مدمرتين. وهناك قيود على عبور الغواصات. كما يحق لتركيا في حالة الحرب أو إذا كانت مهددة بحرب أن تمنع جميع السفن الحربية من المرور عبر المضائق. وفي حالة الصراع غير المتوقع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الذي لا تكون تركيا طرفاً فيه، تكون ملزمة بإغلاق المضائق في وجه السفن الحربية العائدة للقوتين المتحاربتين، على الرغم من انه يسمح

للاتحاد السوفييتي بسحب السفن الحربية من البحر الأبيض المتوسط الى البحر الأسود.

طبق الأتراك الاتفاقية بدقة، وثبت أن القيود المفروضة بوثيقة موضوعة لمواجهة الظروف السياسية والبحرية في أواسط الثلاثينات لم تكن مرهقة جداً^(١٠٠). فالقيد المفروض على عبور الغواصات يعني أنه كان على أسطول البحر الأبيض المتوسط أن يحضر غواصاته من أسطول بحر البلطيق، ومن أسطول القطب الشمالي لا من البحر الأسود، وهذا مطلب مكلف بلغة الفعلية. والقيد على حركة السفن الحربية الكبيرة من شأنه أن يخفض أيضاً من سرعة نشر القوات في وقت الأزمات^(١٠١). لكن الأكثر مدعاة للجدل هو القيد المفروض على عبور حاملات الطائرات. فلم تقدّم أية اعتراضات من جانب القوى الغربية في عام ١٩٧٦ عندما عبرت المضائق أول حاملة سوفيتية للطائرات، كييف، كما أن مقالة تمثل الرأي الرسمي صدرت في مجلة الأسطول السوفييتي Morskoi Sbornik ذهبت الى أن «عبور المضائق من جانب أية سفينة تابعة للأقطار الواقعة على البحر الأسود لا يناقض الاتفاقية نصاً أو روحاً»^(١٠٢).

يظهر إذن أن السؤال الحقيقي بالنسبة للاتحاد السوفييتي

هو ما الذي سوف يحدث في حالة حرب أو أزمة كبيرة بين الشرق والغرب . في الحرب يمكن أن تغلق المضائق^{١٠٠} . لكن في حالة أزمة كبيرة بين الشرق والغرب يُحتمل أن يكون نص الاتفاقية الحرفي أقل أهمية من الاعتبارات السياسية مثل حالة العلاقات التركية السوفيتية حديثة العهد ومقدار الثقة بالضمان الأمريكي . إن رغبة تركيا في مقاومة الضغط السوفيتي سوف تتوقف بشكل طبيعي على مبلغ اعتقادها بإمكان الاعتماد على الولايات المتحدة .

نرى من هذا أن السياسة العسكرية للدولتين العظميين كانت تواجه صعوبات مختلفة: فالقدرة على التدخل كانت محدودة . والمنفذ العسكري لم يكن مضموناً كما يبدو ، وكانت هناك مشاكل بشأن القواعد وحقوق المرور معاً . يضاف إلى هذا أن الولايات المتحدة كانت تواجه في الحقيقة تعقيدات ناشئة عن مناخ سياسي داخلي أصبح متشدداً ، منذ أيام فيتنام ، إزاء اتباع سياسة عسكرية في الشرق الأوسط ، أو في أي مكان آخر . لكن المتطلبات الأساسية للسياسة العسكرية كانت موجودة هناك .

الحواشي

- ١ — انظر «بيتر مانغولد»، دور القوة في السياسة البريطانية إزاء الشرق الأوسط، ١٩٥٧، ١٩٦٦، الفصل ١٠.
- ٢ — انظر الفصل ١٠.
- ٣ — في حالة البحرين، نشأ جانب من الصعوبة عن كون الاتفاقية البحرانية الأمريكية اتفاقية تنفيذية ولم تتطلب موافقة من الكونغرس. لذلك كان بعض أعضاء لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ينظرون اليها كمثال على اتخاذ الادارة الأمريكية التزامات خارجية من دون الحصول بصورة مسبقة على رأي مجلس الشيوخ وموافقته.
- ٤ — فريق «الساندي تايمز» لتقصي الحقائق، حرب يوم الغفران، ص ٤٣٧.
- ٥ — في آب ١٩٧٠، عندما كان إمكان مشاركة الولايات المتحدة في قوة لحفظ السلام في الشرق الأوسط مطروحاً للمناقشة العامة لمدة قصيرة، يروى عن «السيناتور ماسفيلد» قوله: «لا أريد رؤية قوات الولايات المتحدة ترابط

في أي مكان خارج الولايات المتحدة. فنحن ما إن ندخل حتى يصبح من المتعذر جداً علينا أن نخرج». واشنطن بوست، ٢٠ آب ١٩٧٠.

- ٦— بموجب تعديل ١٩٧٤ لقانون المساعدة الخارجية يحق للكونغرس خلال عشرين يوماً رفض أية صفقة للأسلحة تتجاوز قيمتها ٢٥ مليون دولار بتصويت المجلسين معاً.
- ٧— الواشنطن بوست، ٢٣ شباط ١٩٧٥.

- ٨— في رأي «ناداف سافران» كان جونسون في البداية يميل الى اتخاذ مبادرة قوية لدعم الضمانات الأمريكية لإسرائيل. لكن ما إن أفصح عن نيته هذه في تصريح أولي، في ٢٣ أيار ١٩٦٧ حتى «أخذت تتجمع بسرعة معارضة في الكونغرس وخارجه ضد العمل الأمريكي المنفرد.. وعندما لاحظ الرئيس هذا الجو تحول بسرعة الى فكرة المبادرة الجماعية...» وكتب جونسون فعلاً أنه أخبر وزير خارجية إسرائيل، آبا إيبان، في ٢٦ أيار «إنني واعي تماماً ما قاله ثلاثة رؤساء سبقوني لكن ما قالوه لا يساوي خمسة مستتات إذا كان الشعب والكونغرس لا يؤيدان الرئيس»، ناداف سافران، من حرب الى حرب، ص ٢٩٧، ولندن بينزجونس، نقطة التفوق، ص ٢٩٣، انظر الفصل ٨.
- ٩— في ذلك الوقت يُنسب الى الرئيس جونسون قوله إن الشعب

الأمريكي « لا يملك الشجاعة للدخول في حرب أخرى »
النيويورك تايمز، ٢٧ ايلول ١٩٧٠.

١٠ — انظر الفصل ٦.

١١ — « بالنظر لقدرة الأساطيل الحديثة على التدخل بسرعة أعظم،
وازدیاد اكتفائها الذاتي من ناحية الإمدادات والمواصلات، فقد
قلت أهمية القواعد المعقدة جداً. لذلك كان أكثر أهمية
الحديث عن التسهيلات التقنية»، كارت غاستغر (موسكو
والبحر الأبيض المتوسط)، الشؤون الخارجية، تموز ١٩٦٨،
ص ٦٨٠.

١٢ — أول حاملة طائرات سوفيتية لم تغادر البحر الأسود إلا في
١٩٧٦.

١٣ — «ميكائيل ماك غواير»، التطورات في الأسطول السوفيتي،
قدراته وظروفه، ص ٣٥٤، ٤٩٤، ٥١٨.

١٤ — ينوزوريشر زيتولغ، ٤ شباط ١٩٦٨.

١٥ — كانت المطارات تعتبر مفيدة في تطوير الاتصالات الجوية بشرقي
أفريقيا. موديش آير، (سياسة البحر الأحمر) في الصراع في
أفريقيا ص ٢٦.

١٦ — «آريه يودفات»، (الاتحاد السوفيتي والأردن وسورية). الميزان
آذار — نيسان ١٩٦٩، ص ٨٤.

١٧ — آريه يودفات، (الأسلحة والنفوذ في مصر: سجل العون

العسكري السوفييتي منذ حزيران ١٩٦٧)، الشرق الأوسط
الجلديد، تموز، ص ٢٩.

١٨ — جورج س. درانش، (بحث الاتحاد السوفييتي عن تسهيلات
بحرية في مصر قبل حرب حزيران ١٩٦٧)، في ماك غواير،
وماك دونل، السياسة البحرية السوفييتية: أهدافها وقيودها،
ص ٢٥٢. يقدم دراينش تقريراً مفصلاً عن السياسة السوفييتية
في هذه الفترة.

١٩ — محمد حسنين هيكل، الطريق الى رمضان، ص ٤٧.

٢٠ — يذكر هيكل عن ناصر أنه قال (هذه امبريالية حقاً. هذا يعني

أن نقدم لكم قاعدة)، نفس المصدر، ص ٤٨.

٢١ — الواشنطن بوست، ٢١ تموز ١٩٧٢. كان للسوفييت أيضاً

منفذ الى التسهيلات الموجودة في بورسعيد.

٢٢ — مسح استراتيجي، ١٩٧٠، ص ٤٩.

٢٣ — مسح استراتيجي، ١٩٧١، ص ٣١.

٢٤ — هيكل، المصدر السابق، ص ١٢٦.

٢٥ — يُذكر أن السوفييت عرضوا تزويد المصريين باستخبارات بحرية

لحشهم على الموافقة على تسهيلات الموانئ هذه. نفس المصدر،

ص ١٦٦. غانيا جولان، يوم الغفران وبعده، ص ٢٨٣.

٢٦ — هيكل، المصدر السابق، ص ١٦٦.

٢٧ — الواشنطن بوست، ٢٠ آب ١٩٧٢.

٢٨ — ذكره أرزولد هوتنجر، (الدول العظمى والشرق الأوسط) في
ويليم غريفت (الناشر)، العالم ومثلثات القوة العظمى،
ص ١٤٢.

٢٩ — اضطر هذا الروس الى استخدام مدمرات من صنف Kotlin
لاقتفاء أثر الأسطول السادس، وهي طريقة أكثر تكلفة من
الاستطلاع الجوي، لورنس ويتن، حرب القناة، ص ٣٩٧.
عملت طائرة الاستطلاع مينغ ٢٥ من مصر بين ١٩٧١ و
١٩٧٢، ثم بين أواخر ١٩٧٣ و ١٩٧٥. ويُذكر أن طائرات
مينغ ٢٥ التي يشرف عليها السوفييت قد عملت أيضاً من
سورية بعد حرب يوم الغفران. جولان، المصدر السابق، ص
٢١٣، الديلي تلغراف، ٢١ آذار ١٩٧٧.
٣٠ — ويتن، المصدر السابق. ص ٣٩٦.

٣١ — ياكوف روني، الاتحاد السوفيتي ومصر عقب قرارات
السادات في تموز. ص ٢٧.

٣٢ — دراغنيتش، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

٣٣ — انظر الفصل ٧.

٣٤ — النيويورك تايمز، ٢٢ نيسان ١٩٧٤.

٣٥ — انتر ناشنال هيرالد تريبيون، ٢٨ تموز ١٩٧٥، الواشنطن
بوست، ١٨ نيسان ١٩٧٦.

٣٦ — يذكر أن الاسكندرية كانت الميناء الوحيد في البحر الأبيض المتوسط التي يستطيع منها الاتحاد السوفييتي تقديم الصيانة لغواصات الديزل. وفي رأي الأمiral زومالت أن الأسطول السوفييتي سوف يكون مضطراً عندئذ الى إجراء المزيد من التصليلات والتزود بالوقود في موانئ البحر الأسود وإلى المزيد من الاعتماد على البواخر الراسية في عرض البحر لصيانة السفن. كان هذا بالطبع على افتراض أنه لن يكون بالوسع إيجاد ميناء بديل في البحر الأبيض المتوسط. الديلي تلغراف، ٢٧ آذار ١٩٧٦.

٣٧ — يُعتقد أن طلبات من هذا القبيل قدّمت في عام ١٩٧٢، عقب تقليص التسهيلات السوفييتية في مصر ١٩٧٥. و١٩٧٦ ثم ١٩٧٧، الاوزرفر، ٢٢ آب ١٩٧٦. وليوزوريشريزيتوفغ، ٦ أيار ١٩٧٧.

٢٨ — الاترناشيناال هيرالد تريبون، ٢٦ أيار ١٩٧٦. كان للجزائريين سبق في المطالبة بانسحاب كلا الاسطولين الأمريكي والسوفييتي من المتوسط بالرغم من أن الطائرات السوفييتية كانت في كانون الثاني ١٩٧٦ تستخدم مطاراً حريباً قرب الجزائر. الديلي تلغراف، ٣٠ كانون الثاني ١٩٧٦.

٣٩ — في ١٩٧٥ كانت التقارير تقول إنه أضيف بروتوكول عسكري جديد الى معاهدة الصداقة والتعاون السوفييتية العراقية المعقودة

في ١٩٧٢ يعطي السوفييت تسهيلات غير محدودة في مطارات وموانئ معينة، على أن تبقى هذه تحت الإشراف العسكري العراقي. الشؤون الافريقية الآسيوية. ١٥ كانون الثاني ١٩٧٥. ونيوزوريشريتونغ، ١٧ كانون الثاني و ٦ نيسان ١٩٧٥.

٤٠ — ج. بويربل، (باب المندب، نقطة اضطراب استراتيجية)، أوريسس، شتاء ١٩٧٣. ص ٩٨٧.

٤١ — الواشنطن بوست، ٩ تموز ١٩٧٥.

٤٢ — وليم كولبي، سجل الكونغرس، ٢ آذار ١٩٧٥.

٤٣ — نفس المصدر. خلال تدريبات بحرية في كل أنحاء العالم في ربيع

١٩٧٥ كانت الطائرات السوفييتية تطير من جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية. التايمز، كانون أول ١٩٧٥.

٤٤ — وليم كولبي، المصدر السابق.

٤٥ — في أوائل ١٩٧٧ كان هناك شكوك حول التسهيلات السوفييتية في سورية.

٤٦ — مجلة معهد الخدمة المتحدة الملكية، ايلول ١٩٧٢، ص ٥٣.

٤٧ — مجلة الدراسات الفلسطينية، شتاء ١٩٧٤، ص ١٢١.

٤٨ — الكتاب السنوي SIPRI، ١٩٧٢، ص ٢٦٩.

٤٩ — الفاينانشال تايمز، ٣١ تموز ١٩٧٥ و ١٦ كانون أول

١٩٧٦. يذكر أن بعض العمل الذي كان يتم في تركيا في

العادة قد نُقل إلى أقطار أخرى، من ضمنها إيران، الغارديان،
٢٠ أيلول ١٩٧٦.

٥٠ — في الخمسينات كانت الولايات المتحدة تراقب تحركات الصواريخ
السوفيتية عابرة القارات من محطات الرادار في تركيا،
وباستخدام طائرات التجسس U2 المربطة في قاعدة أنجريك.
وقد حلت الأقمار الصناعية فيما بعد محل طائرات U2. كانت
الولايات المتحدة، باستخدام تسهيلات المراقبة التركية، تحصل
على صورة أوضح واستقبال أفضل. وكان الهدف الرئيس قاعدة
صواريخ تيوراتام في قزاكستان السوفيتية التي كانت تُطلق منها
الصواريخ بعيدة المدى، على سبيل التجربة، الى المحيط
الباسفيكي. الواشنطن بوست، ٢٦ تموز ١٩٧٥،
الفاينانشال تايمز، ٣١ تموز ١٩٧٥، ٢٠ نيسان ١٩٧٦.

٥١ — إن نيكولايف، بالإضافة الى أوديسا المجاورة، هي أحد
حوضين رئيسيين لبناء السفن في الاتحاد السوفيتي، بُني فيها
أولى حاملتين للطائرات في الاتحاد السوفيتي، وكانت المعلومات
عن هذين الحوضين لبناء السفن، وعن أسطول البحر الأسود،
تُستكمل بالرادار الأمريكي في سينوب. الفاينانشال تايمز،
٣١ تموز ١٩٧٥.

٥٢ — بناء على أحد التقارير كانت التسهيلات التركية ذات أهمية
خاصة في تزويد معلومات عن التحركات العسكرية السوفيتية

في أثناء حرب يوم الغفران (تشرين). وكانت هامة أيضاً، إن لم تكن ضرورية، في إقامة الدليل لتركيا على أن موسكو تخرق حرمة الأجواء التركية عند شحن المعدات جواً الى سورية.
الواشنطن بوست، ٢٥ آب ١٩٧٥.

٥٣ — الفاياننشال تايمز، ٣١ تموز ١٩٧٥.

٥٤ — أعلنت الحكومة الايرانية في أيار ١٩٧٥ تأييدها سحب حقوق أمريكا من قاعدة البحرين في عام ١٩٧٧. كان هذا القرار، جزئياً على الأقل. محاولة لتحسين أوراق الاعتماد الإيرانية بشأن تأييد الاستقلال الاقليمي، هذه الأوراق التي كانت قد ساءت بسبب صلات الشاه الوثيقة بالولايات المتحدة، ومن ضمنها تأييده إقامة قاعدة أمريكية في ديبغو غارسيا. مسح استراتيجي ١٩٧٥، ص ٨٩.

٥٥ — ذكر فيما بعد أنه بالرغم من وجوب مغادرة الولايات المتحدة البحرين، سيظل في وسع سفنها الاستمرار في التزود بالمؤن. بهذه الصورة تتجنب البحرين حَرَج اتهامها بإيواء قاعدة أمريكية بينما تستطيع الولايات المتحدة الاستمرار في استخدام التسهيلات الأساسية الموجودة فيها. أنترناشيونال هيرالد تريبون، ١٦ أيار ١٩٧٧.

٥٦ — بناء على أحد التقارير، علّمت قوة الولايات المتحدة الجوية

- ١٢٥ شريطاً جويّاً في الشرق الأوسط لإمكان استعمالها في
جالة الطوارئ. الأيزرفر، كانون أول ١٩٧٣.
- ٥٧ — يوجد أيضاً في قبرص تسهيلات هامة للتجسس في منطقة
قاعدة سوفرن الشرقية من ضمنها (رادار فوق الأفق).
الفارديان، ٢٥ تشرين ثاني ١٩٧٥.
- ٥٨ — الفايانشال تايمز، ٢٠ شباط ١٩٧٥.
- ٥٩ — الواشنطن بوست، ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٤.
- ٦٠ — الانتر ناشينال هيرالد تريبون، ٣ أيار ١٩٧٧.
- ٦١ — لومولد، ١٩ تشرين ثاني ١٩٧٦، مسح الاذاعات العالمية،
السلسلة الثانية، ME/5373، ٢٥ تشرين ثاني ١٩٧٦. كان
هناك تقارير أسبق بأن الولايات المتحدة كانت مهتمة بالحصول
على حقوق المهبوط في شبه جزيرة مسندم الواقعة على مضيق
هرمز. أترناشينال هيرالد تريبون ١٠ آذار ١٩٧٥.
- ٦٢ — مجلة الشرق الأقصى الاقتصادية، ٢٧ أيار ١٩٧٤، الواشنطن
بوست، ٢٨ شباط ١٩٧٦. كانت باكستان قد عرضت أن
تسمح للولايات المتحدة بإقامة قواعد بحرية وجوية على بحر
العرب. نيويورك تايمز، ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٥.
- ٦٣ — ادوارد لوتواك، الاستخدامات السياسية للقوة البحرية،
ص ٥١.

٦٤ — هامندو الكسندر، ديناميات السياسة في الشرق الأوسط،
ص ص ٨١، ٨٢.

٦٥ — التوازن العسكري ١٩٧٦/١٩٧٧، ص ٧.

٦٦ — كان للأسطول السادس وظيفة أخرى: إجلاء المواطنين
الأمريكيين المقيمين في الشرق الأوسط في حالة نشوب صراع.
بعد يوم الغفران مباشرة رُوي عن قائد الأسطول السادس قوله
إنه يوجد ٦٠٠٠٠ مواطن أمريكي في الشرق الأوسط منهم
٤٥٠٠٠ في إسرائيل ولا يرغبون مغادرة البلاد في كثير من
الحالات. كان في وسع الأسطول السادس إجلاء ٢٥٠٠٠
مواطن. نيويورك تايمز، ٩ تشرين الثاني ١٩٧٣.

٦٧ — هاري. ن. هوارد، تركيا والمضائق وسياسة الولايات المتحدة:
ص ٢٧.

٦٨ — ميكائيل ت. كلير، (تنافس الدولتين العظميين في البحر)
السياسة الخارجية، شتاء ١٩٧٥/٧٦ ص ١٦١. في ١٩٧٢
كانت القوة النموذجية للأسطول السادس السوفيتي في المتوسط
٠ — ٢ حاملة هيلوكبتر، و ١٠ — ١٢ سفينة قتال كبيرة
و ٨ — ١٠ غواصات. كتاب SIPRI السنوي
١٩٧٢، ص ٢٧١.

- ٦٩ — روبرت ف. باجاك، (الأسلحة السوفيتية ومصر)، البقاء، تموز، آب ١٩٧٥، ص ١٩٦٨.
- ٧٠ — الغارديان، ٩ تشرين أول ١٩٧٢.
- ٧١ — «التورط السوفيتي في الشرق الأوسط والرد الغربي»، الشهادات، مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، اللجان الفرعية لأوروبا والشرق الأوسط، ص ٤٧.
- ٧٢ — انترناشيونال هيرالد تريبيون ٣١ كانون الثاني — شباط ١٩٧٦.
- لكن كان على خطط الطوارئ السوفيتية أن تأخذ بعين الاعتبار أنه قد تتورط أساطيل أخرى في الخصومات المقبلة في الشرق الأوسط. من ضمنها أساطيل إيطاليا وأسبانيا ويوغسلافيا واليونان وفرنسا. ر. د. ماك لورين، الشرق الأوسط في السياسة السوفيتية، ص ٦٣.
- ٧٣ — في حزيران ١٩٧٠ رُوي عن ليد، وزير الدفاع، قوله إن الأسطول السابع سوف يعمل كندة للأسطول السوفيتي في البحر الأحمر حالما يعفى عدد كاف من السفن الأمريكية من الخدمة في الهند الصينية. واشنطن بوست، ١٨ حزيران ١٩٧٠.
- ٧٤ — وليم كولبي، مجل الكونغرس، ٢٢ آذار ١٩٧٥.
- ٧٥ — قيل إن أربعاً من طائرات الاستطلاع Tu16 استخدمت في ١٩٧٠ في أسوان في مصر العليا، فكان بإمكانها أن تطير من

هناك للعمل فوق البحر الأحمر والأراضي العربية المجاورة للمحيط الهندي. أسبوع الطيران، ١٨ أيار ١٩٧٠.

—٧٦ داويت أيزنهاور، شنّ السلام، ص ٢٩٠.

—٧٧ للاطلاع على وصف لحجم المشاكل التي واجهها المخططون الأمريكيون خلال عملية الأردن في ١٩٧٠، طالع دافيد شونوبوم (الأردن، الأزمة المنسية) السياسة الخارجية، ربيع ١٩٧٣، ص ١٧١/ص ١٩٧٧.

—٧٨ لدى الاتحاد السوفيتي سبع فرق محمولة جواً مؤلفة من ٤٩٠٠٠ رجل تقريباً. كان يقدر في عام ١٩٧٠ أن أسطول النقل الجوي السوفيتي يستطيع في وقت واحد نقل فرقتين اثنتين مع ما يلزمهما من عتاد إلى مسافات قصيرة ومتوسطة. وفي عام ١٩٧٣. كان بعض المخططين العسكريين الأمريكيين يعتقدون أن تحريك فرقة إلى الشرق الأوسط يستغرق أسبوعاً على الأقل. التوازن العسكري، ١٩٧١/٧٠، وواشنطن بوست تشرين الثاني ١٩٧٣.

—٧٩ مجلة القوات المسلحة، آب ١٩٧٤.

—٨٠ احتاج الأمر إلى ست مدمرات للاحتفاظ بمدمرتين بصورة دائمة في الخليج: مدمرتين في الخليج ومدمرتين في نورفولك في فرجينيا، ومدمرتين متنقلتين. أ. ج. كوترك، المحيط الهندي: مستقبله السياسي والاستراتيجي.

٨١ — SIPRI، النفط والأمن، ص ١٦٣. كان هذا قبل إقامة التسهيلات البحرية في ديينو غارسيا.

٨٢ — بناء على رأي قائد الأسطول السادس كان تحت تصرف الوحدة البحرية السوفيتية في المتوسط خلال أزمة الأردن، في أيلول ١٩٧٠، حوالي ٥٠ سفينة وغواصة إضافية (خلال أقل من مدة يوم من الانتقال بحراً)، الأدميرال كيد «نظرة من جسر على الأسطول السادس»، محاضر معهد الولايات المتحدة البحري، شباط ١٩٧٢. هذا التقرير لا يدخل في الاعتبار بصورة تامة القيود المفروضة على إرسال الأسطول السوفيتي إلى المتوسط بموجب معاهدة مونترو التي ذكرت من قبل.

٨٣ — الغارديان، ٦ كانون ثاني ١٩٧٥.

٨٤ — انتر ناشينال هيرالد تريبون، ٣ — ٤ آب ١٩٧٤.

٨٥ — بناء على أحد التقارير كانت اتفاقية ١٩٧٠ الأمريكية الأسبانية بشأن القواعد مصحوبة باتفاق سري ينص على أن القواعد الأمريكية في أسبانيا لن تستخدم في أثناء صراع عربي اسرائيلي، وفي عام ١٩٧٣ استخدم الأمريكيون القواعد لطائرات الوقود من دون علم السلطات الأسبانية. وعملية طائرات الوقود بصورة عامة أقل لفتاً للنظر، لذلك يسهل على الحكومة المضيفة تجاهلها أكثر من عملية هبوط طائرات النقل في قواعد متوسطة.

٨٦ — في أيلول ١٩٧٠، في فترة الأزمة الأردنية، كانت إيطاليا قد أعلنت أن القواعد في الأراضي الإيطالية لا يمكن استخدامها إلا لأغراض الناتو. وبعد حرب تشرين (يوم الغفران) اعترف الموظفون الأمريكيون أنه لم يكن هناك من جانب أعضاء الناتو التزام حقيقي بالسماح للطائرات الأمريكية باستخدام القواعد لشحن الأسلحة الى اسرائيل؛ ومن الواضح أن مخططتي الدفاع لم يكونوا يستغربون الصعوبات التي عانوا منها في عام ١٩٧٣. العقيد البحري دُور (الأسطول السادس للولايات المتحدة، البحث عن الاجتماع)، محاضر معهد الولايات المتحدة البحري، حزيران ١٩٧٤، ص ٢٢ ونيويورك تايمز، ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٣.

٨٧ — الموقف اليوناني معقد جداً. فمن جهة هناك الجالية اليونانية في العالم العربي واهتمام الحكومة اليونانية بالحصول على الدعم العربي في قضية قبرص. والمسألة القبرصية وضعت أعباء جديدة على العلاقات الأمريكية اليونانية خلال أواخر الخمسينات وأوائل السبعينات وأواسطها. ومن جهة أخرى كانت العصبية اليونانية الحاكمة مهتمة جداً بالحصول على الأسلحة الأمريكية والدعم الأمريكي. وبناء على أحد التقارير جرت ترتيبات سرية في أيلول ١٩٧٠ لكي تضع اليونان قواعد للدعم ومحطات للطائرات في

- حالة نقل قوات أمريكية إلى الأردن . نيويورك تايمز ، ٢٥ تشرين أول ١٩٧٣ ، نيوزويك ، ١٠ تموز ١٩٧٢ .
- ٨٨ — الغارديان ، ٥ شباط ١٩٧٤ .
- ٨٩ — مسح استراتيجي ١٩٧٥ ، ص ٧٢ ، صدرت بيانات من هذا القبيل عن وزير خارجية إيطاليا ورئيس وزراء اليونان — التايمز ، ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٥ ، ولوموند ، ٢٦ كانون أول ١٩٧٤ .
- ٩٠ — مسح استراتيجي ١٩٧٤ ، ص ١٦ .
- ٩١ — بناء على رأي رئيس أركان قوات الولايات المتحدة الجوية ، وفي حديث له في شباط ١٩٧٥ ، تستطيع الولايات المتحدة ، باستخدام تموين الطائرات بالوقود جواً ، أن ترسل الى اسرائيل بلا توقف كميات من المواد أكبر من تلك التي أرسلت في أثناء حرب (يوم الغفران) . سيكون هذا (باهظ التكاليف نوعاً ما ، وأصعب ، لكن نستطيع القيام به) ، الشهادات أمام لجنة الخدمات المسلحة في مجلس الشيوخ ، الدورة ٩٤ ، الجلسة الأولى ، السنة المالية ١٩٧٦ ، الجزء ٢ ، ص ٨٤٣ .
- ٩٢ — نيفل براون ، قابلية التحرك الاستراتيجي ، ص ٧٤ .
- ٩٣ — انترناشيونال هيرالد تريبون ، ١٤ حزيران ١٩٧١ .
- ٩٤ — أسبوع الطيران ، ١٠ كانون أول ١٩٧٣ .
- ٩٥ — (تم تركيز الامدادات ونقلها جواً بكفاءة تدل على أن العملية إن لم تكن قد نُظمت بشكل خاص بصورة مسبقة ، فقد كانت

على الأقل عملية طوارئ جرى التخطيط لها بشكل جيد)،
 جون. د. غلاسمان، الأسلحة للعرب، ص ١٤٥، ص
 ١٤٥. لكن قارن هذا مع جولان، المصدر السابق ص ٨٧.
 ٩٦ — أسبوع الطيران، ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٣. بناء على أقوال
 غلاسمان، كانت التقارير المنشورة في المجلة ذاتها بأن الوحدات
 المحمولة جواً ووحدات النقل الجوي السوفيتية قد نشرت في
 يوغوسلافيا في أثناء الحرب، كانت عارية عن الصحة. المصدر
 نفسه. ص ٢٢٩.

٩٧ — المصدر نفسه ص ١٤٦.

٩٨ — بناء على أحد التقارير طار تيتو إلى كييف للاحتجاج لدى
 بريجنيف في تشرين الثاني ١٩٧٣ بشأن إساءة استخدام حقوق
 الطيران فوق يوغوسلافيا. النيويورك تايمز، ١٩ تشرين الأول
 ١٩٧٣، الغارديان ١٣ كانون الأول ١٩٧٦، والانترناشنال
 هيرالد تريبيون، ١٥ كانون الأول ١٩٧٦.

٩٩ — فرانكفورت آلمين (يعونغ، ١٨ آب ١٩٧٣).

١٠٠ — المصدر ذاته. بناء على تقارير أخرى، أرسلت بعض الطائرات
 عبر تركيا من دون إعلام مسبق. واشنطن بوست، ٢٨ آب
 ١٩٧٥، وزيف شيف، هزة تشرين الأول: يوم الغفران
 ١٩٧٣، ص ١٥١.

١٠١ — آرييه يود فات، «الاتحاد السوفييتي وتركيا»، المشكلات

الدولية، فبراير ١٩٧٥، ص ٣٧.

١٠٢ — إن فترة العشرين سنة الأولى من المعاهدة انتهت في عام

١٩٥٦. لكن لم تُتخذ أية خطوة للدعوة الى مؤتمر لتعديل

المعاهدة التي ظلت نافذة المفعول بناء على ما تنص عليه من

التجديد الذاتي بصورة آلية. باري بوزان (وضع معاهدة مونتر

ومستقبلها)، البقاء، تشرين الثاني — كانون الأول ١٩٧٦،

ص ٢٤٤.

١٠٣ — خلال حرب يزم الغفران (تشرين) كانت التعزيزات السوفيتية

ترسل عن طريق جبل طارق وعن طريق الدردنيل. وتنص

معاهدة مونتر على أن السفن التي تعبر المضائق يجب أن تبلغ

السلطات التركية قبل ثمانية أيام. وقد استطاع الاتحاد السوفييتي

أن يتجاوز هذا المطلب بإغراق الأتراك بوابل من طلبات

المرور، التي قد لا يُستخدم بعضها كما ظهر. الكابتن جون

مور، الأسطول السوفييتي اليوم، ص ٣١. فيرنك آ. فالي،

المضائق التركية والناو، ص ١٠٨.

١٠٤ — بوزان، المصدر السابق. ص ٢٣٣/ص ٢٣٤.

١٠٥ — قيل إن سلسلة من المبتكرات العسكرية من ضمنها مدافع،

وصواريخ أرض — أرض، وألغام في قاع البحر، يمكن

(إطلاقها) بالضغط على زر، قد وضعت في نهاية البحر
الأسود من جهة البوسفور. انتر ناشينال هيرالد ترييون،
٥ — ٦ حزيران ١٩٧٦.

الفصل الرابع

النفط والقوة

إن تعداد مجموعة الصراعات الاقليمية والمشكلات الأمنية هو أنسب وسيلة للتعريف بأنشطة سياسة التدخل في الشرق الأوسط. فالصراع العربي الإسرائيلي، والصراع بين المحافظين والقوميين، ومشاكل الاستقرار في الخليج، هي موضوعات مألوفة ومفيدة. لكن قبل المضي في دراستها بالتفصيل من المفيد تفحص مشكلة أعم ذات أهمية مطلقة تقريباً بالنسبة للغرب، أعني مشكلة أمن إمدادات النفط. فكل عضو تقريباً من أعضاء التحالف الغربي يعتمد اعتماداً مباشراً أو غير مباشر على نفط الشرق الأوسط، ولذلك يتعرض كل هؤلاء الأعضاء للاضطراب الاقتصادي الداخلي إذا انقطعت إمدادات النفط عنهم. ويمكن في الحقيقة القول إن الاستقرار الاقتصادي بالنسبة لكثير من الأقطار مشكلة ملحة أكثر من الأمن العسكري. والتهديدات

التي تتعرض لها إمدادات نفط الشرق الأوسط متعددة ولا يوجد نظام شامل لاحتوائها يشبه التوازن السيامي العسكري الذي أقامه الغرب لاحتواء القوة السوفيتية . ولا يتوقف بعض التهديدات كلياً على التطورات السياسية الإقليمية في الشرق الأوسط حسب، ولاسيما في الخليج ، بل توحى التجربة في أوائل السبعينات أن الأسباب التي تمنع منظمة (أوبك) من استخدام سلاح النفط أقل نسبياً من الأسباب التي تمنع السوفيت من القيام بأية محاولة لاستغلال ميزة عسكرية ما ضد أوروبا الغربية .

أضف إلى ذلك أن تأثير التبدلات في التوازن الاستراتيجي ذو طبيعة طارئة وفرضية أكثر من تأثير أي خلل في الإمدادات النفطية . فقد كان استخدام الطائرات السوفيتية في مصر عام ١٩٧٠ ينطوي على نتائج استراتيجية مشؤومة ، لكن لم يكن له في الحقيقة أي تأثير مباشر ولا حتمي على أوروبا ، بينما سبب استخدام سلاح النفط في عام ١٩٧٣ ذعراً واسع النطاق في الأوساط الحكومية ، وشعرت به البيوت في سائر أنحاء أوروبا واليابان وأمريكا . وعلى حد قول «اليزابيث مونرو» (النفط ، رغم أهميته الاستراتيجية الكبيرة جداً ، سلعة أساسية بالنسبة للمجتمع . والنقص في النفط يؤدي الى المزيد من الانفعال ،

وسوء المزاج، والمبالغة، والدعاية، أكثر من أي مادة خام صناعية، لأنه سرعان ما يسبب الضيق والخوف معاً^(١).

على الرغم من هذا فإن دور القوة في الدفاع عن المصالح النفطية هو موضوع غامض بشكل غريب. وقليلة هي الأقطار المستهلكة لنفط الشرق الأوسط، كما سبقت الإشارة إليها، التي حاولت اللجوء الى السياسة العسكرية دفاعاً عن إمدادات النفط؛ على الرغم من أن القلق على أمن طرق المرور حثّ فرنسا على الاحتفاظ بقوات بحرية في المحيط الهندي. ومعظم الأقطار كانت إما تنقصها الوسائل الضرورية للسياسة العسكرية أو كانت تشك في جدواها، أو ترى أن إمداداتها آمنة بصورة كافية. وحتى بعد الهزة الاقتصادية التي سببتها حرب يوم الغفران (تشرين) نجد أن الاقتراحات القاضية بإمكان اللجوء في حالة الضرورة القصوى الى القوة للحيلولة دون خنق النظم الاقتصادية الغربية من قبل منتجي النفط العرب، قد قوبلت بالشك إن لم يكن بالخوف. ولم يرد للأذهان إطلاقاً وجوب اللجوء الى القوة لمنع تحول ميزان القوة الاقتصادي، والسياسي في النهاية، أو لإعادته الى وضعه السابق بين منتجي النفط ومستهلكيه، وهو

تحول ينطوي على المدى الطويل على أهمية أعظم جداً من سقوط
حجارة الدومينو في الهند الصينية التي كثر الكلام حولها.
لكن هذا الأسلوب يختلف بشكل ملحوظ عن الأسلوب
الذي يتبناه جيل أسبق من صانعي السياسة البريطانية. فقبل
ستين سنة تقريباً، وبعد تحول الأسطول الملكي إلى اسطول للنفط
في عام ١٩١١، لعبت حماية المصالح النفطية دوراً رئيساً في
السياسة البريطانية في الشرق الأوسط^(١). وتقدّم التجربة البريطانية
في السنوات الخمس والعشرين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية
مثالاً ممتازاً في مجال استعمال القوة وقيود استعمالها كأداة سياسية
في الدفاع عن المصالح النفطية^(٢). فقد أرسلت الجيوش في عام
١٩٤٦ من الهند الى البصرة في أثناء الاضطرابات الخطيرة في
مصفاة عبادان، بالرغم من أنها لم تتدخل في النهاية. وجرى
التفكير باستخدام العمل العسكري لإبان تأميم إيران شركة النفط
الایرانية — الانكليزية في عام ١٩٥١. وكان الهدف الاستيلاء على
مصفاة عبادان، التي كانت عندئذ تزود بريطانيا بثلاث حاجتها
من البترول، لا الاستيلاء على حقول النفط. لكن العملية
اعتبرت منفرة في ضوء الخسائر السياسية المحتملة داخلياً ودولياً،
كما اعتبرت صعبةً من الناحية العسكرية في ضوء القوات والقواعد

المتوافرة في ذلك الحين . وأثبتت عملية السويس بعد خمسة أعوام صحة هذه الحجج على الرغم من أنه جرت بعد الانقلاب العراقي في تموز ١٩٥٨ تحركات عسكرية على سبيل الاحتياط في منطقة شبه الجزيرة العربية ، ودُرست باهتمام فكرة المبادرة الى إنزال قوات في مشيخات الخليج^(١) . وحذّر اللورد هيوم* بصراحة أنه :

«إذا حاول طرف ثالث سواء كان عبد الناصر أم الاتحاد السوفيتي ، حرماننا ، بسياسة محسوبة متعمدة ، من إمداداتنا النفطية ، وحرمان أوروبا الغربية من إمداداتها النفطية ، ومن ثَمَّ عرقلة النمو الصناعي في العالم الغربي ، يجب أن يكون واضحاً ومفهوماً أن المملكة المتحدة لن تقبل بهذا الوضع»^(٢) .

لكن في أواخر الخمسينات تغيّر المبرر البريطاني الرئيس بشأن دور القوة في الدفاع عن المصالح النفطية . فلم يعد من الجائز استخدام القوة للاستيلاء على التسهيلات النفطية أو للبقاء عليها ضد رغبة الحكومة المحلية . وصار من الواجب خلق الظروف السياسية الملائمة للتنقيب عن النفط من دون التعرض للخطر ، ولاستمرار تدفق النفط بلا عائق من جانب الصراعات المحلية ، ولعدم تدخل الحكومات المحلية بشكل مبالغ فيه في شؤون

* هو اللورد: اليكسي دوغلاس هيوم ، وزير خارجية بريطاني .

الشركات العاملة أو في أسعار النفط . وبالأصطلاح الرسمي ، كان البريطانيون يسعون الى دعم «استقرار» الخليج . والمثال التقليدي لهذه الاستراتيجية هو اللجوء الى التهديد باستخدام القوة لردع العراق عن التهديد بغزو الكويت في عام ١٩٦١ لكن كان يكفي ، في أغلب الأحوال ، وجود رمزي ، وقلما يكون مرئياً جداً؛ فقد ظلت بريطانيا تتمتع بسمعة عالية بما اشتهرت به من قوة ، وكانت المشيخات صغيرة الحجم ، وكان أعداؤها على الأغلب غير مجهزين بصورة جيدة ، فلم يتجاوز مجموع الذين أنزلوا في الكويت ٥٧٠٠ رجل . وكانت الوسائل الاجرائية والتهديدية الأخرى أصغر حجماً ، وفي بعض الامارات الساحلية على الخليج * (Trucial States) كانت تستخدم قوة من جنود محليين ، حرس ساحل عمان (Trucial Oman Scouts) ، تعمل تحت إمرة ضباط بريطانيين بالتنسيق مع الشرطة والأسطول الملكي^(١) . يضاف إلى هذا أن البريطانيين كانوا يتمتعون بمنفذ عسكري الى المشيخات بالاعتماد على موافق يرجع معظمها الى القرن التاسع عشر ، وكان الوجود البريطاني هو الوجود الوحيد

* الامارات العربية المتحدة حالياً ، وكانت تحت الاستعمار البريطاني . (الناشر) .

لايشاركة وجود آخر . بهذه الصورة ، بعد انقضاء عقدين تقريباً على تأميم شركة النفط الإيرانية الانكليزية ظلت القوة تلعب دوراً هاماً في الدفاع عن مصالح المستهلكين النفطية . لم تكن مرئية جداً — كانت القوات ترابط على نطاق واسع بصورة دائمة في الخليج فقط بعد انسحاب بريطانيا من عدن في عام ١٩٦٧ : ولم تكن تتمتع بالمقدرة الكافية — فلم تستطع منع التوقف عن انتاج النفط على نطاق ضيق في أثناء حرب تشرين وبعدها ، على الرغم من أن الموظفين الرسميين كانوا يرون أنه لولا الوجود البريطاني لتعرضت المصالح النفطية لخطرٍ جدي أكبر . إلا أن الوجود العسكري البريطاني أسهم فعلاً بصورة كبيرة في استقرار أهم منطقة لانتاج النفط في الشرق الأوسط خلال عقدين من السنين تميزت بالتبدل السريع وعدم الاستقرار السياسي .

أصبحت السلطات المحلية هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن أمن منطقة الخليج ومنشآت النفط بعد الانسحاب البريطاني في ١٩٧١ ؛ ولم يكن هذا تطوراً جديداً كل الجدة . فقد سبق للحرس الوطني في العربية السعودية ، الذي كان من أهم أدواره حماية منشآت النفط ، أن حمى الأمريكيين العاملين في حقول النفط في أثناء أعمال الشغب التي اندلعت بسبب حرب الأيام

الستة^(٣). وكانت هذه القوة قد نمت وكبرت. وكان لا بد للمتعبين المحليين من مواجهة ثلاثة أنواع من التهديدات، الأول: أعمال التخريب.. إن منشآت إنتاج النفط وتحميله ونقله معرضة جداً للأسلحة التي يستطيع الإنسان حملها، ويمكن أن تؤلف هدفاً مغرياً للمنظمات الثورية، ومن ضمنها بعض جماعات من منظمة التحرير الفلسطينية^(٤). لكن بينما يمكن أن تكون آثار التخريب هائلة من ناحية الدعاية، فإن آثارها المخلّة بإمدادات النفط ليس من المتوقع أن تكون كبيرة جداً في غياب أية حملة منظمة في أي مكان من الخليج. السيناريو الثاني يتصور إغلاق الممرات المائية الهامة في وجه حاملات النفط. وقد وُجّه انتباه كبير إلى إمكان وقوع مضائق هرمز عند مدخل الخليج، ومضيق باب المندب الأقل أهمية عند مدخل البحر الأحمر، تحت سيطرة حكومات معادية لمصالح الأقطار المستهلكة للنفط. وقد أمكن تصديق مثل هذه المخاوف بسبب نشاطات الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي في عُمان ومن ضمنها خطط عمليات للجبهة في شبه جزيرة مسندم عثرت عليها مجموعة من حرس عُمان المحليين في عام ١٩٧٠، وبسبب النزعة الماركسية في جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية. لكن كان احتمال تعرض هذه الممرات المائية

للعمل العسكري من الشاطيء موضع أخذ ورد^(١١)، ويمكن القول إن أية محاولة لإغلاق مضيق هرمز سوف تؤدي الى عمل عسكري من جانب إيران .

التهديد الثالث والأخطر يأتي من إمكان نشوب حرب في أقطار الخليج الرئيسة المنتجة للنفط أو فيما بينها، حرب لا بد أن تعوق شحن النفط أو تؤدي أيضاً الى تخريب منشآته . ويتوقف تجنب هذا الإمكان الى حد كبير على مقدرة دول الخليج على إقامة نظام أمن إقليمي فعال، على أن يقتصر النفوذ العسكري للأقطار المستهلكة الى حد كبير على نقل الإمدادات العسكرية الى الخليج، وربما على دبلوماسية التهديد أيضاً في حالة الأزمات^(١٢).

ونظراً لعدم توازن القوى بين المشيخات الصغيرة والغنية جداً على الأغلب وجاراتها الكبيرات الثلاث، وللصراع الخفي بين النزعة المحافظة والثورة، يظل النظام الخليجي في أواسط السبعينات بعيداً عن الاستقرار بصورة أساسية . ويستطيع المتشائمون أن يعرضوا قضية مؤثرة . فقد حدثت بين أعوام ١٩٦٥ — ١٩٧٥ انقلابات في عُمان وأبو ظبي والشارقة وقطر، واغتيل الملك فيصل في العربية السعودية، وجرّت محاولات للاعتداء على حياة الشاه .

ووقع قتال في دولتين منتجتين للنفط — عُمان والعراق — و الحقيقة أن السيطرة على منطقة كركوك النفطية كانت سبباً قوياً للقتال في ١٩٧٤ ضد الأكراد. وبقيت العلاقات بين الكويت والعراق متوترة. وفي عام ١٩٦٩ بدأ العراقيون مناوشاتهم الحدودية ضد الكويت، وبلغ بهم الأمر احتلال موقعين للشرطة الكويتية في آذار ١٩٧٣^(١٢). وكان أخطر من هذا توتر العلاقات الإيرانية العراقية الذي حدث بعد انقلاب قاسم* في عام ١٩٥٨ واشتد في أواخر الستينات. ولم يكن سبب الخلاف العداء الخفي بين العرب والفرس، وبين المحافظين والثوريين حسب، بل كان السبب النزاع على حقوق الملاحة في شط العرب، وهو نزاع حدودي، ومطالب العراق في مقاطعة خوزستان الإيرانية الغنية بالنفط. وفي عام ١٩٦٩ ألغى الإيرانيون من جهة واحدة المعاهدة المعقودة في ١٩٣٧ بشأن الملاحة في شط العرب، وبقي التوتر قائماً الى درجة أن القوات الجوية الإيرانية ظلت سنة كاملة في حالة تأهب نام^(١٣). وبين تشرين أول ١٩٧٢ وأيار ١٩٧٤ جرى تبادل نيران

* اسمه الكامل «عبد الكريم قاسم» الذي استأثر بالسلطة بعد نجاح الثورة في العراق

كبيرة عشر مرات على الأقل عبر الحدود^(١١). وفي نهاية ١٩٧٤ نُقلت المدفعية الإيرانية إلى كردستان العراقية لدعم التمرد الكردي^(١٢).

من جهة أخرى، هناك من الأدلة ما يوحي بأن منطقة الخليج كانت في ١٩٧٥ أكثر استقراراً مما كانت عليه قبل ذلك بعشر سنوات بل بخمس سنوات، إذ تم الوصول الى حلول لعدد من الخلافات القائمة منذ مدة طويلة. فتخلى الإيرانيون عن مطالبهم في البحرين، وانتهى الخلاف على الحدود بين العربية السعودية وأبو ظبي وعمّان. واندجت الدول المتصالحة في اتحاد أدهش النقاد بتماسكه واستقراره، بينما عرّى مقتل الملك فيصل القوة الكامنة وراء النظام السياسي السعودي^(١٣). وخلقت غلبة الثروة في أماكن أخرى من الخليج ظروفاً ملائمة على الأقل لتدفق الغنى على نطاق واسع إن لم يكن لإشاعة الاستقرار. دائماً. وتضم قائمة الإيجابيات أيضاً انتهاء (حركة التمرد) * في ظفار في كانون أول ١٩٧٥، والأهم من ذلك، توقيع الاتفاقية الإيرانية

* ثورة (ظفار) يعتبرها المؤلف حركة تمرد من وجهة نظر غربية (الناشر).

العراقية في شهر آذار الأسبق التي تضمنت وضع حد للنزاع على الملاحة في شط العرب لمصلحة ايران، وتوقف إيران عن دعم الأكراد. وقد نشرت الاتفاقية جواً من الوفاق على العلاقات الايرانية العراقية وعكست في الظاهر قرار العراق التركيز على التنمية الاقتصادية الداخلية. وهو قرار كان يقتضي إنهاء الحرب الكردية، والتخلي عن دعم الحركات الثورية في الخليج، وكانت النتيجة حلّ أخطر صراع في المنطقة.

قد لايدوم هذا الوفاق مدة غير محدودة. لكنه مثال بارز بشكل خاص على قدرة دول الخليج على إدراك أن مصلحتها العليا، بعدما انسحبت بريطانيا، تعتمد على إقامة تعايش فيما بينها^(١٧). إن هذه الاتفاقية خدمت المصالح الايرانية العراقية المشتركة بجعلها العراق أقل اعتماداً على الاتحاد السوفييتي، وبتقليل خطر حرب يعاني منها الطرفان من أضرار اقتصادية خطيرة. فقد كان الايرانيون قلقين من سهولة تعرض مصافي نفطهم للخطر، ويقال إنهم حذروا العراق في عام ١٩٧٢ من أن قصف عبدان الواقعة على مرمى المدفعية من الحدود العراقية، سوف يقابل بهجمات جوية إيرانية كبيرة على حقول النفط العراقية في كركوك والموصل وجامبور^(١٨).

يظهر إذن أن هناك فرصة مناسبة لأن يسود السلام في الخليج ولعلّما يقع خلل في إمدادات النفط نتيجة لصراعات إقليمية خالصة. لكن، كما سنرى في الفصل القادم، لا يمكن اعتبار هذا الافتراض أمراً مفروغاً منه، وإذا أثبتت الأحداث عدم صحته، فعندئذ يمكن أن يتوقف حجم الخلل في إمدادات النفط على منطقة الصراع وطبيعته، وتكفي فترة من التوتر الشديد لردع شاحنات النفط من دخول الخليج^(١١).

ليس من الأكيد في الحقيقة أن الصراعات في الخليج وبسبب حجم الضرر الذي يمكن أن تلحقه بمنشآت النفط على وجه الدقة، تهدّد الأقطار المستهلكة للنفط بمخطر جدّي أكبر من خطر (سلاح النفط). فقد كان استخدام النفط كسلاح سياسي من الموضوعات المتكررة في الفكر السياسي العربي منذ أوائل الأربعينات^(١٢)، لكن يظهر أن الاضطرابات في نقل النفط وانتاجه كانت حتى عام ١٩٧٣ عرضية وغير فعالة باستثناء السويس. ففي عام ١٩٤٨، بعد عام من تحذير الولايات المتحدة من قبل الناطقين باسم العرب من أن تأييد خلق إسرائيل يمكن أن يسيء الى المصالح النفطية الأمريكية في الشرق الأوسط^(١٣)،

قطع العراق خط شركة نفط العراق من العراق الى حيفا . وكان من عواقب السويس قطع خط آخر من خطوط الشركة ، من جانب السوريين هذه المرة ومن دون التشاور مع العراقيين . وفي عام ١٩٦٩ نُسف خط أنابيب الأرامكو الآتي من السعودية . وأغلقت قناة السويس خلال حرب الأيام الستة وحرب يوم الغفران ، الأمر الذي أسهم في هبوط سعر الاسترليني بعد خمسة اشهر في ١٩٦٧ ، وكان قد أدى الى نقص النفط في أوروبا عام ١٩٥٦ .

لم يكن توقف الانتاج في أثناء حرب الأيام الستة ذا تأثير كبير . وجاء نتيجة لقرار من حكومة كل من الكويت والعراق ، وإضرابات عمال النفط في ليبيا والعربية السعودية . وفيما بعد حلَّ حظر النفط الانتقامي ضد بريطانيا والولايات المتحدة وألمانيا الغربية ، لفترات قصيرة نسبياً ، محل التوقف عن انتاجه . لكن الوضع كان قد ساء جداً عندما نشبت حرب يوم الغفران في ١٩٧٣ . فقد حدث الهجوم السوري والمصري بعد ازدياد اختلال التوازن في بنية تجارة النفط الدولية . وكان ظهور سوق لبيع النفط في أوائل السبعينات ونمو احتياطي نقدي لدى المنتجين يعني أن هذه الأقطار تستطيع أكثر من الأقطار المستهلكة أن تتحمل

بسهولة ثمن الخلل المحدود في إمدادات النفط . أضيف الى هذا أن سيطرة شركات النفط ، والنفوذ السياسي الغربي الى حد ما أيضاً ، على سلوك الأقطار المنتجة ، كانا قد تضاعفا خلال السنوات السابقة^(٢٢) . ففي نيسان ١٩٧٣ بدأ السعوديون بتحذير واشنطن من أنه ما لم تطرأ تبدلات على السياسة الأمريكية تجاه اسرائيل فلن تكون هناك زيادة في إنتاج النفط السعودي لمواجهة الزيادات الكبيرة المتوقعة في احتياجات أمريكا منه وهي احتياجات لم يكن غيرهم قادراً على تلبيتها . وكان هذا التطور تبديلاً هاماً في سياسة السعودية ، لأن السعوديين كانوا قبل ذلك يحاولون دائماً الفصل بين النفط والسياسة^(٢٣) .

والحقيقة أن سلاح النفط لم يُشهر إلا في الأسبوع الثاني من الحرب بعد أن مالت كفتها ضد الجيوش العربية . والذي حدث عندئذ تخفيض شامل للإنتاج من جانب جميع الأقطار العربية الرئيسة تقريباً المنتجة للنفط^(٢٤) ، بالإضافة الى فرض حظر تام على صادرات النفط الى الولايات المتحدة وهولندا^(٢٥) وتهديدات بالقيام بحظر انتقامي ضد الأقطار المستهلكة الأخرى غير الصديقة . وكان القصد أن يكون حظر النفط هو السلاح الرئيس ، أما التخفيض العام للإنتاج فكان ضرورياً لمنع التحايل

على الحظر بتحويل النفط من الأقطار غير المشمولة بالحظر الى الأقطار المشمولة به . وقد وافق وزراء النفط العرب في اجتماع لهم في ١٧ تشرين الأول على تخفيض الإنتاج :

« بنسبة ٥ بالمائة كحد أدنى من الآن فصاعداً ، على أساس مستوى الانتاج في ايلول ١٩٧٣ ، وبنسبة مماثلة كل شهر بعد ذلك ، على أساس مستوى الانتاج المنخفض في الشهر السابق إلى أن يتم الجلاء الكامل للقوات الاسرائيلية عن جميع الأراضي المحتلة في أثناء حرب حزيران ١٩٦٧ ويستعيد الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة ، أو حتى يبلغ تخفيض الانتاج في كل قطر الحد الذي لايسمح بأي تخفيض آخر من دون إلحاق ضرر بالتزاماته الوطنية أو العربية » .

وقد ثبت أن التحفظ الأخير كان هاماً . فلم يلبث أن اتضح أن توقف الانتاج العربي لايمكن الاستمرار فيه حتى الجلاء التام عن الأراضي التي تحتلها اسرائيل من دون نتائج مدمرة لاقتصاديات الأقطار المنتجة ومن ثم لاقتصاديات الأقطار المستهلكة في آخر المطاف . أضف الى ذلك أن الولايات المتحدة سعت مباشرة تقريباً لاستغلال الفرص التي ولّدتها الحرب من

أجل الوصول الى تسوية . فلقي مسعاها استجابة إيجابية لدى مصر ، وهذا على الرغم من أن الولايات المتحدة كانت أقل عرضة لنتائج استخدام سلاح النفط من كثير من حلفائها الذين لم يشملهم الحظر . وهذه الصورة رُفِع الحظر المفروض على الولايات المتحدة بعد خمسة أشهر في ١٨ آذار ١٩٧٤ على أساس الوعود لا التنفيذ^(٢٦) .

لكن العرب عندئذ نجحوا في جعل النفط واحداً من أهم الأسلحة الفعالة في ترسانتهم وعاملاً هاماً في السياسة الدولية على المدى الطويل^(٢٧) . لم يكن من المتعذر إصلاح الضرر الاقتصادي الذي أصاب الأقطار المستهلكة ، لكن الذي لفت النظر بوضوح هذه القدرة على إلحاق هذا الضرر وحساسية الأقطار المستهلكة لهذه القدرة عندما لاح فجأة إمكان التهديد بفرضها عليهم . وقد اتبعت الأقطار الأعضاء في كل من الناتو ، والمجموعة الاقتصادية الأوروبية (EEC) سياسة «لينج بنفسه من يستطيع النجاة» ، كل على حساب حلفائه ، وهر أسلوب شجعه نظام تصنيف بعض المستهلكين على أنهم أصدقاء ، وهذه الصورة أفلتوا ، جزئياً أو كلياً ، من التدابير النفطية ، نظرياً على الأقل . لكنّ هناك قيوداً هامة على استخدام سلاح النفط . فقد

نجحت شركات النفط الدولية عام ١٩٧٣ في توزيع الضرر بالتساوي تقريباً على كل المستهلكين، وبهذه الصورة أتحقق الخطر الذي كان على أساس استراتيجية التمييز، تاركاً التوقف العام عن الانتاج بمثابة العقوبة الوحيدة المجدية^(٣٩).

وعلى هذا فإن سلاح النفط، طالما بقي نظام التوزيع الدولي خارج سيطرة الأقطار المنتجة، يبقى سلاحاً تنقصه المرونة بشكل خطر، بمقدار ما يُحتمل أن تتأثر به الدول غير المستهدفة، ومن ثم تعزل سياسياً^(٤٠).

د ويشير «هانز مول» الى مشكلة عامة أكثر خطورة:
«إن العواقب الاقتصادية لانقطاع خطير في الإمدادات تمتد سنوات ولا يمكن للأقطار المنتجة السيطرة عليها. فالنقص في إمدادات النفط يؤدي إلى نقص في الأسمدة، الذي يؤثر بدوره في موسم الحبوب بعد أنقضاء أشهر على وضع السلاح في غمده. وأسعار النفط المرتفعة تزيد في سرعة التضخم، وتطلق لولب الأجور والأسعار. ومادام سلاح النفط يستهدف وظائف المجتمع الأساسية، فإن اتخاذ قرار باستخدامه يشبه اتخاذ قرار بشن حرب: فما إن يُتخذ القرار حتى تُفليت السيطرة على مجرى الحوادث والعواقب»^(٤١).

ولا بد للعواقب السياسية من هذا القبيل أن تترد على الشرق الأوسط. فليس في مصلحة الأقطار المحافظة المنتجة للنفط، ولا في مصلحة معظم دول المواجهة في الحقيقة أن تضعف بشكل خطير قوة الولايات المتحدة، ولا بد أن ترجح كفة ميزان القوة الاقتصادية، كما حدث عقب حرب يوم الغفران، بين الولايات المتحدة وحلفائها الرئيسيين الأوربيين الغربيين واليابانيين، رجحاناً أكبر لمصلحة الولايات المتحدة. كما أنه ليس في مصلحة معظم الأقطار المنتجة ولاسيما العربية السعودية زيادة عدم الاستقرار حدةً سواء في أوروبا الغربية أم في العالم الثالث^(٣٢).

إذن، بينما ينتظر أن يظل المستهلكون حساسين للتهديدات بالعودة الى فرض حظر النفط، وهي تهديدات حدثت في الحقيقة في عدة مناسبات بعد آذار ١٩٧٤ لضمان التورط الأمريكي في عملية صنع السلام^(٣٣)، ليس من الضروري أن يحدث هذا فعلاً. فإن ازدياد الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين منتجي النفط والمستهلكين الغربيين، واعتماد العربية السعودية الكبير على الولايات المتحدة، لا من أحل الأسلحة فقط، بل من

أجل بعثات التدريب العسكري الكبيرة أيضاً، بالإضافة إلى قلق الرياض الشديد على صحة الغرب الاقتصادية والسياسية، كل هذا يجعل من غير المحتمل أن تعود الأقطار المنتجة بسهولة إلى فرض حُظر النفط. لكن السعوديين على الرغم من هذا الموقف الواضح على عدم استبعاد هذا الامكان، فضلوا في ١٩٧٦ استغلال وزهم ضمن أقطار منظمة أوبك OPEC لمنع زيادة أسعار النفط لقناعتهم الواضحة بأنه يُتوقع مقابل ذلك كسب سياسي بشأن التقدم نحو تسوية الصراع العربي الاسرائيلي وبشأن موقف غربي أكثر إيجابية في حوار الشمال والجنوب القادم بين الأقطار الصناعية والأقطار النامية. وحتى في حالة جولة جديدة من الحرب بين العرب واسرائيل قد لا تتم عودة آنية الى حظر النفط بصورة آلية^(٣٤). سوف يتوقف الأمر الى حد كبير على مجرى الحرب، فإذا ما ظهر أن العرب يخسرون خسارة خطيرة، وإذا كان الدعم الأمريكي لاسرائيل مرئياً جداً، فمن المحتمل عندئذ أن يؤدي ذلك إلى اشهار سلاح النفط من جديد. وعلى المدى الأطول يمكن للتبدلات السياسية الجذرية ضمن الأقطار المنتجة، أو للصراعات المحلية في الخليج أن تدفع الأقطار المنتجة إلى استخدام سلاح النفط أو التهديد باستخدامه لكسب التأييد

أو الدعم من بعض الأقطار المستهلكة أو لئلا تشجع الأقطار المستهلكة للتدخل الى جانب الخصوم المحليين^(٣٥).

من بين الردود على ظهور سلاح النفط رد جاء من الولايات المتحدة فقط، وهو اختلاف الرأي حول إمكان استخدام القوة فيما يتعلق مباشرة بالمصالح النفطية^(٣٦)، لكن يبدو أن «أزمة الطاقة» المفاجئة في أوائل السبعينات دفعت حتى قبل حرب تشرين الى إعادة النظر في هذا الموقف. وفي أيار ١٩٧٣ ألقى «السيناتور فولبرايت»، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ آنذاك، خطاباً مشهوراً بصورة مثيرة. فذهب إلى أن العمل العسكري يمكن أن يكون ضرورياً (لحماية رقبتنا المكشوفة)، ووصف الأقطار المنتجة للنفط (بغزلان في عالم الأسود)^(٣٧). وقريباً من هذه الفترة بدأ العسكريون الأمريكيون أيضاً يبدون الاهتمام في إمكان العمل ضد الدول النفطية، وظهرت الخطط التي وضعوها لهذه المهمة في تدريبات جرت قبل تشرين أول ١٩٧٣^(٣٨). وجرى بعد الحرب والحظر تخطيط كثير من جانب البنتاغون ظهر بشكل واضح في بداية ١٩٧٥ عندما نُشرت على الملأ تفاصيل خطط مفصلة للاستيلاء على دول الشرق الأوسط النفطية من جانب أمريكا. ودار النقاش حول

منطقتين يمكن أن تكونا مستهدفتين^(٣١): حقول النفط في ليبيا والجزائر، وحقول النفط في الخليج ولاسيما العربية السعودية. وتركز الاهتمام على الأخيرة. لأن الحقول الليبية واقعة بعيداً في داخل البلاد، لذلك كانت أعمال التخريب أقرب الى الحدوث قبل أن يتم أي احتلال لها بأية صورة. ومن الناحية السوقية كانت الولايات المتحدة تتمتع بميزة وجود قوات كبيرة لها في المنطقة المحيطة وذلك على شكل أسطول سادس وقواعد في جنوبي أوروبا. لكن توافر هذه القواعد من الناحية السياسية كان غير مؤكد الى حد كبير وكان لا بد لأية عملية تشمل القوات البحرية أن تحسب حساباً لوجود الأسطول السوفيتي في المتوسط. وكانت العمليات في الخليج تنطوي هي أيضاً على مشاكل. فها هنا أيضاً قد لا يجد الأمريكيون منفذاً عسكرياً ولا يمكن أن يتوقعوا من أية جهة محلية في الخليج تأييد عملياتهم أو تسهيلها بأية صورة. ولم يكن للأمريكيين قواعد في المنطقة المجاورة ولا قدرة مشهود لها على إنزال ضربة شافية سريعة. وعلى الرغم من ذلك كانت المنطقة تمثل هدفاً واضحاً، وتتألف من شريط ساحلي على امتداد ٤٠٠ ميل طولاً و ٤٠ ميلاً عرضاً بين الكويت وقطر وتضم ٣١ حقلاً للنفط وتسع مصاف وعشرة موانئ. وقد عكس جانباً

كبيراً من التفكير الأمريكي مقال نشرته هاربرر ماغازين ،
(Harper's Magazine) ، وربما كان القصد منه ، الى حد ما ،
إعارة أذن لدبلوماسية التهديد الأمريكية . وقد اقترح الكاتب ،
الذي وقّع على المقال (بالجندي المجهول) أن يُعمد في البداية الى
الاستيلاء على قاعدة الظهران السعودية على أيدي قوات مظلية
أمريكية ، يمرّ بعضها بإسرائيل ، ثم تذهب لتستولي على أرصفة
ومستودعات رأس تنورة Ras Tanara ، وبعض منشآت حقول
«غَوار Ghawar» الكبير وحقل ابيق القريب منه . ثم يُعمد الى
إنزال جنود البحرية بعد اثنتين وعشرين ساعة لتقوية القاعدة
وتوسيع الأراضي المستولى عليها . وجرى التفكير باستخدام قوة
تتألف من ٤٠٠٠٠ رجل " . ولا بد أن تحدث بعض أعمال
التخريب ، كما يُحتمل أن يتوقف الانتاج السعودي بين اليوم
السابع للغزو واليوم الستين (اليوم التسعين على أبعد تقدير) ،
وكذلك الانتاج في العراق وليبيا والجزائر . وسوف يبلغ الحد
الأقصى في نقص الانتاج حوالي ٧ ملايين برميل في اليوم . وبعد
الاستيلاء على المنطقة تصبح المشكلة العسكرية الرئيسة هي
حراستها من هجمات قوات المقاومة المسلحة . ويمكن انجاز هذه
الحراسة بإقامة منطقة طولها ٥٠٠ ميل تمتد ٢٠ ميلاً على الأقل

خارج المنشآت الكبيرة، وتُحرس بخليط من أجهزة مراقبة آلية، وحقول ألغام، ودوريات بالطائرات العمودية^(١١). لكن معدات النفط الموجودة بعيداً عن الشاطئ ستكون عرضة لهجمات المسلحين أكثر من تلك المعدات الموجودة على الشاطئ. كما يَجِبُ "تَحْمِيَةُ" شاحنات النفط عند مرورها بمضيق هرمز من الهجمات سواء بواسطة الألغام أم السفن الصغيرة. وسوف يكون هناك نقص في المساحة اللازمة للهبوط للطائرات ولبضع مئات من الطائرات العمودية. وما إن تدخل هذه القوات الى المنطقة حتى يتعذر الانسحاب منها من دون تعريض الحقول لخطر التخريب. كذلك يُحتمل أن تواجه الولايات المتحدة إمكان احتلال المنطقة لمدة غير محدودة. ولا بد أن تكون الخسائر السياسية والعواقب كبيرة جداً. وقد دلت تجربة البريطانيين في العقدين من السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية على أن استخدام القوة للاستيلاء على ممتلكات اقتصادية والاحتفاظ بها ضد رغبة السكان المحليين أو الحكومات المحلية باهظ الثمن بشكل لا يطاق. قبل شهر من أزمة السويس كتب أيزنهاور الى «انتوني إيدن» محذراً من أن: «استخدام القوة من شأنه أن يوسّع كثيراً منطقة الخطر. لا أرى كيف تستطيع اقتصاديات

أوروبا الغربية البقاء على قيد الحياة مدة طويلة من دون نفط الشرق الأوسط.. ثم إن شعوب الشرق الأدنى وشمال أفريقيا، وإلى حد ما، سائر شعوب آسيا وأفريقيا، سوف تتضامن ضد الغرب إلى درجة أخشى ألا يكون بالإمكان التغلب عليها بعد جيل بل ربما بعد قرن من الزمان، خصوصاً إذا تذكرنا قدرة السوفييت على استغلال الموقف. وقبل اللجوء إلى عمل كهذا يجب على شعوبنا كلها مجتمعة أن تفهم أنه لم تكن هناك وسيلة أخرى لحماية حقوقنا ومصالحنا الحيوية»^(١٢).

ظلّ هذا التحذير محافظاً على صفته التنبؤية عشرين عاماً بعد ذلك. إن العمل العسكري الأمريكي ضد الأقطار المنتجة للنفط من شأنه أن يحدث تبديلاً كبيراً في خارطة الشرق الأوسط. فمن المحتمل أن يدفع بالبقية الباقية من الدول المحافظة في المنطقة لتصبح راديكالية، وأن يزيد في حدة الصراع العربي الإسرائيلي، ولاسيما إذا كانت إسرائيل متورطة بصورة من الصور في العملية مما يجعل أية تسوية عربية إسرائيلية مستحيلة استحالة تامة تقريباً في المستقبل المنظور. أضف إلى ذلك أن العمل العسكري بإطلاقه موجة من العداء ضد أمريكا وخلقه مخاوف من انتشار استعمار أمريكي جديد، سوف يفتح المنطقة هي وأجزاء أخرى

من العالم الثالث للتغلغل السوفييتي . وهذه الصورة يكون الاتحاد السوفييتي المستفيد الكبير ، المستفيد الذي لن يحتاج الى القيام بأي عمل كبير جداً أو خطير للرد بصورة آنية على التدخل الأمريكي . لا بد أن يقلق الاتحاد السوفييتي بسبب العمليات العسكرية الأمريكية التي تجري في المنطقة المجاورة للحدود السوفييتية ، والتي تقع تماماً الى الجنوب من العراق وهو صديق للسوفييت^(٣) . لكن ليس للاتحاد السوفييتي أية التزامات إزاء الدول الرئيسة المستهدفة ، وإذا لم يحاول العراقيون استباق العمل الأمريكي باحتلال الكويت بغتة ، فلن تكون هناك حاجة الى أي صدام عسكري بين القوات الأمريكية والعراقية . وسوف تكون مصالح الولايات المتحدة أكثر من المصالح السوفييتية عرضة للتأثر الشديد وهذا سبب آخر لكي يعتمد السوفييت الى ضبط النفس .

يحتمل في أقصى الحالات أن يتطلب الأمر من حلفاء أمريكا الرئيسيين ، أوروبا الغربية واليابان ، تأييد تدخل الولايات المتحدة أو القبول به على الأقل . وفي الحقيقة ما دامت هذه هي الأقطار المعرضة أكثر من غيرها للحقن ، فمن الممكن أن تنبثق المطالبة بمثل هذه الأعمال من هذه الأقطار بالفعل ، والمشكلة

التي أكدها أيزنهاور في تحذيره عام ١٩٥٦ ، هي موقف تختلف فيه آراء الولايات المتحدة وحلفاؤها الرئيسيين حول فائدة استخدام القوة . وقد اتضح هذا في كانون الأول ١٩٧٤ وكانون الثاني ١٩٧٥ عندما كانت دبلوماسية التهديد ما تزال على مستوى منخفض . فبينما كان بعض الرسميين الغربيين ، ومن ضمنهم الأمين العام للناتو ، مستعدين للموافقة على تحذيرات الدكتور كيسنجر ، كان جانب كبير من ردود الفعل في أوروبا الغربية وخصوصاً في ألمانيا الغربية بعيداً جداً عن التأييد^(١) . ويمكن أن تنشأ إذن أزمة أكثر خطورة في حالة حظر محدود النطاق تكرر الولايات المتحدة خلاله تحذيراتها بشأن إمكان التدخل ، وتقوم بتهديدات كجزء من حرب أعصاب ، أو تبادر الى هجوم مباغت .

إن الخنق عملية تستغرق وقتاً طويلاً . فمتى يصبح غير محتمل ؟ قد تشجع أخطار التخريب والنضوب التدريجي لاحتياطي الأقطار المستهلكة على القيام بعمل مبكر لا بعمل متأخر . لكن مادام المستهلكون الغربيون يعتقدون بإمكان تسوية سلمية للأزمة الآتية فإن مثل هذا التدخل الأمريكي سوف يقابل بالتبرُّم الشديد . على الرغم من هذا يبدو أن سر الزعامة في الحلف يكمن أحياناً في وضع أقطار الحلف أمام الأمر الواقع .

لكن إذا كان التدخل الأمريكي العسكري صعباً وخطراً معاً، فليس من الضروري أن يكون مستحيلاً، وقد أصبح التهديد بمثل هذا التدخل، مثل التهديد باستخدام سلاح النفط، جزءاً من علاقات المنتجين بالمستهلكين. فاستخدم في أول الأمر ولو من دون تأثير ظاهر، خلال حظر النفط. وفي كانون الثاني ١٩٧٤ حذر الدكتور شلسنجر، وزير الدفاع الأمريكي، الأقطار العربية من خطر التعرض للعنف إذا هي استخدمت سيطرتها على الإمدادات النفطية لإضعاف «كتلة العالم الصناعي الواسعة وإصابتها بالشلل»^(١٦) كما شنت حملة من دبلوماسية التهديد مدق أطول في وقت كانت فيه الإدارة الأمريكية تخشى بشكل جدي من حرب عربية اسرائيلية جديدة^(١٧). وجاء من واشنطن أن صانعي السياسة من أعلى مستوى لم يكونوا في أحاديثهم مع رجال الصحافة، «يتحفظون في مناقشاتهم الصريحة» بشأن إمكانية التدخل العسكري^(١٨). وفي أواخر تشرين الثاني ١٩٧٤ خرجت حاملة طائرات تابعة للولايات المتحدة من بيان عملي لحلف CENTO ودخلت الى الخليج، وهي أول زيارة لحاملة أمريكية منذ ٢٥ سنة. ويظهر أن القصد من هذه الزيارة كان تحذير دول الخليج من أن الولايات المتحدة لن تتسامح بشأن قطع

الإمدادات النفطية^(٨). وقد بُلّغت الرسالة بشكل أوضح عندما سئل الدكتور كيسنجر بعد سنتين في مقابلة صحفية في مجلة «بزنس ويك» حول إمكان التدخل العسكري. وقد وصف كيسنجر التدخل العسكري، في إجابته التي سرعان ما تردد صداها في أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا، بأنه:

«مسلك خطير جداً.. أنا لا أقول إنه ليس هناك ظرف. لا تستعمل فيه القوة، لكن استخدام القوة في حالة نزاع بشأن الأسعار شيء، واستخدامها حين يتعرض العالم الصناعي فعلاً للاختناق شيء آخر»^(٩).

جرت صياغة التحذير بعناية. غير أن الولايات المتحدة كانت تهدد زبائنها هي بغزو ممكن، وكان الدكتور كيسنجر لهذا السبب مهتماً بأن يبين بصورة لا لبس فيها أنه لن يلجأ إلى عمل كهذا إلا كخطوة أخيرة. ومع ذلك كان الهدف من دبلوماسية التهديد هذه تنبيه منظمة الأوبك (OPEC) إلى أن الإلحاق بالمشتركة لن تقف عاجزة في وجه حظر كبير، وإلى وجوب عدم دفعها إلى المرحلة التي يصبح فيها غير المعقول معقولاً.

وكان تحذير الدكتور كيسنجر ينطوي على منطق نفسي غامض، منطق جرى التعبير عنه بشكل واضح قبل ذلك ببضعة

أشهر على لسان «هر أبل» وزير المالية في ألمانيا الغربية . «عندما تكون الأمم يائسة ، عندما لا تجد أمامها أي مخرج آخر ، عندما تخشى من تدمير ثروتها الاجتماعية أو بنيتها الديمقراطية ، عندئذ يمكن أن يحدث كل شيء»^(١٠١) . أضف الى ذلك أن المنتجين كانوا بشكل واضح معرضين للخطر . فطلبات المعدات العسكرية المعقدة كان يجب أن تتحول الى قوة عسكرية فعلية ، وكان بقاء المشيخات التي لا يمكن الدفاع عنها ، وكذلك بقاء الأنظمة المحافظة بصورة عامة معرضاً للخطر لو اضطرت الولايات المتحدة الى اللجوء الى العمل العسكري . وعلى الرغم من التهديدات من جانب بعض الأقطار المنتجة للنفط بأن منشآت النفط سوف تتعرض للتخريب ، كان هناك ما يدل على أن الأقطار المنتجة في الخليج قد أخذت التحذيرات الأمريكية مأخذ الجد . فيروى أن وزير النفط الكويتي كان يقول علناً إن أي نقص زائد عن الحد في إنتاج النفط من شأنه أن يعجل في اندلاع حرب ممكنة تُشنّ على الأقطار العربية المنتجة من جانب الأقطار الصناعية المتقدمة^(١٠٢) .

وفي أيار ١٩٧٥ كرر الدكتور شليسنجر التحذير وعمد السعوديون ، الذين كانت الولايات المتحدة قد طمأنتهم قبل ذلك

بشهرين الى أنه ليس هناك ما يخشونه ، عمدوا الى تحريك قطعاتهم العسكرية لتعزيز حقول النفط^(٥١) . لكن يبدو أن المستر « كارتر » تجنب الاختيار العسكري في أثناء حملته الانتخابية إذ وصف حُظر النفط بإعلان حرب اقتصادية وهُدِّد بالردِّ عليه بقطع كل العلاقات الاقتصادية ومن ضمنها بيع الأسلحة .

التهديد الأخير لإمدادات النفط الذي شغل بال مخططي الدفاع الغربي هو إمكان تدخل السوفييت في إنتاج نفط الشرق الأوسط أو مروره أو إمكان سيطرتهم على ذلك . ويرجع هذا الخوف إلى الأيام الأولى للحرب الباردة ، وكان شاغلاً رئيساً في لندن خلال أواسط الخمسينات^(٥٢) . لكن طبيعة التهديد السوفييتي لم تكن قط واضحة جداً . إن قلق الغرب من إمكان تدخل السوفييت في مصدر هام للمواد الخام يقع قريباً من الاتحاد السوفييتي كان يعكس مزيجاً من الخوف والتفكير « بأسوأ حالة ممكنة » . بعض القصص ، لاسيما تلك التي نُسجت في الخمسينات ، تصورت استيلاء السوفييت على حقول نفط الشرق الأوسط ، وهي عملية لا يمكن تصورها إلا في إطار حرب بين الشرق والغرب . والأهم من هذه نظرية الدومينو الشرق أوسطية ، التي تذهب إلى أن الاطاحة بأي نظام محافظ في الشرق الأوسط ،

ومن ضمن ذلك الأنظمة في شرقي البحر المتوسط ، تنطوي على خطر إحداث تفاعل متسلسل في الخليج ينشأ عنه سلسلة من الأنظمة الراديكالية في مناطق انتاج النفط تكون خاضعة للنفوذ السوفييتي ، إن لم يكن لسيطرته^(١٠) . لكن الأدلة من الفترة الواقعة بين أواسط الخمسينات وأواسط السبعينات توحي بأن الدول الثورية ، على الرغم من أنه ينتظر أن تقيم علاقات سياسية وعسكرية مع الاتحاد السوفييتي ، لن تعني علاقاتها هذه سيطرة السوفييت على سياساتها ؛ ثم إن إقامة النظام الثوري في العراق لم يؤدّ الى تفاعل سلسلة في كل الخليج ، على الرغم من أن العراق شجّع التمرد في تلك المنطقة وهُدّد في عام ١٩٦١ جارته الكويت . ويرجع عدم نجاحه في تغيير الوضع القائم في الخليج إلى الأعمال العسكرية الغربية المقابلة إلى حدّ ما .

القصة (السيناريو) الثالثة والأخيرة ، تخيلت تدخل الأسطول السوفييتي في طرق النفط الغربية بالقرب من مضيق هرمز أو في المحيط الهندي . خرجت هذه القصة بعد ظهور الوجود السوفييتي البحري في المحيط الهندي عام ١٩٦٨ ، وكانت موضوعاً لجدل مطوّل عام ١٩٧٠ في بريطانيا أثناء مناقشة مبيعات الأسلحة الى جنوبي أفريقيا بموجب اتفاقية «سيمونز

تاون». ومن بعد ذلك كانت ذريعة هامة لزيادة الوجود البحري الأمريكي في المحيط الهندي وبناء قاعدة جديدة أمريكية للتسهيلات في جزيرة ديفوغارسيا. وفي تشرين الثاني ١٩٧٤، في سبيل إظهار القوة البحرية، جرت أعظم تدريبات بحرية في تاريخ سانتو (CENTO) على مشارف الخليج حيث ظهرت بعض الدلائل على ازدياد النشاط البحري والجوي السوفييتي في المدة الأخيرة^(٥٥). وفي أيار الذي أعقب هذا التدريب، لخص الدكتور شليسنجر هذه التطورات محذراً بقوله: «ذلك النوع من التوسع يوحي بأن اهتمامهم بقوتهم العسكرية ليس قليلاً على طريق شريان حياة العالم الصناعي الى الخليج العربي»^(٥٦). زميل واحد من موظفي الحكومة فقط لم يكن على مثل هذه الثقة وهو من مصلحة الاستخبارات المركزية (CIA) الذي قال للجنة من الكونغرس إن التركيب العادي للأسطول السوفييتي في المحيط الهندي، وخصوصاً عدم وجود قوة من الغواصات فيه، يوحي بأن منع إمدادات النفط الغربي ليس هدفاً رئيساً للاتحاد السوفييتي في المنطقة^(٥٧). وباللغة العسكرية إن أي تهديد سوفييتي سوف يكون مقصوراً على ظروف قريبة من الحرب أو ظروف الحرب الفعلية^(٥٨). لكن هناك حقاً تهديداً سياسياً لأن معرفة

الجميع بأن الاتحاد السوفييتي يملك القوة للسيطرة على حركة المرور إلى داخل المحيط الهندي وخارجه يمكن أن تمنح الاتحاد السوفييتي بعض النفوذ لدى تلك الأقطار التي ستتأثر أكثر من غيرها في حال القيام بعمل فعلي. ومن المعقول أيضاً أن الدول الصغيرة مثل جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والصومال يمكن أن تستند إلى الوجود العسكري السوفييتي فتتجراً على إغلاق مضيق باب المندب في حال وقوع حرب عربية إسرائيلية أخرى^(٥٩).

بصرف النظر عن المقدرة، يصعب تقدير النوايا السوفييتية إزاء إمدادات النفط الغربية. فليس هناك في الغرب من يختلف مع وجهة نظر البرافدا في أن «إيقاف ضخ نفط الخليج العربي ... سوف يكون بمثابة هزة اقتصادية في العالم الرأسمالي كله»^(٦٠). لكن في الوقت ذاته أوضحت الولايات المتحدة بصورة كافية أنها لن تقبل بخنق اقتصاديات الغرب ولا بسيطرة السوفييت على الشرق الأوسط. والحقيقة أن الأمريكيين تعرضوا لخطر حرب نووية لمنع هذا التطور الأخير. أضف إلى هذا أن على صانعي السياسة الأمريكية أن ينتهوا إلى أن الكتلة الشرقية لن تكون تماماً بمنجاة من آثار (هزة تصيب العالم الرأسمالي كله) بسبب الشرق

الأوسط. وأوروبا الشرقية حساسة سياسياً للاضطرابات الاقتصادية، وتشير الأدلة التاريخية الى أن الأزمة التي تصيب النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية يمكن أن تتحرك باتجاه اليمين كما تتحرك باتجاه اليسار^(١).

لا يعني هذا أن الاتحاد السوفيتي تجاهل المصاعب التي عانى منها المستهلكون الغربيون أو تجنب السعي الى زيادة حداثها. فالدعاية السوفيتية أيدت أو شجعت، لعدد من الأسباب السياسية والاقتصادية معاً، وحدة الأقطار المنتجة، وزيادة أسعار النفط، واستخدام مداخل النفط لتأييد جهات التحرير الوطني في الشرق الأوسط، واستخدام رأس المال العربي (كسلاح فعال) ضد الغرب. والدعاية السوفيتية أيدت أيضاً تأميم شركات النفط الغربية في عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٣. وفي الحالة الأخيرة سعى الاتحاد السوفيتي الى إقناع منظمة أوابيك (OAPEC) بعدم رفع الحظر في الربع التالي. وهناك أيضاً بعض الأدلة على أن الاتحاد السوفيتي استخدم بصورة محدودة نفوذه العسكري في سبيل مصالحه النفطية في العراق. فزيارات الأسطول السوفيتي في عام ١٩٦٩ تزامنت مع المفاوضات العراقية السوفيتية بشأن اسهام السوفييت في استخراج النفط العراقي، ويقال ان مما دفع العراقيين

للسعي إلى عقد المعاهدة العراقية السوفيتية في عام ١٩٧٢ هو خوف العراق من أن يؤدي تأمين شركة النفط العراقية IPC إلى التدخل الغربي^(١٣).

لا مناص من أن يظل إمكان بعض التهديد السوفيتي لإمدادات النفط الشرق أوسطية يشغل بال مخططتي الدفاع على الأقل مادامت التوترات الخطيرة في علاقات الشرق والغرب قائمة. لكن الدليل المستخرج من ثلاثين سنة من التنافس بين أمريكا والاتحاد السوفيتي يوحي أن حساب الأرباح والخسائر لا بد أن يتغير كثيراً في أعين السوفيت قبل أن يتخذ التهديد شكلاً عسكرياً جدياً. وهذا ليس مستحيلاً طبعاً ولكنه يفترض تحولاً كبيراً في ميزان القوى بين الشرق والغرب. كما يحتمل أن ينطوي أيضاً على تحول في الجغرافية السياسية لمنطقة الخليج. وحتى في هذه الحالة يجب أن يظل قائماً في أذهان صانعي السياسة السوفيتية أنه «عندما يستولي اليأس على الأمم، عندما لا تجد أي مخرج آخر، عندما تخشى تدمير ثروتها الاجتماعية أو بنيتها الديمقراطية، عندئذ يمكن أن يحدث كل شيء».

تضائل دور القوة في الدفاع عن المصالح النفطية منذ الحرب العالمية الثانية. ومنع انسحاب بريطانيا من الخليج انتقل

جانب كبير من مسؤولية الدفاع عن منشآت النفط هناك ، ومسؤولية الاستقرار العام للمنطقة ، من أيدي الأقطار المستهلكة الى أيدي الأقطار المنتجة بالرغم من أن المعدات العسكرية اللازمة جاءت معظمها من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية . وتوحي التجربة أن النفوذ العسكري يمكن أن يكون فعالاً في احتواء التهديد الذي تتعرض له إمدادات النفط الغربية من جانب الاتحاد السوفييتي ، ومن جانب سلاح النفط كما تشهره وتحركه الأقطار المنتجة . لكن الأقطار المستهلكة لا يمكن أن تشهر القوة العسكرية في وجه الأقطار المنتجة إلا بمنتهى الصعوبة ، لهذا لا يمكن أن يعتمد الأمن الاقتصادي على السياسة العسكرية إلا بصورة جزئية . ويجب الاعتماد كثيراً أيضاً على تنمية العلاقات الوثيقة الاقتصادية والسياسية بين المستهلكين والمنتجين ، وعلى زيادة مخزونات النفط لدى المستهلكين ، وعلى وضع ترتيبات للمشاركة عند وقوع طوارئ على غرار تلك التي وضعتها وكالة الطاقة الدولية .

الحواشي

- ١ — اليزابيث مونرو، عهد بريطانيا في الشرق الأوسط، ١٩١٤ — ١٩٥٦، ص ٩٧.
- ٢ — هيو توماس، قضية السويس، ص ٣٩ (طبعة معدلة).
- ٣ — للحصول على تقرير أكثر تفصيلاً عن السياسة البريطانية خلال هذه الفترة، راجع بيتر مونغولد، «القوة ونفط الشرق الأوسط»، الطاولة المستديرة، كانون الثاني ١٩٧٦.
- ٤ — انظر تقرير ماكميلان عن الحادث، ركوب العاصفة، ص ٥٢٣.
- ٥ — مناقشات مجلس اللوردات، المجلد ٢١١ — المجموعة ٢٩٠، ٢٨ تموز ١٩٥٨.
- ٦ — للاطلاع على تقرير للعملية التي قام بها ١٠٠٠ جندي من حرس ساحل عُمان في ١٩٦٨ أصبح بعد ذلك دولة الامارات العربية المتحدة، انظر نيويورك تايمز، ٢٦ شباط ١٩٦١، فاينانشال تايمز، ٢٣ شباط ١٩٦٨ و ٥ تشرين الثاني ١٩٦٨، والغارديان، ١٦ نيسان ١٩٧٠.

- ٧ — الواشنطن بوست، ٢٢ أيار ١٩٧٥.
- ٨ — للاطلاع على مناقشة تهديد منشآت النفط بالتخريب، انظر (أمن طريق الكاب) في باتريك وول (الناشر) المحيط الهندي والتهديد ضد الغرب.
- ٩ — مورد شاي آبير، النفط والقوة السياسية ص ١١٧. اكتشفت فيما بعد خللا للجهة الشعبية لتحرير الخليج العربي في دولة الامارات العربية والبحرين والكويت. الايكونوميست، ٩ حزيران ١٩٧٣.
- ١٠ — بناء على تقرير منشور لـ CIA في عام ١٩٧٣، مضائق هرمز أعرض وأعمق من أن تُغلق بإغراق سفن فيها، وهي أعرض من أن تتمكن المدفعية الساحلية السيطرة عليها. ويحتاج إغلاقها الى قوة بحرية وقوة جوية أيضاً. ديفنس مونيتور، نيسان ١٩٧٤.
- ١١ — انظر الفصل ٥.
- ١٢ — يبدو أن العراق كان يهدف الى السيطرة على جزيرة وُزْبا وجزيرة بويان اللتين تشرفان على الممرات المؤدية الى الميناء العراقي (أم القصر) الفاياناشال تايمز، ٥ نيسان ١٩٧٢.
- ١٣ — الغارديان، ٢٠ نيسان ١٩٧٠.
- ١٤ — ر. م. بورل و آ — ج. كوترل، ايران وأفغانستان وباكستان، توترات ومعضلات، ص ٥.

١٥ — أيد العراق التمرد في بلوخستان الايرانية، كما أيدَ حزب تودة الايراني.

١٦ — الغارديان، ٧ آذار ١٩٧٥.

١٧ — تلقى كل من الملكيين في اليمن والسلطان قابوس في عُمان مساعدات عسكرية من عدد كبير من الدول المحافظة في الشرق الأوسط.

١٨ — ج. مايستر، تعاظم الأسطول الايراني، سويس ريفو أوف ورد آفير، تموز ١٩٧٣.

١٩ — بقي النفط أسبوعاً بعد حرب يوم الغفران متوافراً في الحقيقة في موانئ النفط في شرقي البحر الأبيض المتوسط في الاسبوع الذي تلا حرب تشرين لكن شاحنات النفط لم تكن راغبة في التعرض لخطر دخول المنطقة. (التوسع المقترح للتسهيلات العسكرية الأمريكية في المحيط الهندي). الشهادات، لجنة الشؤون الخارجية في مجلس العموم، اللجنة الفرعية الخاصة بالشرق الأدنى وجنوبي آسيا، ص ٥٣.

٢٠ — فؤاد إيتايم، (نقاط الضعف والقوة لسلح النفط) في الشوق الأوسط والنظام الدولي، الجزء ٢، ص ١. من أهم المراجع في قوة النفط العربية، والمرجع الذي لقي انتباهاً كبيراً في بريطانيا العظمى تجده في فلسفة الثورة لعبد الناصر، المنشور في عام ١٩٥٥.

٢١- شارل عيساوي، (فحص عواقب ضغط النفط من قبل الدول العربية)، انترناشيونال برسبيكتيف، آذار- نيسان ١٩٧٤، ص ٩.

٢٢- هانزفول، النفط والنفوذ، ص ٤.

٢٣- ايتايم، المصدر السابق، ص ٢.

٢٤- بينما أحجم العراق عن القيام بأي قطع كامل للإنتاج خوفاً من فقدان عائدات النفط فيما يظهر، طبق حظر النفط على الولايات المتحدة وهولندا وأتم مصالحهما النفطية.

٢٥- يظهر أن حظر النفط على هولندا كان رداً على أعمال مؤيدة لاسرائيل قامت بها هولندا ومن ضمنها أنها عرضت على اسرائيل أن تحل محل محل التمسك كمركز لتجمع اليهود السوفييت المهاجرين من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل، وتصريحات من جانب مختلف الزعماء الهولنديين مؤيدة لاسرائيل، وجمع المتطوعين بإذن من السلطات للخدمة في اسرائيل، واستعمال الخطوط الجوية الرسمية KLM في رحلات خاصة الى اسرائيل ذات صلة بالجهود الحربية. جورج لنزوسكي، (الأقطار المنتجة للنفط) دايد الويس، خريف ١٩٧٥، ص ١٩٦٥.

٢٦- كان الثمن الخاص لرفع الحظر رحلات الدكتور كيسنجر (المكوكية) بين دمشق وتل أبيب التي انتهت باتفاقية فك الارتباط السورية الاسرائيلية. ادوارد شيهان، (دبلوماسية الخطوة

فخطوة في الشرق الأوسط)، السياسة الخارجية، ربيع ١٩٧٦، ص ٣٦.

٢٧ — مول، المصدر السابق ص ص ٣٥ — ٣٦.
٢٨ — لاحظ أيضاً البيان المؤيد للعرب الذي صدر عن المجموعة

الاقتصادية الأوربية EEC في ٦ تشرين الثاني ١٩٧٣.
٢٩ — تراوح العجز في الربع الأخير من عام ١٩٧٣ بين ٩ بالمائة في

حالة هولندا و ٢٥ بالمائة في حالة الدنمارك، وتراوح العجز بين ١١ و ١٤ بالمائة في الولايات المتحدة، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا. مول. المصدر السابق، ص ٧.

٣٠ — للاطلاع على مناقشة احتمال سيطرة الأقطار المنتجة على نظام التوزيع الدولي، انظر مول، المصدر السابق، ص ص ١٢ — ١٤.

٣١ — المصدر نفسه ص ص ١٥ — ١٦.

٣٢ — في مقابلة مع مجلة دير شبيغل الألمانية الغربية، في كانون الأول ١٩٧٦ إبان معارضة السعوديين للزيادات في أسعار نفط الأوبك OPEC، قال الشيخ يمانى وزير النفط السعودي: «نحن قلقون جداً على الوضع الاقتصادي في الغرب، قلقون من إمكان حدوث كساد جديد، قلقون على الوضع في بريطانيا وإيطاليا، وحتى في فرنسا وبعض الأمم الأخرى. ولا نريد أن يأتي نظام جديد للحكم في فرنسا أو في إيطاليا».

- ٣٣ — انترناشيونال هيرالد تريبون، ١٦ كانون أول ١٩٧٦، والتايمز ٢١ شباط ١٩٧٧.
- ٣٤ — أنظر الآراء التي عبر عنها في وقت مبكر من عام ١٩٧٥ هيكل والشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، نيوزويك، ٢٧ كانون الثاني و ١٠ آذار ١٩٧٥.
- ٣٥ — مول، المصدر السابق، ص ٣٢.
- ٣٦ — رفضت الولايات المتحدة بإصرار أن تستخدم غير الاقناع الدبلوماسي المعتدل جداً في أوائل السبعينات مع العربية السعودية، بينما لم تعترض على استخدام الأساليب الأشد خشونة من قبل البريطانيين في مشيخات الخليج.
- ٣٧ — استعملت عبارة (عنق Jugular) بصدد الخليج من قبل الزعماء البريطانيين في الخمسينات (الذين استخدموها أيضاً بالنسبة للسويس)، ومن قبل الشاه في السبعينات، ووردت اشارة من قبل السيناتور فولبرايت الى امكان استيلاء ايران على بعض مشيخات الخليج.
- ٣٨ — أحمد إقبال ودافيد كابلو (منطق التدخل العسكري)، الحرق والطبقة، شتاء ١٩٧٦، ص ٣٢٣.
- ٣٩ — انظر المقال الذي كتبه روبرت توكر، (النفط : قضية التدخل الأمريكي)، في كومانثري، كانون الثاني ١٩٧٥.
- ٤٠ — كتيبتان من الجيش وكتيبتان من البحرية مع جناح جوي

- عضوي، مؤلف من ثمانية أسراب من طائرات F4، وسريان من طائرات الاستطلاع وأربعة أسراب هجومية.
- ٤١ — (خارج النار)، ملحق الأيكونوميست، أيار ١٩٧٥، ص ٣٦.
- ٤٢ — دوايت ايزنهاور، شن السلم، ص ٦٦٧.
- ٤٣ — في مقابلة صحفية مع بزنس ويك، كان الدكتور كيسنجر قد علق بقوله: (إن أي رئيس يلجأ الى العمل العسكري في الشرق الأوسط من دون أن يلتفت الى ما يمكن أن يعمل السوفييت لا بد أن يكون رئيساً متهوراً. والمسألة هي الى أي مدى سوف يسمح لنفسه بأن يردعه العمل العسكري).
- ٤٤ — في مقابلة اذاعية علّق وزير الخارجية الفرنسي «سوفنيارغ» بقوله: (إنه ما كان يود أن يقول ذلك، لكنني لست أنتقد وزير الخارجية الأمريكي). وبالمقابل نقل عن ناطق بلسان حكومة ألمانيا الغربية قوله: (نحن لا نرغب في أي نوع من المجابهة مع أقطار النفط بل بالتعاون معها. ولعلنا نبالغ في تقدير قوانا ونخون أهدافنا السياسية إذا نحن لجأنا الى القوة أو حتى إذا فكرنا مجرد التفكير فيها. نحن لا يدور في أذهاننا استعمال القوة ولا نشارك أحداً في أفكار من هذا القبيل). الفايانشال تايمز، ١٣ كانون الثاني ١٩٧٥، نيويورك تايمز، ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٥، و ٦ كانون الثاني ١٩٧٥.

٤٥ — كلوس. كنور،، (حدود القوة الاقتصادية العسكرية)،

ديدالوس، خريف ١٩٧٥، ص ٢٣٧.

٤٦ — في كانون الأول ١٩٧٤ قال الرئيس فورد للصحافي جوزف

آلسوب إنه كان يقدر احتمال نشوب حرب في المستقبل القريب

بين العرب واسرائيل بأكثر من ٧٠ بالمائة. الواشنطن بوست،

٢٧ كانون الثاني ١٩٧٥.

٤٧ — أخبار الولايات المتحدة وتقرير عن العالم، (U. S. News

And.world reports)، ٢ كانون الأول ١٩٧٤، أنظر أيضاً

فاينانشال تايمز ١٤ كانون ثاني ١٩٧٥، سالدي تايمز، ٩

شباط ١٩٧٥.

٤٨ — كريستيان ساينس مونيتور، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٤، ورد

في أحمد وكابلو، المصدر السابق، ص ٣٢٣. بعد اسبوعين

نزل ٣٠٠٠ من جنود البحرية من الأسطول السادس في

ساردينيا في غزوة وهمية للدولة نفط عربية. ورؤي عن قائد

الأسطول قوله: (لانيذ غزو الشرق الأوسط ولكن نحن

مستعدون لهذا الغزو)، المصدر نفسه.

٤٩ — ورد في ستراتيجمك سُرفي ١٩٧٤، ص ٣٠.

٥٠ — انتر ناشينال هيرالد تريبيون، ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٤.

٥١ — الغارديان، ٦ كانون الثاني ١٩٧٥، نشرت الواشنطن بوست

مقالاً ورد فيه على لسان رُسميين من عدة أقطار عربية أقوال عن

سلوك أمريكا غير المنطقي ونزوعها الى اللجوء الى القوة من أجل حل المشكلات الدولية. ويمكن اعتبار هذا تبريراً للرأي، الذي نُسب الى مساعدتي الدكتور كيسنجر، بأن التحذير الأمريكي كان القصد منه تقوية القوى المعتدلة ضد الراديكاليين العرب فيما يتصل بمسألة النفط. الـواشنطن بوست، ٧ شباط ١٩٧٥، ونيويورك تايمز، ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٥.

٥٢ — الـواشنطن بوست، ٢٢ أيار ١٩٧٥، والفاينانشال تايمز، ١٢ كانون الثاني ١٩٧٦.

٥٣ — في أثناء زيارة خروتشيف وبولغانين لبريطانيا في ١٩٥٥ جرى تحذيرهما من أن البريطانيين سوف يحاربون من أجل نفطهم. وعلق مكميلان فيما بعد في مذكراته بقوله: (سواء كان هذا من الحكمة أم لا، يبدو أنه ترك انطباعاً عميقاً لدى زائرينا) المصدر السابق. ص ٩٦.

٥٤ — كالب وكالب، كيسنجر، ص ١٩٢.

٥٥ — نيويورك تايمز، ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤.

٥٦ — الديلي تلغراف، ١٩ أيار ١٩٧٥. تحدثت التقارير في بداية ١٩٧٥ عن بناء قواعد سوفيتية تبعد عن الخليج مسافة مدى القاذفات والمقاتلات، وبناء على أحد التصورات يمكن أن يحاول الروس إغلاق الخليج في أثناء الحظر المفروض على النفط ليمنعوا شحن النفط الايراني الى اسرائيل. وفي أثناء المناورات البحرية

الواسعة التي جرت في ١٩٧٥ كرر الأسطول السوفيتي تكتيكات لقطع الطرق البحرية. الأميرال ستانسفيلد تورنر: (التوازن البحري: ليس لعبة أرقام فقط). الشؤون الخارجية، كانون الثاني ١٩٧٧، ص ٣٤٢.

الانترناشيونال هيرالد تريبيون، ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٥، ونيويورك تايمز، ٧ نيسان ١٩٧٥.

٥٧ — سجل الكونغرس، ٢٢ آذار ١٩٧٥. وقيل أيضاً إن الأسطول السوفيتي لم يكن على استعداد لادخال الغرب في حرب تقليدية طويلة المدى، وإن هناك مناطق خارج المحيط الهندي أقرب الى القواعد الموجودة في الاتحاد السوفيتي يمكن أن تكون أنسب لمنع شاحنات النفط من المرور.

٥٨ — يمكن قطع طرق النفط بصورة محدودة في زمن السلم بسبب إعلان الروس عن عزمهم إجراء تدريبات أو تجارب على الصواريخ في المنطقة التي تمر منها طرق النفط. وقد أغلق الروس مناطق في وجه السفن بهذه الصورة في الماضي، ولاسيما في البحر الترويجي، الفاياناشال تايمز، ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٦.

٥٩ — آرثر جي. كلينغوفر، (سياسة النفط السوفيتية وقناة السويس)، العالم اليوم، تشرين الأول ١٩٧٥، ص ٤٠٤.

٦٠ — ورد في كوهلر وغوري وهارفي، الاتحاد السوفيتي وحرب تشرين ١٩٧٣، ص ٢٣.

٦١ — يضاف الى هذا أن تطوراً من هذا القبيل من شأنه أن يهدد التكنولوجيا الغربية التي يستوردها السوفييت . ويشير أحد التقارير الى أن المبعوثين السوفييت في الشرق الأوسط ، حتى قبل حرب يوم الغفران ، كانوا يبحثون بنشاط عن وسائل لتخفيف ضغط أسعار النفط المرتفعة على تلك الدول التي كانت تتلقى من الاتحاد السوفيتي مساعدة اقتصادية . جون كيمشي ، (دبلوماسية النفط السوفيتية) هيلدستريم ، كانون أول ١٩٧٤ ، ص ص ١١ - ١٢ .

٦٢ — أ . ج . كوتزل و ر . م . بُول (المنافسة البحرية السوفيتية في المحيط الهندي) ، أوربيس ، شتاء ١٩٧٥ ، ص ص ١٣ — ١٤ .

الفصل الخامس

الخليج وشبه الجزيرة العربية

ليس شبه الجزيرة العربية والخليج مركز انتاج النفط في الشرق الأوسط حسب، بل مركز السياسة المحافظة أيضاً. لذلك تمكن الغرب من الاحتفاظ بما يشبه احتكار النفوذ العسكري الفعلي في المنطقة. وقد ركز الانتباه على هذه المنطقة وجود النفط فيها وقرها النسبي من الاتحاد السوفيتي الذي يحد إيران من الشمال. وسمح انعدام الأمن والأيدولوجية والروابط التاريخية بمنح منفذ عسكري. أما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فإن الانقلاب العراقي عام ١٩٥٨، ومجموع المنافسات في اليمن وفيما بينهما، قد زوداه بما لا يزيد عن موطيء قدم غير ثابت في منطقة تشتد فيها النزعة المعادية للشيوعية، وعانت فيها الدول «الثورية» من العزلة السياسية.

فخلال معظم فترة العقود الثلاثة بعد الحرب العالمية

الثانية ، وحتى أوائل السبعينات في الحقيقة ، لم يطرأ على الجغرافيا السياسية لنشبه الجزيرة العربية والخليج سوى تبدل قليل نسبياً . ولم يظهر التأثير السياسي للتوسع في انتاج النفط إلا ببطء ، وربما كان تأثيره الأولي في المشيخات بعيداً عن إشاعة الاستقرار .
اضطر استمرار الضعف السياسي والعسكري معظم الأقطار في المنطقة للبحث عن الدعم العسكري خارج الشرق الأوسط .
فاتجه أكثر هذه الأقطار الى بريطانيا التي كانت عضواً في السانتو CENTO ، وظلت تحتفظ ، حتى عام ١٩٧٥ ، بقوات نووية في قبرص « تنسبها » للحلف . وكان لها في قاعدة عدن ، وفيما بعد في البحرين والشارقة أيضاً ، تعزيزات للعمليات من أجل دعم المشيخات التي كانت تربطها معها معاهدات يرجع تاريخها الى القرن التاسع عشر . هذه الشبكة من العلاقات سمحت للبريطانيين بتعهد ذلك الجانب من النظام الخليجي الأكثر تعرضاً للخطر . وضمنت بريطانيا عدم تحول المشيخات الى رؤوس جسور ثورية الى نظام الخليج ، بفضل المساعدات التي قدّمت لها لحمايتها من الأخطار الداخلية . كما استطاعت بريطانيا ، بفضل حماية المشيخات من هجمات الجارات الكبيرات ، أن تعدل الخلل الكبير في توازن القوى القائم في

الخليج . لأنه بوجود قوة خارجية مستعدة للقتال ، كان كل من العراق وايران والعربية السعودية يحجم مضطراً عن تحقيق مطالبه في أراضي الدول الصغيرة بالقوة ، أو يقتنع بإرجاء تحقيق هذه المطالب . وبهذه الصورة تمكنت المشيخات من البقاء من دون أن تصبح نهياً للنزاعات المحلية .

لكن السلام البريطاني كان يتمتع بدعم أمريكي مرئي نوعاً ما . وكانت قاعدة «ميدايسف فور MIDEASTFOR» في البحرين رمزاً للمصالح الأمريكية في الخليج ؛ لكن الأمر كان يحتاج الى مزيد من الدعم من حين الى آخر . فبعد الانقلاب العراقي مباشرة وُضعت خطط للقيام عند اللزوم بعمليات أمريكية لدعم الكويت وأعطيت هيئة رؤساء الأركان تعليمات بأن تستخدم ، بعد موافقة من أيزنهاور بالذات ، (أية وسيلة قد تراها ضرورية) لمنع هجوم عراقي على هذه الامارة ، ووافق ايزنهاور بالذات على اقتراح من هيئة رؤساء الأركان بتحريك قوة مقاتلة من فوج مشاة البحرية الموجود في أوكيناوا ، لكي ترابط في الخليج^(١) . ولم يلبث الخطر المباشر أن زال لكن التهديد العراقي ظل ماثلاً . فطُلب من البريطانيين في ١٩٥٩ ضمان محدّد لتقديم العون في حالة اعتداء عراقي . ومن المهم أن نلاحظ مما قاله مكميلان أن رغبة الحكومة

البريطانية في تقديم الضمان قد تأثرت بحقيقة (أنا الآن على يقين تقريباً من الحصول على التأييد التام وربما على بعض العون العملي من أصدقائنا الأمريكيين للدفاع عن المصالح الغربية في الخليج عند وقوع اضطراب خطير)^(١).

وكان الرد الأمريكي الآخر على انقلاب العراق زيادة المحاولات لمواجهة التمرد في واحدة من أهم دول الخليج^(٢). فبينما كانت السياسة العسكرية الأمريكية إزاء طهران مرتبطة بالدرجة الأولى بالتهديد العسكري والسياسي من الشمال^(٣)، كان هدفها الرئيس في معظم الخمسينات وأوائل الستينات هو الإبقاء على عرش الشاه^(٤). ولم يكن إلا جانب قليل نسبياً من سياسة الإمدادات العسكرية موجهاً لمحاولة مد القوات الإيرانية بالقدره الفعلية لمقاومة الهجوم السوفييتي، لأن هذه المهمة ربما بدت مستحيلة في ذلك الوقت. وكان الأمريكيون يعتبرون أن بالامكان أداءها بشكل أفضل عن طريق خطط الطوارئ التي ينفذها حلف السانتو^(٥). ونجد المحاولات الأخرى لتطمين الشاه ولتعزيز قوة الردع الموجودة بحكم الواقع في الضمان الأمريكي، في المعاهدة الثنائية المعقودة بين الولايات المتحدة وإيران في عام ١٩٥٩. وبموجب هذه المعاهدة وافقت الولايات المتحدة على أن تتخذ،

بحسب طرقها الدستورية : (ما يلزم من اجراءات ، ومن ضمنها ، استخدام القوة المسلحة ، بالصورة التي يتفق عليها الطرفان) . في حالة عدوان سوفيتي^(٧) .

وفي الشاطئ الجنوبي للخليج ، احتفظت الولايات المتحدة بعلاقات عسكرية مع العربية السعودية التي كانت بريطانيا قد اضطدمت معها في أواسط الخمسينات في أثناء النزاع بشأن واحة البريمي^(٨) . يرجع عهد البعثة العسكرية الأمريكية في العربية السعودية الى عام ١٩٤٣ ، وفي عام ١٩٥٠ أكد الرئيس ترومان لابن سعود مصلحة الولايات المتحدة في وحدة أراضي المملكة . وفي نهاية العقد أدرك الأمريكيون أن الخطر الأكبر الذي يهدد المملكة سوف يأتي من التمرد الداخلي^(٩) . وفي عام ١٩٦٢ ظهر أن التهديدين يجتمعان عقب اندلاع الحرب الأهلية اليمنية ، ودخول قوات مصرية الى جانب قوات الجمهوريين . واعتُبرت هذه الأحداث بداية للقضاء على الملكية^(١٠) . واقتضت تورطاً أمريكياً أقوى من برنامج الإمدادات العسكرية المحدود الذي كان ينفذ حتى ذلك الحين^(١١) . وبناء على ذلك أرسل كيندي في ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٢ رسالة الى ولي العهد الأمير فيصل تتضمن (تعهد الولايات المتحدة بتقديم الدعم الكامل للحفاظ على وحدة

العربية السعودية)“، وفي تشرين الثاني حُلقت الطائرات العسكرية الأمريكية فوق جدة والرياض.

وخلال الأشهر القليلة التالية لم يكن هدف الدبلوماسية الأمريكية تقديم حماية آنية فقط للسعوديين، بل تأمين استقرار على المدى البعيد أيضاً للشرق الأوسط بوضع حد للحرب الأهلية. وبناء على ذلك ابتكرت الإدارة الأمريكية في بداية ١٩٦٣ مشروعاً عرف باسم (القمة القاسية) وكان الهدف من هذا المشروع أن تلتزم أمريكا بالدفاع عن العربية السعودية مقابل موافقة السعوديين على إنهاء دعمهم للملكيين في اليمن، وهذا بدوره يهدف إلى مساومة المصريين لإقناعهم بسحب قواتهم بالمقابل؛ لكن القوة الرادعة الرمزية المؤلفة من سرب واحد من المقاتلات الأمريكية للدفاع عن المجال الجوي السعودي لم تجذب البنتاغون، الذي كان يعترض بأن عدم وجود بيئة أرضية قاسية ورادار يمكن أن يجعل الطائرات المقاتلة أهدافاً سهلة ثابتة، كما أنها لم تُفنع فيصل الذي لم يكن يثق بهذا الالتزام الضمني للدفاع عن العربية السعودية، وكان يمت ما كان يصاحبه من ضغط دبلوماسي لاجراء إصلاحات داخلية“٣. إلا أن سرّاً من الطائرات المقاتلة توجه بالاضافة إلى ٥٠٠ من رجال الخدمة إلى

العربية السعودية للقيام بمناورات مشتركة؛ لكنهم لم يُرسلوا للدفاع عن المجال الجوي السعودي وظلوا في أماكن بعيدة عن المناطق التي كانت تشهد نشاطاً جوياً مصريةً. ثم سُحب السرب في كانون الثاني ١٩٦٤ عقب خلاف حول تمديد معاهدة فك الارتباط في اليمن. وتم للسعوديين بعد ذلك امتلاك نظام للدفاع الجوي خاص بهم يعمل فيه طيارون بريطانيون مدنيون متعاقدون^(١).

وبالمقارنة مع الغرب، كانت السياسة العسكرية السوفيتية في المنطقة خلال الخمسينات والستينات محدودة أكثر وأقل حظاً من النجاح أيضاً. فباستثناء العراق بعد عام ١٩٥٨ كان المنفذ العسكري السوفيتي الى الخليج وشبه الجزيرة العربية مقصوراً على الربع الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية. ونجد في العلاقات السوفيتية مع اليمن مثلاً هاماً للفوائد المباشرة والمخاطر بعيدة المدى للسياسة العسكرية السوفيتية التصحيحية في الشرق الأوسط. فقد كسب الاتحاد السوفيتي منفذاً عسكرياً الى دولة اليمن المحافظة جداً في أواسط الخمسينات، عندما كان نظام الامام يحاول ملاحقة مطالبه ضد محميات عدن المجاورة. وبدأت الأسلحة السوفيتية الأولى تصل في تشرين الأول عام ١٩٥٦،

وتبعها في السنة التالية مدربون عسكريون وميكانيكيون ، فأجبرت هذه الامدادات العسكرية المحدودة جداً البريطانيين على تعزيز دفاعاتهم في عدن^(١١)، وكان الانقلاب الجمهوري في عام ١٩٦٢ ، الذي سرعان ما تورط المصريون فيه ، ينطوي على عواقب أبعد أثراً. كانت اليمن تتمتع بموقع استراتيجي هام بالقرب من مدخل البحر الأحمر ورغم كونها أفقر أقطار شبه الجزيرة العربية. وقد جعلت منها الحرب الأهلية قاعدة مفيدة للضغط على اتحاد الجنوب العربي الهش وحديث النشأة الذي أقامته بريطانيا كإطار سياسي تستطيع من خلاله الاحتفاظ بقاعدة عدن.

لكن الحكم على التدخل المصري لم يكن سليماً. فلم يلبث المصريون أن وجدوا أنهم يخوضون حرباً مع عصابات بوساطة قواتهم المدربة على شن حرب تقليدية. وظل حوالي ٦٠٠٠٠ مصري متورطين في الحرب خلال خمس سنوات تقريباً. وأرسلت خلال هذه الفترة معدات عسكرية سوفيتية ثمنها ٢٠٠ مليون دولار الى الجمهوريين عن طريق المصريين^(١٢). وقدم الاتحاد السوفيتي دعماً سوكياً أيضاً بنقل القوات المصرية بحراً بين مصر واليمن. كما عقد في حزيران ١٩٦٣ مع مصر اتفاقاً

لتزويدها بالسلاح فكان أهم الاتفاقات التي عقدها معها حتى ذلك الحين ، وتضمن تزويدها بأربع وعشرين طائرة نقل جوي من طراز « انتونوف » لاستخدامها على طريق القاهرة — الأقصر — اليمن . وكان يقود هذه الطائرة طيارون سوفيت برفقة طيارين مصريين^(١٧) .

وعندما اضطر المصريون الى الانسحاب من اليمن بسبب حرب الأيام الستة ، وقعت عاصمتها صنعاء في طوق القوات الملكية وزاد تورط الاتحاد السوفيتي . وتحولت سياسة نقل الامدادات العسكرية الى عمليات عسكرية صغيرة . فتم إرسال ١٠ آلاف طن من المعدات خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٦٧ في شحنات جوية مستعجلة^(١٨) . ووضِع سرب من طائرات ميغ ١٩ تحت تصرف الجمهوريين بالاضافة الى طائرات أخرى مع ما يلزم من مدربين وملاحين أرضيين ، وقام الطيارون السوفيت بتأمين غطاء جوي للقوات اليمنية . ولم تستمر هذه العملية مدة طويلة ، لأن إحدى الطائرات التي كان يقودها طيار سوفيتي لم تلبث أن أسقطت وتم التعرف على هوية طيارها . فأخذ الطيارون السوريون بعد ذلك يحملون محل الطيارين السوفيت . ولم يحتل الملكيون صنعاء لكن في آب ١٩٦٨ عندما

كان من المتوقع شنُّ جولة جديدة من القتال ، قام السوفييت بشحن الأسلحة مرة ثانية بطريق الجو إلى الجمهوريين^(١) .

كان للاتفاق العسكري السوفييتي في اليمن بعض المردود على المدى البعيد . في اليمن الشمالي لم يكسب الاتحاد السوفييتي شيئاً ، وساءت علاقاته مع صنعاء في أوائل السبعينات وأخذ القطر يعاني من نقص في قطع الغيار والذخيرة . وأخيراً قطع اليمن الشمالي في عام ١٩٧٦ علاقاته العسكرية مع الاتحاد السوفييتي بتحريض من السعوديين^(٢) كما أن الحرب اليمنية الأهلية لم تؤد إلى سقوط الملكية في العربية السعودية ، لأن الولايات المتحدة تدخلت للحيلولة دون ذلك ، وعلى العكس من ذلك ، أدت الحرب الأهلية إلى تقوية مكانة الملك فيصل الإقليمية على حساب الرئيس عبد الناصر . لكن الحرب الأهلية تسربت عبر حدود اتحاد الجنوب العربي حيث أسهمت في تطور المقاومة التي لم تلبث أن جعلت من الصعب الدفاع عن قاعدة عدن . ومع انسحاب البريطانيين في تشرين الثاني عام ١٩٦٧ تداعى اتحاد الجنوب العربي وحل محله النظام الذي لم يلبث أن صار أول نظام ماركسي في العالم العربي .

كان الانسحاب البريطاني من الخليج أقل تأثيراً في

الاستقرار من الانسحاب من عدن نهائياً. فعندما أعلن في كانون الثاني ١٩٦٨ عن الانسحاب، تضمن الاعلان بصورة واضحة أن الجيوش لن تجلو إلا بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ. وقد سمح هذا لكل من لندن وعواصم الخليج بمراجعة الموقف وتسوية بعض الخلافات المحلية على الأقل. فزاد من دور بريطانيا في حرب ظفار في عام ١٩٧٠^(١١). وفي أماكن أخرى من الخليج، قبل الانسحاب. العسكري في عام ١٩٧١ وبعده، إذ ساعدت بريطانيا مختلف الأقطار في تطوير قواتها الخاصة. وفي هذا المجال قد تكون الأسلحة أقل أهمية من التدريب ومن الخبراء. وكانت بريطانيا تتمتع بعلاقات وثيقة مع الأسطول الإيراني، إذ كانت تمد الإيرانيين بالخبرة اللازمة لإقامة القواعد البحرية الإيرانية في الخليج وتشرف على تدريب كتيبة كوماندو برمائية^(١٢). وهي وحدة هامة للاستراتيجية الإيرانية لإقامة الاستقرار في المنطقة، وكانت الشركات البريطانية متورطة بصورة شديدة. في أعمال التدريب والصيانة الخاصة بالقوة الجوية السعودية. وبقي الخبراء البريطانيون وفرق ضباط الارتباط في عدد من الامارات من ضمنها البحرين وأبو ظبي ورأس الخيمة التي كان يدير قوات الأمن فيها ضباط بريطانيون^(١٣). وكان في الكويت فريق من ضباط الارتباط يقدم

المهارات التقنية، ويمنح نوعاً من الاحساس بالاطمئنان للدولة منعزلة نوعاً ما وغير آمنة على العموم.

ماذن لم يكن الانسحاب البريطاني منتظماً حسب^(٢٤)، بل لم يكن توقيته سيئاً، كما كان البعض يظن. لا شك أن قرار الانسحاب لم يلقَ ترحيباً في الخليج وقد تم بناء على اعتبارات سياسية بريطانية داخلية وليس بناء على أي اعتبار لحاجة مباشرة إلى الاستقرار في المنطقة^(٢٥). لكن ردّ الفعل العدائي من جانب إيران على الاقتراحات اللاحقة بشأن إعادة النظر في قرار الانسحاب البريطاني لم يلبث أن أظهر أن أيام السلام البريطاني كانت معدودة في جميع الأحوال. فقد كانت الثروة النفطية آخذة بخلق ثقة جديدة بالنفس لا تنسجم مع الابقاء على وجود عسكري أجنبي على المدى الطويل. كما أن نمو عائدات النفط الذي تسارع مع الزيادات في أسعاره في أوائل السبعينات، زوّد دول الخليج بالموارد اللازمة لبناء قواتها المسلحة الخاصة بها. ولم يلبث مستوى التسليح أن بلغ درجة أخذ الوجود البريطاني في العقد السابق يبدو تافهاً إزاءها..

وهكذا بدلاً من أن يؤدي إعلان الانسحاب البريطاني إلى فراغ في السلطة، عجل في التطورات التي سمحت بظهور نظام

أمن وطني من حيث الأساس. وعلى الرغم من أن المنافسات المحلية لم تسمح بظهور أية بنية أمنية رسمية فقد أدت المصلحة الذاتية إلى ظهور تعايش سلمي (Modu, Vivendi) بين الدول المختلفة، وهو تعايش واقعي كان يُحترم فيه استقلال المشيخات، وتم فيه التأكيد على إبعاد قوات الدول العظمى عن المنطقة؛ ولكن هذه التطورات كانت تنطوي على نمو سريع للقوات المسلحة المحلية. وكان خلق قدرات عسكرية فعلية عملية طويلة الأمد إلى حد كبير إذا قيسست بعملية تكديس الأسلحة فقط. وكان معظم الميزانيات العسكرية المتزايدة في دول الخليج ينفق في بناء مشاريع البنى الأساسية، وكان الطلب شديداً على نقل المهارات العسكرية الأجنبية من أجل التدريب على استخدام المعدات العسكرية عالية التعقيد في منطقة كان مستوى التعليم التقني فيها لا يزال منخفضاً. وكانت الأيدي العاملة الماهرة غير كافية. وبناء على هذا بقيت دول الخليج فترة غير قليلة تعتمد عسكرياً على القوى الخارجية^(٢٦).

وكان هذا يعني في الحقيقة الولايات المتحدة. إن القرار البريطاني بالانسحاب لم يلق ترحيباً من واشنطن التي اضطرت إلى إعادة تقدير الدور الأمريكي في الخليج، لأنه لم يعد بالامكان الاستمرار

في السياسة الأمريكية التقليدية التي تحاول البقاء بعيداً عن المشاكل وتترك للبريطانيين وحدهم النهوض بالعبء. لكن الأمريكيين لم يلبثوا أن أوضحوا أنهم لن يحلوا محل الوجود البريطاني. فجري تحديث قاعدة (ميدايست فور Mideast For) لكن من دون توسيعها. وكان دورها بالدرجة الأولى معنوياً، لأنها كانت رمزاً محلياً للسلطة الأمريكية ودعمها. وظلت الزيارات لمينائها عدة سنوات تؤمن الاتصال الرسمي الوحيد بين حكومة الولايات المتحدة وبعض المشيخات الصغرى. وكانت الجهات الرسمية تشعر أن انسحاب قاعدة (ميدايست فور) يمكن أن يفسر، ولاسيما من جانب المشيخات، بتناقص اهتمام الولايات المتحدة بالمنطقة^(٢٧).

فيما عدا هذا كانت سياسة الولايات المتحدة متفقة مع مبدأ نيكسون. فقد كان الأمريكيون يسعون الى تشجيع تطوير نظام أمني وطني، الى خلق ما أطلق عليه موظف أمريكي (مجموعة أقطار في الخليج مكثفية بذاتها، معتمدة على نفسها، وواثقة بنفسها)^(٢٨). وكان هذا يعني دعم التعاون المحلي، لكن كان يعني أيضاً نقل الامدادات العسكرية، على نطاق واسع، من أجل تزويد إيران والسعودية بالقدرة اللازمة للدفاع لا عن نفسيهما

حسب بل عن المشيخات أيضاً^(٣١). وكانت الكويت من بين هذه المشيخات هي الوحيدة التي سارعت إلى إنشاء علاقات دفاعية مع الولايات المتحدة. جاء هذا بعد إلغاء الرسائل المتبادلة التي كانت قد زوّدت الكويت بكفالة بريطانية دفاعية يمكن اللجوء إليها كحل أخير. فقام فريق أمريكي في عام ١٩٧٢ بتحليل عميق لمتطلبات الكويت الدفاعية^(٣٢). وتبع ذلك تقديم الكويت طلبات للحصول على الطائرات الحربية الأمريكية وغيرها من المعدات.

وكان لدى العربية السعودية وإيران ماتقدمانه للولايات المتحدة أكبر مما لدى المشيخات الغنية التي يكاد يتعذر الدفاع عنها في بعض الأحيان. فلم يعد أي من هذين البلدين زبوناً ضعيفاً كما كان قبل عقدين من الزمن. كانت العربية السعودية آخذة في أواسط السبعينات، بعد أزمة النفط وموت الملك فيصل، بالظهور كقوة كبيرة في السياسة الدولية والسياسة الشرق الأوسطية. إنما كان ينقصها العدد الكبير من السكان أو القوات المسلحة؛ وقد وجد الأمريكيون مشقة في محاولة إقناع السعوديين بعدم شراء بعض المعدات الأكثر تعقيداً التي أوصت عليها إيران والتي لم يكن يُنتظر من القوات السعودية أن تستخدمها

بكفاءة^(٣١). وكان الأمريكيون ينشئون بعض فروع القوات المسلحة السعودية من البداية تقريباً. وكان هذا يعني أيضاً أن تقديم الخدمات العسكرية ومن ضمنها التدريب ومشاريع الصيانة والهياكل الأساسية، كان يؤلف الجزء الأعظم من برنامج نقل الامدادات الأمريكي، ولم ينفق على المعدات العسكرية الفعلية سوى ١٠٪ من مبلغ ٣٨٨ مليون دولار الذي جرى انفاقه في الولايات المتحدة في عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦^(٣٢). وتم الاتفاق في عام ١٩٧١ على تنفيذ برنامج أمريكي يمتد الى نهاية ١٩٨٣ لتطوير الأسطول. وتضمن هذا البرنامج تقديم ١٩ سفينة صغيرة، وتدريباً، وبناء مرافق سواحل^(٣٣). وفي القوة الجوية قُدّرت قيمة (عملية صقر السلام) التي تضمنت إنشاء المطارات الحربية والتدريب والصيانة لطائرات F5 البسيطة نسبياً، قُدّرت قيمة هذه العملية بنحو ٣ بلايين دولار^(٣٤). وتمّ تدريب أربع كتائب مشاة محمولة، وكتيبة مدفعية من قوات الحرس الوطني السعودية التي تُعتبر من الناحية السياسية الفرع الأكثر حساسية والأُسرع نبؤاً في القوات السعودية، وقام بهذا التدريب شركة أمريكية خاصة^(٣٥).

لم تكن هذه التطورات سوى انعكاس لما يشبه تحالفاً

اقتصادياً وعسكرياً غير رسمي بين العربية السعودية والولايات المتحدة؛ وهي علاقة تستند من جهة الجانب السعودي على الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تؤلف ضماناً قوية للنظام وحليفاً طبيعياً في عالم تهدده الشيوعية. وفي هذا المجال كان بإمكان السعوديين أن يسهموا بما لديهم. فعلى الصعيد الدولي ظهر إسهام السعودية بضغطها داخل منظمة الأوبك (OPEC) للحيلولة دون ارتفاع أسعار النفط، وباهتمامها بضمان استقرار أنظمة الغرب الاقتصادية الرئيسة. وعلى صعيد الشرق الأوسط كانت العربية السعودية تُعتبر قوة هامة للاعتدال في السياسة العربية. ولعب السعوديون دوراً هاماً في إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية في خريف ١٩٧٦. وأخذوا في شبه الجزيرة العربية يحاولون ممارسة نفوذ معتدل على سياسة اليمن. ووعدوا بتقديم عون اقتصادي كبير مقابل إنهاء الحرب بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي. وفي عام ١٩٧٤ حوّل السعوديون إلى الأمريكيين قائمة بأسلحة طلبتها اليمن الشمالية، وأرسلت الولايات المتحدة فريقاً من البتاغون لدراسة احتياجات اليمن الشمالية الدفاعية، وذلك على أن تقوم السعودية بدفع ثمن مشتريات اليمن الشمالية من الأسلحة؛ وكان كل من

السعوديين والأمريكيين يأملون من ذلك في إنهاء العلاقات القائمة بين الاتحاد السوفيتي واليمن الشمالية بشأن إمدادات الأسلحة^(٣٧). لكن يقال إن الأمريكيين رفضوا عرضاً سعودياً لتمويل برنامج عسكري واقتصادي للصومال، بقصد إبعاد الوجود السوفيتي الأكثر وضوحاً فيها، على الرغم من أن السعوديين فيما بعد قدموا للصومال عوناً مالياً مباشراً.

وباعت الولايات المتحدة بين ١٩٧٢ — ١٩٧٥ ما قيمته ١٠,٤ بليون دولار من الأسلحة الى إيران في أكبر برنامج أمريكي لنقل الامدادات العسكرية، من حيث الحجم والكلفة، تضمن أنواعاً من المعدات العسكرية المعقدة جداً التي لم يسبق لها مثيل^(٣٨). وأتخذ القرار الأولي لنقل إمدادات عسكرية على نطاق واسع الى ايران بعد زيارة الرئيس نيكسون طهران في تموز ١٩٧٢. ويقال إن مناقشة حارة تمت بهذا الشأن في أوساط الإدارة الأمريكية، وعكست درجة قلق أمريكا من إمكان تغلغل السوفييت في منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الاقتصادية المباشرة للحلف الغربي^(٣٩). وكانت ايران تملك ميزات ملموسة كوكيل محلي. فمن حيث الحجم، وعدد السكان، والانتاج القومي الكلي (GNP)، والزعامة السياسية، والقدرة العسكرية،

كانت إيران في الحقيقة أقوى قطر بين أقطار الخليج^(١١)، وفي الشرق الأوسط. وقد تجاوزت نفقاتها الدفاعية في عام ١٩٧٥ نفقات مصر وإسرائيل معاً^(١٢). وحقق بناء القدرات العسكرية في إيران عدة أغراض مفيدة لواشنطن. فقد أنشأت إيران في الخليج قدرة قائمة على أسطول كبير مؤلف من الطائرات الحوامة للقيام بعمليات على الساحل الجنوبي للحفاظ على وحدة المشيخات السياسية والجغرافية على طريقة السلام البريطاني^(١٣). وكان يجري بعيداً عن الأراضي الإيرانية تطوير الأسطول الإيراني بينما كانت القوة العسكرية الإيرانية ذات قيمة أيضاً تجاه الاتحاد السوفيتي لأنها تقابل إمدادات الأسلحة السوفيتية للعراق ولأنها تتضمن إقامة مركز جديد قوي لقوة عسكرية في المنطقة الواقعة على الحدود السوفيتية مباشرة^(١٤). كانت إيران حليفاً للولايات المتحدة في الشرق الأوسط (من دون رؤية حبل الارتباط الوثيق بينهما «الحبل السري»)، على حد تعبير موظف أمريكي كبير^(١٥).

وكانت فعالية هذه الأدوار بالوكالة واضحة منذ أوائل السبعينات. فكان الإيرانيون فيما يظهر يخزنون المعدات العسكرية الأمريكية لكي تستعمل من قبل جهات أخرى. فأُرسلت طائرات F5 الإيرانية إلى الأردن ومراكش كما أُرسلت في عام

١٩٦٢ إلى فييتنام لمساعدة الولايات المتحدة على إعادة التكوين خلال مهلة وقف إطلاق النار في فييتنام^(٧٦). وفي المنطقة القريبة من إيران، تعاونت الولايات المتحدة مع إيران وربما مع إسرائيل^(٧٧) لتقديم غطاء للأكراد الذين رأَت فيهم الإدارة الأمريكية (أداة مفيدة فريدة) لإضعاف (نزعة المغامرة) العراقية. واعتماداً على التقارير المنشورة، بدأ العون الأمريكي للأكراد عن طريق الإيرانيين بطلب ملحّ من الشاه في عام ١٩٧٢ وبلغت قيمته نحو ١٦ مليون دولار^(٧٨). أما التورط الإيراني المباشر في حرب الأكراد فكان على نطاق أوسع واشتركت فيه وحدات للعمليات. ويقال أيضاً إن الإيرانيين بدأوا في عام ١٩٧٣ بتشجيع من الأمريكيين بتقديم دعم لسلطان عُمان في عملياته ضد الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي^(٧٩)، فكانت القوة الإيرانية المكونة من ٣٠٠٠ جندي تؤلف جزءاً كبيراً من حيث العدد من قوات السلطان، يضاف الى ذلك أن إيران ضمنت الأجواء العُمانية ضد انتهاك الطائرات الحرة التابعة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، هذا بينما تشكلت في مستهل ١٩٧٧ قوة مشتركة عُمانية إيرانية تقوم فيها الطائرات والسفن الإيرانية بحراسة الجانب العُماني من مضيق هرمز للقضاء على أي شكل من أشكال التمرد^(٨٠) فاكتملت بهذه

الصورة التدابير الإيرانية السابقة من أجل ضمان الملاحة عبر مضائق هرمز. ومن ضمنها تحصين جزر (أبو موسى وطمب الكبرى والصغرى) التي احتلتها إيران في كانون الأول ١٩٧١، قبيل انسحاب بريطانيا تماماً.

بينما كانت سياسة نقل الإمدادات العسكرية موجهة بصورة واضحة الى التقليل من احتمال قيام أمريكا بأي تدخل عسكري مباشر في المنطقة، كانت هذه السياسة تنطوي على الرغم من ذلك على مخاطر. فقد كان نقل الامدادات العسكرية يضع بضع عشرات من آلاف التقنيين الأمريكيين في مواقع رئيسة في القوات الإيرانية والسعودية وخصوصاً في المواصلات، والسوق والمخابرات، وصيانة الطائرات الحربية، ونتيجة لذلك ظلت فعالية هذه القوات تعتمد مدة طويلة على الولايات المتحدة^(١٠)، الأمر الذي كان يمنح الأمريكيين بعض السيطرة على أفعال وكيلهم في حالة الأزمة أو الصراع. لكنه كان يعني أيضاً أن الولايات المتحدة يمكن أن تتورط بصورة مباشرة إذا ما انفجر الصراع. وكان بالامكان القول إن هذا الاحتمال ربما ازداد نتيجة لزيادة نقل الإمدادات الى المنطقة.

كان ذلك جزئياً نتيجة لخطأ من جانب الادارة الأمريكية.

فلم يقوم مجلس الأمن القومي بأية دراسة مستفيضة للأمر التي تنطوي عليها مبيعات السلاح الى الخليج، هذه المبيعات التي كانت في ظل إدارة كل من الرئيسين فورد ونيكسون يتم النظر فيها بصورة فردية، على أساس كل حالة على حدة، وكانت تُستخدم كأدوات تكتيكية للسياسة الخارجية^(٥١). وكانت الطلبات الإيرانية كبيرة بشكل خاص. ولم تلبث مبيعات الأسلحة الى ايران أن بلغت نسباً لم تكن تتوقعها الدوائر الرسمية. وهذا البرنامج الضخم من التسليح لم يؤد الى زيادة اعتماد العراق على الاتحاد السوفيتي حسب، بل ساعد كذلك على إطلاق سباق التسليح بين دول المنطقة حين خلق الشكوك في كل أنحاء الخليج حول النوايا الإيرانية على المدى البعيد. وكان هذا تهديداً بالقضاء على الأمن الأقليمي الذي كانت ايران تريد المحافظة عليه. فقد عقد عملية التعاون السياسي بين دول الخليج التي كانت الولايات المتحدة تسعى الى تشجيعها، وخلق ظروفاً عسكرية من شأنها إشاعة عدم الاستقرار في المنطقة إبان الأزمات.

إن القوة المدمرة التي تتمتع بها كثير من أنظمة التسليح المعقدة جداً التي يتم الحصول عليها، والمسافات القصيرة نسبياً التي تفصل بين أقطار الخليج، كانت تعطي ميزة أكبر للجانب الذي

يقوم بالضربة الأولى في أي صراع^(٣٠). ثم إن ارتفاع مستويات التسليح في كل مكان في الخليج كان في وسعه أيضاً التأثير في التطورات التي تجري في جنوبي غربي آسيا وفي جنوبها وفي شمالي شرقي أفريقيا^(٣١).

وهكذا لم تلبث الولايات المتحدة أن اكتشفت أن ميزان سياستها المتعلقة بنقل الامدادات العسكرية كانت تحدده رغبات زبائنها لا تقديراتها الخاصة عن الشروط الفضلى للاستقرار في الخليج^(٣٢). يضاف الى هذا أنها كانت تواجهها مشكلة ما إذا كانت ستظل على المدى الطويل تحافظ على وحدة المصالح مع وكلائها. فقد بقي الصراع العربي الاسرائيلي عنصراً من التوتر الخفي في العلاقات بين الولايات المتحدة والعربية السعودية، ووقعت خلافات في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ بين الولايات المتحدة وايران حول مسألة أسعار النفط. لذلك كان مما تجدر ملاحظته أنه عندما وافقت الولايات المتحدة في عام ١٩٧٥ على تزويد إيران بنظام متطور جداً لالتقاط المعلومات قادر على مراقبة الاتصالات العسكرية والسياسية في كل أنحاء الخليج وربما أبعد من الخليج، ويديره رجال كانوا يعملون من قبل في المخابرات الأمريكية، أبدى بعض الرسميين على الأقل شكوكاً حول نتائج

هذه الصفقة على المدى الطويل. واعترفوا بأن هذا النظام يمكن أن يستخدم لمراقبة التجمعات العسكرية التابعة للولايات المتحدة في إيران أو في أمكنة أخرى من الخليج، وأن من الممكن أن يطور الإيرانيون في زمن ما في المستقبل تدابير مضادة لمنع الولايات المتحدة من اعتراض الاشارات الايرانية وتفسيرها. وقيل أيضاً إن هذا النظام يمكن أن يستخدم في يوم ما في المستقبل ضد إسرائيل^(٥٦).

كان لبعض هذه المشكلات تأثيرات بعيدة المدى في المدخل العسكري السوفييتي الى المنطقة. فقد ظل هذا المدخل محدوداً حتى أواسط السبعينات لأن الاتحاد السوفييتي كان ما يزال أشبه بالغريب تقتصر مواطىء أقدامه السياسية على الحدود السياسية لشبه الجزيرة العربية والخليج. وكان مدخله العسكري منحصراً في الدولتين الراديكاليتين، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، والعراق، وفي الحركات الثورية التي كانتا تدعمانها، وكانت أهمها الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي التي كان يُعتقد في إحدى المراحل أن لها قدرة كبيرة على إشاعة الاضطراب في جنوبي الخليج. ولم يكن العون السوفييتي المباشر لهذه الحركة كبيراً، كما أن الوثائق التي تم الاستيلاء عليها تشير الى أن

التدريب السوفييتي لم يكن مناسباً لظروف حرب العصابات في ظفار^(٧). وقد تسلمت الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي عوناً آخر من الصين وكوبا^(٨)، كما جاءها منحة من ألمانيا الشرقية^(٩). وقيل إن الطيارين الكويتيين كانوا في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية يدرّبون القوة الجوية ويقودون الطائرات في المهام الدفاعية، كما قيل إن المستشارين السوفييت كانوا في نهاية ١٩٧٥ خلال المرحلة الأخيرة من حرب ظفار يواجهون النيران عبر حدود جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية إلى عُمان^(١٠)، لكن على الرغم من أن عدن تملك تسهيلات قواعد ذات قيمة من مخلفات البريطانيين، وأن القطر يسيطر على مضيق باب المندب، كان العون السوفييتي العسكري الاقتصادي لها محدوداً في البداية ولم يأخذ في الازدياد إلا بعد عام ١٩٧٠^(١١).

وتوثقت العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والحقاق كثيراً في عام ١٩٧٢ بتوقيع معاهدة للتعاون والصداقة في نيسان. كان العراقيون معزولين سياسياً ومطوّقين بزيائن أمريكيّة فتوجهوا الى الاتحاد السوفييتي لتلافي هذا الوضع. أما الاتحاد السوفييتي فقد قدمت له المعاهدة إطاراً لاستثمار العلاقات الثنائية مع قطر ظل يعيش حالة شديدة من عدم الاستقرار، طوال السنوات الأربع

عشرة السابقة . لكن الالتزامات العسكرية التي تضمنتها المعاهدة صيغت بمنتهى الحذر . ولم تنص المعاهدة إلا على أن كل طرف سوف ينسق مواقفه مع الطرف الآخر في حالة أي تهديد للسلام .

كان للعلاقات العراقية السوفيتية تاريخ متقلب منذ الاطاحة بالملكية ، ولم يلبث هذا الطراز من العلاقات أن تأكد . كان العراقيون غير مرتاحين من الإسراف في الاعتماد على الاتحاد السوفيتي ، وخلق لديهم تأميم شركة النفط العراقية إحساساً جديداً بالثقة بالنفس لم يكن موجوداً في عام ١٩٧٢ . ومن بين قضايا الخلاف الجديدة التي برزت نذكر قضية استياء العراقيين من امتناع السوفييت اعلام بغداد بشأن حرب تشرين (يوم الغفران) كما نصّت عليه معاهدة ١٩٧٢ ، وقضية النزاع الايراني العراقي . فقد كان العراقيون بطبيعة الحال يأملون في دعم سوفيتي أكثر حرارة مما كانت موسكو مستعدة لتقديمه خشية الاساءة الى علاقاتها بطهران ، الأمر الذي أثر في سمعة السوفييت وفي صدق نواياهم في نظر بغداد^(١١) . فأخذ العراق في عام ١٩٧٥ يتجه ثانية نحو الغرب . وكان من بين التطورات المشؤومة بالنسبة للمدخل العسكري السوفيتي الى الخليج التصريح في البيان

العراقي الايراني الذي صدر في آذار ، بأن الخليج (يجب أن يظل بعيداً عن التدخل الأجنبي). وقد عبر السوفييت في تموز عن عدم ارتياحهم من تطور السياسة العراقية بإيقاف جميع شحنات السلاح^(١٣). لكن عقدت في عام ١٩٧٦ صفقة سلاح كبيرة أخرى.

كان نقل الإمدادات العسكرية العنصر الرئيس في السياسة العسكرية السوفيتية لإزاء العراق ، وبدأت الأسلحة السوفيتية تصل الى العراق بُعيد انقلاب ١٩٥٨ ، وأصبح العراق بعد ١٩٦٩ معتمداً تقريباً على الاتحاد السوفيتي في إمداداته من السلاح^(١٤). وفي عام ١٩٧١ كان حوالي ٥٠٠ من العسكريين السوفييت يقيمون في البلاد لصيانة التجهيزات سوفييتية الصنع لتدريب الموظفين العراقيين^(١٥). وتلا معاهدة الصداقة والتعاون زيادة ملحوظة في مستوى تسليم شحنات الأسلحة السوفيتية^(١٦) ، كما أن الحملة الكردية في عامي ١٩٧٤/١٩٧٥ ، التي اشترك في إحدى مراحلها ما بين ٧٠ و ٨٠٪ من الجيش العراقي كان يدعمها الاتحاد السوفيتي بالمال والسلاح.

أما العنصر الآخر في السياسة العسكرية السوفيتية لإزاء العراق فكان بشكل زيارات قام بها الأسطول السوفيتي للموانئ

العراقية. وقد وقعت أول هذه الزيارات في عام ١٩٦٨ بعد الإعلان عن أن القوات البريطانية سوف تنسحب من الخليج. وبلغ عدد الزيارات ١١ زيارة في ١٩٧١ و ١٤ زيارة في ١٩٧٢، و ١٦ زيارة في ١٩٧٣^(٦٧). وكان توقيت الزيارات ذا دلالة في بعض الأحيان. فقد حدثت زيارتان في شباط وحزيران ١٩٦٩، في أثناء المفاوضات السوفيتية العراقية بشأن امتيازات استخراج النفط، كما وصلت السفن السوفيتية الى الموانئ العراقية بعد ثلاثة أيام من توقيع اتفاقية الصداقة والتعاون، وكانت هذه الزيارة في رأي بعض المراقبين تظاهرة تأييد للعراقيين ودعم لهم وتحذير للإيرانيين^(٦٨). وكان أكثر الزيارات مدعاة للتساؤل زيارة قام بها الأميرال «غوركوف» على طراد سوفيتي ما بين ٣ و ١١ نيسان ١٩٧٣. وقد تمت الزيارة بُعيد احتلال العراق موقعين على الحدود الكويتية. وكان لا بد أن تثير القلق والتأمل في الخليج كله. وبقي الحافز المباشر للزيارة غامضاً، لكن ربما كان السوفييت يحاولون التدليل على تضامنهم مع حليفهم الصعب والتعبير عن دعمهم لإجراء تعديلات في الحدود من شأنها أن تزود العراق بالمزيد من الأمن الطبيعي والاقتصادي إزاء جارته الأكثر (رجعية)^(٦٩). وفي أواخر ١٩٧٦ زار الأسطول السوفيتي كلاً من العراق وإيران في

أثناء انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الخليج في مسقط حول موضوع أمن الخليج.

وهناك أمثلة أخرى أقل أهمية على النشاط العسكري السوفييتي في أوائل السبعينات وأواسطها. فتشير التقارير الى أن المراكب السوفييتية المخصصة لجمع المعلومات كانت في عام ١٩٧٥ تراقب باستمرار مضائق هرمز^(٧٠). كما حلقت طائرات ميغ ٢٥ السوفييتية للاستطلاع عدة مرات فوق إيران^(٧١). وتم تحريك الجيش في عدة مناسبات في السبعينات بمحاذاة الحدود الإيرانية السوفييتية^(٧٢). ولكن ليس هناك أي دليل على تأثير هذه التظاهرات التهديدية في السياسة الإيرانية إن صحَّ أنها كانت للتهديد. ويبدو بصورة عامة أن الرغبة في عدم إزعاج إيران كانت بمثابة قيد هام للسياسة العسكرية السوفييتية في الخليج، وكان هذا القيد يلي في الأهمية فقدان المدخل العسكري الى المنطقة. فلم يظهر أن أيّاً من العراق وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية كان وكيلاً تصحيحياً محلياً فعلاً.

ظل الخليج وشبه الجزيرة العربية إذن حتى السبعينات يعتمدان على الدعم العسكري الغربي. وكان هذا نتيجة مباشرة للضعف المحلي والتقارب الأيديولوجي، والصلات التاريخية. وقامت

الولايات المتحدة وبريطانيا بدور هام، ولو كان أكثره غير بارز نسبياً، في إشاعة الاستقرار المحلي في وجه مختلف التهديدات: الضغط السوفييتي بالنسبة لإيران، والغزو العسكري بالنسبة للكويت ولعدة دول أخرى، والاضطرابات في سائر أنحاء المنطقة. ونتيجة لذلك نجح معظم الدول المحلية في اجتياز فترات اتصفت بدرجة عالية من عدم الاستقرار السياسي، وحدث فيها ضغط لم يسبق له مثيل على التيار المحافظ في كل أنحاء الشرق الأوسط، كما ظهرت فيها صعوبات محلية مختلفة بسبب تطور إنتاج النفط. لكن في آخر الأمر أدّت عائدات النفط وسقوط السلطة البريطانية الى تبدلات هامة. فقد سعت دول الخليج، وهي تتفاوت فيما بينها من حيث الرغبة، الى تطوير تدابيرها الخاصة من أجل أمنها وأمن المنطقة ككل. وفي عملها هذا ظلت تعتمد على الدعم من الخارج. لكن الذي كانت تبحث عنه هو الإمدادات العسكرية لا الضمانات العسكرية، وعلى الرغم من أن هذه الإمدادات العسكرية التي تشمل المهارات العسكرية والأسلحة سوف تحتاج الى زمن كاف لكي تُترجم الى قدرات حقيقية، فقد ظهر أن المدخل العسكري الأجنبي الى المنطقة، سوف يستمر في التقلص^(٧٣).

الحواشي

- ١ — دوايت د. أيزنهاور، اعلان السلم، ص ٢٧٨.
- ٢ — هارلد مكميلان، ركوب العاصفة، ص ٥٣٦. جرت عملية ١٩٦١ من دون دعم من الولايات المتحدة، بالرغم من حدوث تحركات بحرية في ذلك الحين.
- ٣ — تريغور تايلور، إمدادات السلاح الى الشرق الأوسط وسياسة الولايات المتحدة ١٩٥٠ — ١٩٦٨، ص ٦٢.
- ٤ — للاطلاع على وصف الضغط السوفييتي على إيران، أنظر شهرام شوين وسير صبيح، علاقات ايران الخارجية ص ٤٩ و ٥٧. كان الأمريكيون قلقين أيضاً من امكان قيام الاتحاد السوفييتي بعمل ضد ايران لتوجيه الاهتمام في أثناء الأزمات بين الشرق والغرب داخل الشرق الأوسط أو خارجه.
- ٥ — تايلور، المصدر السابق، ص ٥٠.
- ٦ — لكن لم يكن الايرانيون سعداء بالسانتو. فلم ينشئ الحلف قط جهاز قيادة مركزياً، كما لم تعين له أية قوات بصورة رسمية. وقد قصر حلف السانتو نشاطه على التخطيط والتمارين المشتركة،

والتعاون على مواجهة حركات التمرد، وتطوير هيكل أساسي للمواصلات ومختلف مشروعات التنمية الاقتصادية. وعلى الرغم من أن الحلف كان يسهم إسهاماً مفيداً، ولو غير بارز، في أمن أعضائه المحليين، فإن المستوى الضعيف لأنشطته وحصر اهتمامه بالتهديد السوفييتي عوضاً عن الانصراف إلى قضايا أكثر إلحاحاً بالنسبة لبعض الأعضاء— مثل التحرك الناصري في الخليج في حالة إيران— نحيا الأمل في دول الحزام الشمالي. لكن حلف السانتو عاش، ولو بحضوره فقط، ولعدم وجود سبب واضح لحله، وأخذ الأعضاء المحليون يتقبلون، ولو على مَضَضٍ، العون المحدود الذي يمكن أن يتوقعوه منه. كان الأمن مشكلة بالنسبة لسائر المنطقة المحيطة بالاتحاد السوفييتي وكان حلف السانتو بمثابة رابطة إضافية بالغرب.

٧— وصف الشاه هذا الالتزام فيما بعد أنه (ليس واضحاً جداً، بل ملتويًا). إي. إه. بابني، الملكية الفارسية في دور التحول، ص ٢١٠.

٨— مسألة البرمي أثارت نزاعاً بين العربية السعودية ومسقط وعمان. وقد أدى طرد القوات السعودية من الواحة في عام ١٩٥٥ إلى الاساءة كثيراً إلى العلاقات السعودية البريطانية حتى إلى ما بعد بداية الحرب الأهلية اليمنية.

٩— تيلر، المصدر السابق، ص ٣٥.

١٠ — جوزيف س. مالون، الأراضي العربية في غربي آسيا. ص ١٦١.

١١ — كانت إيران قد حصلت ما بين سنتي ١٩٥٠ و ١٩٧٢ المائتين على عون مالي من برنامج المعونة العسكرية الأمريكي مقداره ٨٣٣١٢٢ مليون دولار بينما لم تحصل السعودية إلا على ٣٦١١١ مليون دولار.

١٢ — دانا آدم سميث، اليمن — الحرب المجهولة، ص ١٩٢.

١٣ — المصدر السابق، ص ص ١٩٣، ١٩٤. كانت القواعد المتعلقة باشتراك القوات تنص في الأصل على أن الأمريكيين سوف يتصدون للطائرات التي تنتهك الأجواء السعودية، وأنهم سوف يدمرونها إذا أبت الانسحاب. وينتال وبارتليت، مواجهة حافة الحرب، ص ص ٤٣، ٤٥.

١٤ — لكن لم يذكر بوضوح ما الذي كان سيفعله هؤلاء الطيارون لو واجهتهم معارضة عدائية.

١٥ — في رأي موظف بريطاني كبير سابق في جنوب الجزيرة العربية، كان العون السوفييتي الى اليمن في عام ١٩٥٦ ذا أهمية (أعظم كثيراً) من العون المقدم لمصر. السر كندي تريغاسكيس، (شبه الجزيرة العربية والجزر المجاورة) في أ — ج. كوتزل و ر.

م. بَرِل (الناشران) الخيط الهندي: أهميته السياسية والاقتصادية والعسكرية، ص ١١٤.

١٦- سجل الشرق الأوسط، ١٩٦٧، ص ٢٩.

١٧- جورج لنكزوسكي، تقدم السوفييت في الشرق الأوسط، ص ١٤٨.

١٨- ولتر لاکور، المعركة في سبيل الشرق الأوسط. ص ١٠٨.

١٩- (SIPRI) تجارة السلاح مع العالم الثالث، ص ٥٦٨.

٢٠- الواشنطن بوست، ٤ آب ١٩٧٥. والمسح الاستراتيجي، ص ٩٠ - ١٣٤.

٢١- رغم أن عدد القوة البريطانية المتورطة كان صغيراً جداً، فقد كانت تضم سرّياً مؤلفاً من نخبة القوة الجوية الخاصة. أنظر الأيزنر، ١١ كانون الثاني ١٩٧٦.

٢٢- ريشارد برت، «السلطة وعرش الطاوس». الطاولة المستديرة، تشرين أول ١٩٧٥، ص ٣٥٤.

٢٣- الفاياننشال تايمز، ٢٢ أيار ١٩٧٥.

٢٤- في حين أعقب انسحاب بريطانيا من عدن انهيار اتحاد الجنوب العربي، تم بعد الاعلان عن الانسحاب تأسيس اتحاد بين الدول الساحلية في الخليج.

٢٥- كان القرار جزءاً من مجموعة التخفيضات في النفقات العامة التي أعقبت تخفيض قيمة الجنيه الاسترليني في تشرين الثاني

١٩٦٧. لكن لم يكن له تأثير مباشر في مستوى الانفاق العام. وقد يكون الثمن السياسي الذي دفعته حكومة حزب العمال لكي تجعل التخفيضات في الخدمات الاجتماعية مقبولة من جانب الجناح اليساري في الحزب.

٢٦. بالنسبة لأحد التقديرات كان السعوديون يحتاجون الى سبع سنوات على الأقل لكي يتمكنوا من استخدام معداتهم بصورة فعالة. الانترناشينال هيرالد تريبون ١٩ — ٢٠، تموز ١٩٧٥.

٢٧. إلا أن هذا القرار كان من عدة وجوه، مبنياً على مبررات سلبية. فلم تكن المسألة تتعلق بتأثير قوة لا تمثل بأية صورة التزاماً أمريكياً لأقطار المنطقة، الأمر الذي كان موظفو الولايات المتحدة حريصين على تطمين أعضاء الكونغرس بشأنه، بل كانت المسألة هي الخوف من أن يؤدي انسحاب هذه القوة ببعض دول الخليج الى الاعتقاد بأن اهتمام الولايات المتحدة بالمنطقة أخذ يتضاءل.

٢٨. (الخليج العربي، ١٩٧٤: المال والسياسة والأسلحة والسلطة)، الشهادات، مجلس النواب، لجنة العلاقات الخارجية، اللجنة الفرعية بشأن الشرق الأدنى وجنوبي آسيا ١٩٧٤، ص ٩١.

٢٩. شجعت الولايات المتحدة الكويتيين على العمل بالتعاون مع

ايران والعربية السعودية وعلى الحصول على معدات عسكرية تتفق مع تلك المعدات التي يستخدمها هذان القطران اللذان كان الأمريكينون بلا ريب يفكرون بتقديم العون العسكري لهما في حالة تعرضهما للهجوم (آفاق جديدة في الخليج العربي)، الشهادات، اللجنة الفرعية بشأن الشرق الأدنى وجنوبي آسيا التابعة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب، ١٩٧٣ ص ٤.

٣٠ — المصدر السابق ص ٤ — ٤٠ .

٣١ — ثنى موظفو الولايات المتحدة السعوديين عن شراء طائرات معقدة مثل F4-F14 التي كانت ايران قد أوصت عليها من قبل.

٣٢ — في نهاية ١٩٦٧، بلغت حصة الولايات المتحدة ما بين ٨٠ و ٩٠ بالمائة من سوق السلع والخدمات العسكرية السعودية. واقتسمت فرنسا وبريطانيا معظم القسم الباقي. الفاينانشال تايمز، ٢١ آذار ١٩٧٧.

٣٣ — بعد حرب يوم الغفران قدمت العربية السعودية طلبات لشراء مزيد من السفن الحربية. وفي عام ١٩٧٦ كانت هيئة المهندسين في الجيش الأمريكي تقوم بتصميم قاعدتين بحريتين ومقر لادارتهما وتشرف على بنائها، بينما كان ٢٠٠ من الضباط والجنود السعوديين يتدربون في مدرسة خاصة في مركز للتدريب

البحري في سان دييغو. الفاياننشال تايمز، ٥ آذار ١٩٧٦،

والانترناشينال هيرالد تريبيون، ١٦ كانون الأول ١٩٧٦

الفاياننشال تايمز، ١١ كانون أول ١٩٧٥. تمتد المرحلة — ٣٤

النهائية لهذا البرنامج من ١٩٧٦ الى ١٩٧٩

الواشنطن بوست، ٢٢ أيار ١٩٧٥. يضاف الى هذا ما قيل — ٣٥

من أن دراسة مسحية قام بها البنتاغون تضمنت توصية ببناء القوات المسلحة السعودية ومن ضمنها ٤ ألوية ممكنة، وكتيبة دبابات، و (عناصر خدمة ودعم أخرى)، ولواء محمول جواً،

ومقر رئيس لمجموعة الطيارين، مع كتيبتين من الطائرات

العمودية للانقضاض، وكتيبة طائرات عمودية للهجوم، وفوجان

من المظليين، وسريتان من طائرات الانقضاض والدعم

العمودية. وكان من المقرر أن يمتد هذا البرنامج على مدى ١٠

سنوات. الواشنطن بوست، ٧ تشرين ثاني ١٩٧٤.

الواشنطن بوست، ٤ آب ١٩٧٥، والانترناشينال هيرالد — ٣٦

تريبيون، ٢٩ نيسان ١٩٧٦.

الانترناشينال هيرالد تريبيون، ٦ أيار ١٩٧٦، فاينانشال — ٣٧

تايمز، ١٦ آذار ١٩٧٧.

بناء على تقرير وضعته لجنة العلاقات الخارجية في مجلس — ٣٨

الشييوخ في آب ١٩٧٦، كانت المدمرات من صنف

(Spruance) التي بنيت للاسطول الإيراني أكثر تعقيداً من تلك

التي كانت الولايات المتحدة تقنتها، بينما كانت طائرات F14 المقاتلة التي أخذت إيران تتسلمها معقدة إلى درجة أن الأمريكيين أنفسهم كانوا يجدون صعوبة في الاحتفاظ بما لديهم منها في وضع صالح للعمل. الانترناشيونال هيرالد تريبون، ٦ آب، ١٩٧٦.

٣٩ — يقال إن هذا كان عكس القرار الذي اتخذته في عام ١٩٦٨ الرئيس جونسون والذي يقضي بأن تكون مبيعات السلاح للاميرانيين في حدود ٦٠٠ مليون دولار في السنة. وقد كان بما يدعو إلى القلق بصورة خاصة في عام ١٩٧٢ الاعتقاد بأن للشاهد مطالب إقليمية في الخليج. ويقال إن القرار اتخذته نيكسون شخصياً، لذلك ألغيت عملية مراجعته وتحليله العادية. واشنطن بوست، ١١ آب ١٩٧٤، انترناشيونال هيرالد تريبون، ٦ آب ١٩٧٦.

٤ — يبدو هذا واضحاً من نظرة قصيرة إلى أرقام أواسط السبعينات.

العربية السعودية	العراق	ايران	البحرين
١٢ بليون دولار	٥٦ بليون دولار	٣٥٦ بليون دولار	٣٥٦ بليون دولار
٨٩ مليون	١١٠٩ مليون	٣٣١٨ مليون	٣٣١٨ مليون
٤٧٠٠٠	١٣٥٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
مجموع التكاليف المسلحة			
المصدر، الميزان العسكري، ١٩٧٥/١٩٧٦.			

- ٤١ — ريتشارد برت، المصدر السابق، ص ٣٤٩.
- ٤٢ — من أجل وصف أكثر تفصيلاً لهذه القوة، أنظر شهرام شوبن،
(المنافسة البحرية والأمن في جنوبي شرقي آسيا) في القوة في
البحر، (Adelphi Paper) العدد ١٢٤، ص ٢٤.
- ٤٣ — لكن ليس من المتوقع أن تصبح إيران قوة كبرى في المحيط
الهندي حتى أواسط الثمانينات. المصدر السابق. ص ٢٥.
- ٤٤ — في أوائل وأواسط السبعينات كانت إيران الدولة الخليفة للغرب
الوحيدة، المجاورة للاتحاد السوفيتي، أو الجارة لخليف
للسوفيت، التي زادت موازنتها العسكرية زيادة كبيرة. ويقال
إن قلق السوفيت كان ذا علاقة بحجم هيئة المستشارين
الأمريكيين، وبإمكان استخدام الولايات المتحدة إيران كوكيل
عسكري، وبتطوير نظام Ibez للاستخبارات، أو التجسس.
الفاينانشال تايمز. ٢٣ تشرين ثاني ١٩٧٦.
- ٤٥ — للحصول على وصف لهذه العلاقة أنظر مقالة جاك أندرسون
(كل ما يطلبه الشاه يحصل عليه). في الواشنطن بوست.
١٩ كانون ثاني ١٩٧٥.
- ٤٦ — الواشنطن بوست. ٣٠ كانون الثاني ١٩٧٥.
- ٤٧ — في رأي م. ج. مونيم. كان العنصر الرئيس للتعاون العسكري
الاسرائيلي الإيراني تبادل المعلومات والموظفين العسكريين. وكان
الجانب الكبير من هذا التبادل ما بينهما يتم تحت رعاية برامج

الولايات المتحدة للعون العسكري وغطائها، فكان الأمريكيون يمددون ويمولون البرامج ذات النفع المتبادل لكل من إيران وإسرائيل. (إيران وإسرائيل: الوفاق السري) أوريس، صيف ١٩٧٥، ص ١٠٧٦.

٤٨ — مقتطعات من تقرير لجنة الاستعلامات التابعة لمجلس النواب. نُشرت في السالدي تايمز، ١٥ شباط ١٩٧٦.

٤٩ — واشنطن بوست، ١٩ كانون الثاني ١٩٧٥، وبناء على تقرير آخر في طبعة ٢١ كانون الثاني ١٩٧٥ كان البتاغون قد أرسل فريقاً للمراقبة إلى ظفار وقبل ذلك بعدة سنوات. (وكانت النصيحة التي عاودوا بها أنه مادام هذا الموقف من نوع الموقف في الفيتنام فلا ينبغي أن تتورط الولايات المتحدة فيه. وقد تجنبت الولايات المتحدة حتى الآن التورط بصورة مباشرة في القتال الدائر في عُمان مفضلة تشجيع إيران والأردن على مساعدة السلطان).

٥٠ — وزير خارجية عُمان، ورد في الانترناشينال هيرالد تريبون، ٣ كانون الثاني ١٩٧٥.

٥١ — ورد في تقرير لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ أن عدد الأمريكيين المتورطين في برنامج الدفاع الإيراني بلغ ٢٤ ألفاً. الأرقام الخاصة بالعربية السعودية غير أكيدة، وأحد التقديرات الذي يرجع إلى بداية ١٩٧٧ يوصل الرقم إلى ٣٠.٠٠٠

أمريكي؛ وفي حزيران ١٩٧٦ قيل إن عشر كتائب من الصواريخ المضادة للطائرات (هوك) في العربية السعودية كان رجالها أمريكيين مدنيين، وكان من المتوقع أن يعمل أمريكيون مدنيون في ١٦ كتيبة أخرى تحت الطلب. شالرز هول، (مبيعات الولايات المتحدة من السلاح للخليج يمكن أن تكون باهظة الثمن)، الشرق الأوسط، شباط ١٩٧٧.

الانترناشيونال هيرالد تريبون، ١٦ حزيران ١٩٧٦.

٥٢ — الواشنطن بوست، ٣ كانون الثاني ١٩٧٥.

٥٣ — ادوارد كندي، (الخليج الفارسي: سباق التسليح أم السيطرة على التسليح)، الشؤون الخليجية، تشرين أول ١٩٧٥، ص ٢٥. وفي رأي كندي، بعد زيارة قام بها للمنطقة « أن إدراك هذه المخاطر في المنطقة قليل فيما يظهر.

٥٤ — ملاحظة: رأى خبير في البنتاغون أن المنطقة الدفاعية للشاه تزداد اتساعاً مع كل جيل جديد من السلاح. التايم، ٥ تشرين ثاني ١٩٧٤.

٥٥ — من هنا جاء عنوان مقالة اندرسون، الواشنطن بوست، كانون الثاني ١٩٧٥.

٥٦ — الانترناشيونال هيرالد تريبون، ٢ حزيران ١٩٧٥، سفير الولايات المتحدة في إيران ريتشارد هلمز، مدير سابق لـ CIA كان له دور في تطوير احتياجات إيران الأساسية من المواصلات

الاستخبارية. ويقال إنه اشترك في تحديد متطلبات نظام «إيكس».

٥٧ — السبكتاتور، ٧ تشرين ثاني ١٩٧٦؛ لكن في ١٩٧٣ يقال

إن الاتحاد السوفييتي نقل قوات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بحراً لكي يمكنها من تصعيد دعمها للتمرد في ظفار وتحسين وضع السوفييت في عدن. آن م. كيبي، (زيارات الموانئ، و «المهمة الدولية» للأسطول السوفييتي).

٥٨ — التايمز، ٥ نيسان ١٩٧٦.

٥٩ — فرانكفتر ألجيمين زيتونغ، ١٥ تموز ١٩٧٥.

٦٠ — التايمز، ٩ كانون أول ١٩٧٥.

٦١ — مورديش أير، النفط والسلطة السياسية، ص ٨٨.

٦٢ — آن م. كيبي، (الحضور البحري السوفييتي في أثناء النزاع

العراقي الكويتي على الحدود). ورد في مكفواير، بوث ومكدونل (الناشر). السياسة البحرية السوفيتية: أهدافها وقيودها، ص ٢٩٧.

٦٣ — المسح الاستراتيجي ١٩٧٥، ص ٨٦. كانت هناك مناسبات

سابقة توقفت فيها إمدادات الأسلحة. ففي حزيران ١٩٦٣ حذرت البرافدا من أن الاتحاد السوفييتي لن يقف متفرجاً إذا ما استُخدمت الأسلحة السوفيتية ضد الأكراد، وجرى تخفيض المعونات العسكرية، بالرغم من أن اضطهاد الحزب الشيوعي

من قبل البعث يمكن أن يكون أيضاً أحد العوامل . ويقال إن إمدادات الأسلحة توقفت ثانية بشكل مؤقت في بداية ١٩٦٧ في أعقاب هرب طائرة عراقية من طراز ميغ ٢١ الى إسرائيل . وفي ذلك الحين كان التوتر يتزايد أيضاً بشأن الأكراد . روبرت باجاك ، (العون العسكري السوفييتي للعراق وسورية) ، المجلة الاستراتيجية ، شتاء ١٩٧٦ ، ص ٥٢ ، و (SIPRI) المصدر السابق ص ٥٥٧ .

٦٤ — روبن إدموندز ، السياسة الخارجية السوفيتية ١٩٦٢/١٩٧٣ ، ص ١٣٥ .

٦٥ — ر . د . مكورين ، الشرق الأوسط في السياسة السوفيتية ١٩٧٥/١٩٧٦ ، ص ٩ .

٦٦ — بناء على أحد التقارير زود الاتحاد السوفييتي العراق بأسلحة يزيد ثمنها على بليون دولار بين بداية ١٩٧٤ والمعاهدة العراقية الإيرانية في آذار ١٩٧٥ . الواشنطن بوست ، ٢٥ نيسان ١٩٧٥ .

٦٧ — (الزيادة المقترحة لتسهيلات الولايات المتحدة العسكرية في المحيط الهندي) ، الشهادات ، لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب ، اللجنة الفرعية للشرق الأدنى وجنوبي آسيا ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٩ .

٦٨ — آ. ج. كوتزل و ر. م. بارل (المنافسة البحرية السوفيتية في المحيط الهندي)، أوربيس، شتاء ١٩٧٥، ص ص ١١١٣ — ١١١٤.

٦٩ — أنظر كيلى، المصدر السابق، من أجل عرض مفصل لهذه الحادثة.

٧٠ — انترناشيونال هيرالد تريبون، ١٩ — ٢٠ تموز ١٩٧٥.

٧١ — كانت طائرات ميغ ٢٥ قد حلقت فوق الأراضي المصرية التي تحتلها إسرائيل. أما الطلعات الجوية فوق إيران التي تزامنت مع مؤشرات لقلق السوفييت من ازدياد السلاح الإيراني، فيمكن أن تكون قد قامت بها طائرات ميغ ٢٥ المخصصة للتصوير.

٧٢ — راجع شوبن وصبيح بشأن رغبة السوفييت في اللجوء إلى دبلوماسية التهديد إزاء إيران في أثناء حرب ١٩٧١ بين الهند وباكستان لردع الإيرانيين عن مساعدة باكستان. المصدر السابق، ص ٨٤. ومرة ثانية، عندما أخذت إيران في ربيع ١٩٧٤ ترسل المزيد من التعزيزات للأكراد، يقال إن الاتحاد السوفيتي قام بعرض كبير للقوات على الحدود الإيرانية تحت ستار التدريبات العسكرية النظامية. ر. م. بارل و أ. ج. كوتزل، إيران، وأفغانستان وباكستان: توترات ومعضلات، ص ١٢.

٧٣- ملاحظة: يجب عدم إغفال رأي شارهرام شوين عن إمكان
إجماع الدول الساحلية على إعلان الخليج (بمراً مغلقة) ومنع
مرور السفن البحرية العائدة الى غير الدول الساحلية. القوة في
البحر، المصدر السابق. ص ٢٤٠.

الفصل السادس

أزمات الاتجاه المحافظ في شرقي البحر الأيض المتوسط

ان أنشط منطقة لتورط القوى العظمى العسكري في الشرق الأوسط لا تقع على الحدود السوفييتية أو في المنطقة الرئيسية لانتاج النفط في الخليج ، بل في شرقي البحر الأبيض المتوسط . ففي هذه المنطقة بلغت الأزمات والحروب أشدها كما أن دور القوى العظمى في السعي نحو التحكم في التبدل السياسي بالوسائل العسكرية كان واضحا بشكل مرئي وخطير . وكانت مصر أكثر الدول حظا من الامدادات العسكرية السوفييتية ، كما كانت هي وسورية الدولتين الوحيدتين اللتين استخدم الاتحاد السوفييتي الوسائل التهديدية الكبيرة لدعمهما وركزت الولايات المتحدة أيضا نشاطها العسكري في المنطقة على الرغم من أنه لم يقتصر على الصراع العربي الاسرائيلي . لأنها كانت مهتمة أيضا بصورة عميقة بالحفاظ على الأنظمة المحافظة المحلة

في الأردن ولبنان . وكان هذان قطرين ليس للولايات المتحدة فيهما مصلحة ذاتية لكن كان بقاؤهما يعتبر ضروريا للحفاظ على الاستقرار الاقليمي .

ويمكن العثور على مبررات لهذه السياسة الأمريكية في مبدأ ايزنهاور الذي صدر في ١٩٥٧ ، بروحه إن لم يكن دائما بنصه . ترجع هذه السياسة إلى مخاوف واشنطن المبالغ فيها أحيانا بشأن الأهداف السوفيتية في الشرق الأوسط ، أكثر منها إلى تقدير مفصل لسياسات الشرق الأدنى المعقدة أو للأصول المحلية في الأساس للأزمات السياسية . وقد نتج عن هذا أن السياسة الأمريكية كانت في معظمها من قبيل رد الفعل . لأنها تتصف بمحاولات ظاهرة للسيطرة على الأزمات بدلا من القيام بأية محاولة أكثر دواما لتحقيق المهمة الأصعب جدا أعني العمل من أجل تحقيق ظروف للاستقرار السياسي تدوم مدة طويلة . كانت السياسة العسكرية الأمريكية ، بعبارة أخرى ، تتألف إلى حد كبير من دبلوماسية الأزمات ، وهي فصل من الحرب الباردة ومن تاريخ شرقي البحر الأبيض المتوسط على حد سواء .

يبرز هذا بصورة واضحة من قصة الأزمة السورية الغربية التي حدثت في ١٩٥٧ . كانت العلاقات السوفيتية السورية قد

بدأت تتطور في ١٩٥٥ ، رداً على المحاولات الغربية لأدخال سورية في حلف بغداد . وبعد سنتين أخذ الأمريكيون يكشفون عن بعض التفكير الذي ينم عن الشعور بالخوف من هذه العلاقة . وهو مثل التفكير الذي رافق المخاوف البريطانية من التورط السوفييتي في مصر في السنة السابقة . كانوا ، اذا استعملنا عبارات مكميلان (١) (يتكلمون عن أفطع عمل — عن سويس معكوسة) ، والحقيقة ان هذه هي المناسبة الهامة الوحيدة التي استُخدم فيها النفوذ العسكري الأمريكي لمساعدة ثورة مضادة وتحريضها ، وليس لدعم حكومات أو دول قائمة . وكان الأمريكيون يتصورون ، خلافا لحملة السويس الانكليزية الفرنسية ، أن تتم هذه الحملة من قبل الوكلاء بالدرجة الأولى ، على أن تقوم بالمبادرة الأقطار المجاورة مباشرة لسورية ، بينما تقوم الولايات المتحدة بتقديم الأمدادات وردع الآخرين عن التدخل . لكن كانت النية أن تكون العملية السورية ، مثل عملية السويس ، غزوا عسكريا لا أنقلابا (٢) .

وصل القلق من التغلغل السوفييتي ذروته في أواسط آب ١٩٥٧ . وقد بلغ واشنطن أن تركيا ولبنان والأردن والعراق تعتقد بضرورة القيام بعمل عسكري ضد سورية قبل أن يجري الاعتراف

بها رسميا كدولة تدور في الفلك الشيوعي أو أن تعقد معاهدة سوفيتية سورية للدفاع المشترك^(٣) . وكانت الخطة التي يجري التفكير بها في ذلك الحين أن يبادر العراق إلى الهجوم ، بينما تحشد الأقطار الأخرى جيوشها على الحدود السورية . وكان من الممكن أن تحوي الخطة عملية مباغته ، وطُلب من واشنطن أن تبين نوع المساعدة التي يمكن أن تقدمها فأجابت ، في رسالة الى مندريس رئيس وزراء تركيا ، بأن الولايات المتحدة سوف تقدم الامدادات العسكرية ، وسيتم إرسال شحنات السلاح التي تمّ الاتفاق عليها من قبل ، كما أن الولايات المتحدة وعدت بتعويض الخسائر بالسرعة الممكنة وضمنت حماية الأطراف من التدخل العسكري الخارجي ، سواء من جانب إسرائيل التي طُلب منها فأعطت تأكيدات بعدم استغلال الموقف ، أم من جانب مصر والاتحاد السوفيتي . وقد جرت تدابير عسكرية تهديدية متعددة لتحقيق هذا الغرض الأخير ، كان من أهمها وضع قاذفات القنابل الذرية للقيادة الجوية الاستراتيجية في حالة تأهب .

يضاف الى هذا نقل الطائرات المقاتلة من غربي أوروبا الى جنوبي تركيا ، وتحريك الأسطول السادس نحو الساحل السوري^(٤) .

بعد هذا اكتنف الموقف الغموض . فأرسل موظف

أمريكي كبير في جولة لتقصي الحقائق ، وشُحنت الأسلحة جواً بصورة ملفنة للنظر إلى بعض الأقطار التي كان يُتوقع أن تحارب ، لكن سرعان ماظهر بصورة واضحة ، على الرغم من الوعود المختلفة بتقديم الدعم الأمريكي والمخاوف الحقيقية من مخاطر الوجود السوفييتي في البلاد ، أن جيران سورية لم يكونوا مستعدين للقيام بعمل عسكري^(٥) . لكن هذا لم يكن نهاية القضية . فعندما تفكك الحلف المقترح ، برزت تركيا ، بتشجيع خفي من الولايات المتحدة ، كأكبر خصم لسورية^(٦) . فحُشدت القوات التركية على طول الحدود السورية كجزء من حرب أعصاب القصد منها محاولة الاطاحة بنظام القوتلي في دمشق^(٧) . وفي أيلول تحولت الأزمة إلى مواجهة تركية سورية . وفي هذه المرحلة المتأخرة نسبياً بدأ الاتحاد السوفييتي حملته الخاصة من دبلوماسية التهديد . لم تكن موسكو مهتمة بتقديم بعض الحماية للحكومة السورية فحسب بل كان يعينها أيضاً لإثبات قدرتها على القيام بدور الدولة العظمى في المنطقة والوقوف في وجه التصلب الأمريكي^(٨) . فدعمت سلسلة التحذيرات التي صدرت بين أواسط أيلول وأواخر تشرين الأول ، بتدابير تهديدية كبيرة ، وإن لم تكن مقنعة جداً . زار اللاذقية في ١٩٠١ أيلول ١٩٥٧ أسطول

بحري سوفيتي وبقي فيها حتى ٢ تشرين الاول ، فكانت هذه أولى السفن السوفيتية التي تزور مرفأ عريبا . وبعد ثلاثة أسابيع أعلن أن نائبا كبيرا لوزير الدفاع عُيِّن لقيادة منطقة ما وراء القوقاس العسكرية المجاورة لايران وتركيا ، وفي اليوم التالي جرى الاعلان رسميا عن تمارين مشتركة ضمت وحدات من أسطول البحر الأسود . إلا أن الأزمة كانت قد تلاشت مع بداية تشرين الثاني .

عند النظر إلى ما حدث يبدو أن المخاوف الأمريكية كانت مبالغا فيها ^(١) . لكن كون الصلة السوفيتية السورية أضعف مما ظهرت به ربما يكون أقل أهمية من إدراك الأمريكيين أن واشنطن ، في حالة عدم رغبة وكلائها بالقيام بعمل عسكري ، كانت من دون مدخل عسكري ، وكان يجب عليها ان تقبل بالوضع الراهن . إلا أنه في شباط ١٩٥٨ اندمجت سورية مع مصر وشكلت الجمهورية العربية المتحدة . وفجّر هذا الحدث سلسلة من الأزمات في العالم العربي ، ظهر تأثيرها بصورة مباشرة في لبنان . إن الخلفية معقدة : يكفي هنا القول إن ظهور حكومة برئاسة كميل شمعون الماروني بوصفه مؤيدا قويا للانحياز إلى الغرب قد خلق توترات بين المسيحيين من جهة والمسلمين الذين

يتطلعون إلى ناصر والجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى^(١٠). وقد أدى أحد الاغتيالات السياسية في أيار ١٩٥٨ إلى ظهور موقف قريب من الحرب الأهلية. وكان ينقص الجيش اللبناني الصغير القوة العسكرية والانسجام السياسي للوقوف ضد المتمردين. لهذا، وبعد خمسة أيام، في ١٢ أيار، طالب شمعون بتأكيدات من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بأن الدعم سيصله خلال ٢٤ ساعة إذا طُلب بصورة رسمية^(١١). وكان الأمريكيون والبريطانيون يعتقدون بوجود ما يدل على تورط المصريين والسوريين. فعملوا بسرعة على القيام باستعراض قوة لدعم الحكومة. شحنوا جوا معدات خفيفة ودعموها باستعراض سياسة التهديد. فصدر في ١٣ أيار إعلان بأن القوة البحرية التابعة للأسطول السادس سوف يضاعف عددها. وفي ١٧ منه أُعلن أن الأمريكيين يفكرون في إرسال قوات الى لبنان، وفي ١٩ منه أُعلن أن المناورات البحرية لحلف الأطلسي التي كان مقررا إجراؤها في غربي البحر الأبيض المتوسط سوف تجري الآن في حوضه الشرقي. وفي هذه الأثناء تحركت طائرات النقل إلى المانيا ووضعت القوات البريطانية في حالة تأهب. لكن هذه التدابير لم يكن القصد منها سوى مساعدة شمعون على تهدئة الموقف.

وكان الأمريكيون متباطئين جدا في التدخل على الأرض . كانوا يخشون من خلق الانطباع بأنهم يتدخلون في ما هو في الحقيقة نزاع داخلي على السلطة ، وكانوا قلقين بشأن مشكلات فك الارتباط التالية ^(١٢) . لهذا السبب كان التدخل رهنا بعدة شروط ، كان أحدها ينص على أن يكون التدخل بناء على طلب من رئيس الجمهورية المسيحي ورئيس الوزراء المسلم ^(١٣) . وأخيرا تغلبت اعتبارات أوسع للسياسات الشرق أوسطية الاقليمية على الشكوك في فائدة التدخل العسكري الذي منحه الرئيس شمعون للولايات المتحدة ، من أجل حل الصراع بين النزعة المحافظة والنزعة الوطنية . وأدى الانقلاب العراقي الذي وقع في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، إلى مطالبة مباشرة من لبنان بالتدخل العسكري ، وكان المتمردون في البسطة (يذيعون بأصوات حادة : جاءت نهايتهم ...) . وأخذ كثير من اللبنانيين ، الذين ظلوا إلى ذلك الحين بعيدين ، يسائلون أنفسهم عما إذا لم يكن من الأفضل لهم الانضمام إلى المتمردين قبل فوات الأوان ^(١٤) . وكان قرار أيزنهاور بالاستجابة للطلب اللبناني فوريا وأشبه بالفعل المنعكس ، بالرغم من أنه كان واعيا بشكل واضح للأخطار التي ينطوي عليها ، ورغم ما لقي من معارضة داخل الادارة ^(١٥) . ولم

يكن النظام الشمعوني يسيطر عمليا إلا على ٣٠٪ من البلاد . وكان قلب العاصمة ذاته خارج سيطرة الحكومة^(١٦) . لذلك تجنبنا للتورط أكثر مما ينبغي في مأزق محتمل وخلافا لنصيحة العسكريين اقتصر الوجود الأمريكي على احتلال بيروت ومطارها ولم يمتد إلى المناطق الداخلية^(١٧) .

بدأ جنود البحرية النزول في لبنان في ١٥ أيار منذرعين بحجة سياسية هي السعي « لتهدة » الموقف هناك^(١٨) . لكن العملية كانت بالدرجة الأولى تمرينا على استعادة النفوذ الأمريكي في المنطقة كلها . كان أيزنهاور مهتما بمعارضة الرأي ، الذي يعتقد أنه كان سائدا في مصر بصورة خاصة ، بأن الخوف من رد الفعل السوفييتي المحتمل جعل الولايات المتحدة تحجم عن اتخاذ سياسة عسكرية في الشرق الأوسط^(١٩) . وعلى هذا ، بالاضافة إلى إنزال ١٥ ألف جندي أمريكي في لبنان ، كان الرد الغربي على الانقلاب العراقي يتضمن إرسال قوات بريطانية على جناح السرعة ، وتعزيز الحامية البريطانية في ليبيا ، وإجراء تحركات عسكرية من قبيل الاحتياط حول شبه الجزيرة العربية^(٢٠) . ومن أجل ردع التدخل السوفييتي المحتمل ، زادت نسبة التأهب مرة ثانية في وحدة القوى الجوية الاستراتيجية . ووضعت طائرات

الوقود بشكل واضح على أهبة الاستعداد لكي تقوم عند اللزوم بتموين الطائرات المقاتلة لدى قيامها بمهامها القتالية^(٢١) .
والحقيقة أن الاتحاد السوفيتي فوجيء بالانقلاب العراقي ولم يكن مستعدا للدخول في اختبار قوة لحسم الموقف . اجتمع ناصر وخروتشيف وجرت تمرينات سوفيتية على الحدود التركية البلغارية . وكانت هذه التدابير التهديدية ، كما في ١٩٥٧ ، نوعاً من الابهام ، وقد جرى شرح هذا لناصر بشكل واضح^(٢٢) . وكان لابد أن يعنى فقدان السوفييت سمعتهم . لأن فشلهم في مواجهة التهديدات الغربية بصورة جدية حطّم السمعة التي كان السوفييت قد بنوها بدبلوماسية التهديد في ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ، وخلف لدى ناصر الانطباع الدائم بأن الأسطول السادس يجب اعتباره عاملاً أساسياً في جميع القرارات بشأن السياسة الخارجية في المستقبل^(٢٣) .

كانت تدابير التهديد الأمريكية ناجحة إذن ، إذا نُظر إليها من ناحية هدفها الاقليمي ، وكانت واشنطن تنظر إليها بهذه الصورة^(٢٤) . إن تحديد تأثير هذه الأحداث في لبنان ذاته أشد صعوبة . وعندما جرى انسحاب آخر للقوات الأمريكية في ٢٥ تشرين الأول ، بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر فقط من وصولها

لأول مرة ، كان الموقف قد استقر فعلا . وربما كان هذا إلى حد كبير بسبب التورط الأمريكي^(٢٥) . فقد عني أيزنهاور ، بعد الانزال العسكري ، بارسال رسول خاص ، روبرت ميرفي ، الذي حاول فور وصوله التوصل إلى اتفاق يقضي بإجراء انتخابات رئاسية في نهاية تموز . وساعده على هذا قدرة اللبنانيين على المساومة في السياسة^(٢٦) ، لكن الرئيس الجديد ، الجنرال شهاب ، الذي كان ، بوصفه قائدا للقوات المسلحة ، قد رحب في البداية بالأمريكيين ترحيبا مشوبا بالحذر ، أصبح عندئذ لا يستعجل ضمان انسحابهم^(٢٧) .

لكن المشكلة اللبنانية بقيت من دون حل . واشتد التوتر في السنوات التي تلت حرب الأيام الستة بين الطائفتين بسبب تزايد الوجود الفلسطيني في البلاد . وكان لدى الأمريكيين خطط طوارئ للتدخل كما كانت لديهم رغبة في استخدام التدابير التهديدية في عدد من المناسبات في ١٩٦٨ و ١٩٦٩ و ١٩٧٣ من أجل التأثير في الموقف السائد « على الأرض » إلا أنهم أدركوا أنه كان ينقصهم عندئذ المدخل العسكري الفعال إلى البلاد . إن مثل هذا التدخل ، كما لاحظ د . كيسنجر خلال حرب ١٩٧٥ / ١٩٧٦ الأهلية ، كان لا بد له من « قوة كبيرة

للولايات المتحدة . وفي رأينا أن تدخلنا من هذا القبيل سيجر علينا توحيد جميع العناصر ، من غير المسيحيين ، ضد الولايات المتحدة ، وسيؤدي الى وقوع ضحايا كثيرة ، وإلى التزام لا ينتهي ^(٢٨) » . والفرنسيون الذين كانوا قد عرضوا تقديم قوة لحفظ السلام قوامها ٥٠٠٠ جندي ، كانوا هم أيضا حذرين من التعقيدات السياسية لأي تورط عسكري ، فاشتروا أن يوافق على إرسال القوة جميع الفرقاء من اللبنانيين . وأن تدخل القوات الفرنسية لدعم وقف إطلاق النار فقط ولفترة محدودة . ^(٢٩) .

يظهر على أية حال أن كلا من الدولتين العظميين سعت الى استخدام شيء من النفوذ العسكري لاحتواء الموقف . في أوائل ١٩٧٦ ، قبل التدخل السوري ، كانت واشنطن قلقة بصورة خاصة من إمكان وقوع صدام إسرائيلي سوري ، فوجهت عددا من التحذيرات إلى الطرفين ، من دون أن تدعمها بأية تدابير تهديدية ، وكان لها وزنها بفضل وضع أمريكا كقوة عظمى ^(٣٠) . وأجرى الاتحاد السوفيتي في أوائل حزيران ١٩٧٦ تدريباً في دبلوماسية التهديد غير مقنع وذلك بتعزيز أسطول البحر الأبيض المتوسط لمدة قصيرة ، وأعقب ذلك بتحذير سياسي ضد التدخل الأجنبي ^(٣١) . لكن يظهر أنه كان قلقاً بالدرجة الأولى

من ازدياد الخلاف بين الفلسطينيين وقوات التدخل السورية ،
وهناك تقارير بأن موسكو حاولت بلا جدوى الوصول الى
انسحاب سوري باستخدام دورها كمورد وحيد للسلاح إلى
سورية (٣٢) .

الأزمات الأخرى التي حدثت للنزعة المحافظة في شرقي
البحر الأبيض المتوسط ذات صلة بالأردن . ذلك أن الملك
حسين اتبع بعد ١٩٥٦ سياسة مؤيدة جدا للغرب واعتمد كثيرا
على الدعم الخارجي لمساعدته في التغلب على سلسلة من الأزمات
الداخلية والخارجية في دولة غير آمنة من الناحية الطبيعية وغير
مستقرة من الناحية السياسية . وقد جاء هذا الدعم من عدة
مصادر من ضمنها العربية السعودية والعراق (قبل انقلاب
١٩٥٨) واسرائيل وبريطانيا والولايات المتحدة . وكان الدور
الاسرائيلي مثلبذبا جداً . فمن جهة ، عانت الأردن على أيدي
الاسرائيليين أكثر مما عانت من أية جهة أخرى سواء من حيث
الأراضي التي فقدتها بالاحتلال الاسرائيلي ١٩٦٧ أم من حيث
الصراع العربي الاسرائيلي الذي أدى إلى الأزمة الداخلية في
١٩٧٠ . لكن الاسرائيليين ، من جهة أخرى ، دافعوا بشكل
واضح عن نظام الملك حسين لأنهم لم يكونوا يريدون القبول بنظام

راديكالي على حدودهم الشرقية الممتدة ، وكان الدعم يتم بالتهديد المستمر بأنهم سيتدخلون ضد أي تبدل راديكالي في الوضع القائم .

ثم إن المشكلة الاسرائيلية عٌقدت الموقف الأمريكي . فقد كان الأمريكيون يريدون دعم نظام حسين ضد التهديد الداخلي والتدخل العربي الخارجي الذي يرافقه لكنهم لم يكونوا يقدمون مثل هذا الضمان ضد الاعتداءات الاسرائيلية . وكان نقل المعدات الحربية إلى الأردن محدودا باعتبارات النزاع العربي الاسرائيلي . وكان لا بد لهذا أن يؤدي إلى تأزم العلاقات الأردنية الأمريكية ، وفي ١٩٦٧ / ١٩٦٨ وكذلك في ١٩٧٦ هُدد الملك حسين بالتوجه الى الاتحاد السوفييتي للحصول على الأسلحة^(٣٣) . لكن هذا الغزل مع موسكو سمح لواشنطن بأن تبين للاسرائيليين الحاجة إلى استمرار العلاقة الأردنية الأمريكية بشأن المعدات العسكرية ، بحجة أن المزيد من المعدات العسكرية الأمريكية للأردن سيكون أفضل من الوضع السياسي القلق وغير المضمون الذي سوف ينشأ إذا اشترى الأردن أسلحة من الاتحاد السوفييتي . ودليل آخر على تعقيدات العلاقة الأمريكية الأردنية ، أن الادارة الأمريكية كانت بين حين وآخر تطلب من الاسرائيليين

أن يقنعوا الكونغرس بعدم معارضة إمدادات الأسلحة الأمريكية إلى الأردن .

بدأت علاقة أمريكا الدفاعية مع الأردن عام ١٩٥٧ لدى انتهاء معاهدة الدفاع البريطانية الأردنية . وفي نيسان دخل الملك حسين في صراع على السلطة مع الفئات الموالية لسورية ومصر^(٢٤) . بدأت الأزمة في ٨ نيسان بمحاولة ظاهرة لاحداث انقلاب ، وتبعها حركة تمرد في الجيش وتهديد بالتدخل من جانب سورية ومظاهرات بلغت ذروتها في ٢٤ نيسان . وفي ذلك اليوم طلب الرئيس شمعون من الولايات المتحدة أن تنقذ نظام الملك حسين ، وهو طلب لم يكن الملك حسين ذاته قادراً على تقديمه خوفاً من تقويض وضعه الداخلي . فأصدر أيزنهاور تصريحاً بدعم أمريكا استقلال الأردن ووحدة أراضيه ، وكان الهدف منه تطمين حسين وجيرانه من المحافظين وتحذير قوى التدخل وابعادها . وطلب من إسرائيل وسورية ومصر أن تعتمد إلى « الحكمة والحذر » وأن تتجنب أي عمل من شأنه تصعيد الموقف^(٢٥) . واكتسبت هذه التحذيرات أهمية بالأعلان الذي أصدره البيت الأبيض عن تحرك الأسطول السادس إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط استعداداً للتدخل إذا طلب الأردن العون . ورست على

بُعد من بيروت مراكب تحمل على ظهرها قوة مؤلفة من ١٨٠٠ من رجال البحرية ، بينما قامت وحدات أخرى بتأمين دفاع جوي في عرض البحر (٣٦) .

كان هذا التحرك الأمريكي بقصد التهديد واضحا ، لكن لم يدم طويلا . لأن الملك حسين أقام في ليلة الرابع والعشرين من نيسان حكومة جديدة موالية للنظام الملكي ولأمريكا بشكل مكشوف بادرت الى إعلان الأحكام العرفية ، واحتلال عمّان بقوات موالية وحلّت الأحزاب السياسية . واستدعي الأسطول السادس إلى غربي البحر الأبيض المتوسط بعد ذلك ببضعة أيام . ويصعب تقدير مدى تأثير النفوذ العسكري الأمريكي في نتيجة الأزمة . فقد جاء العمل الأمريكي متأخرا نسبيا . ربما ساعد في تسهيل تشكيل الحكومة الجديدة في ليلة ٢٤ / ٢٥ نيسان ، وربما قوى يد الملك حسين فيما بعد ، وردع التدخل الخارجي (٣٧) . لكن الذي كان له تأثير فوري أكبر هو نصيحة الساسة المواليين للغرب وتوجيههم من أمثال سمير الرفاعي وسليمان طوقان (٣٨) .

عندما طلب حسين العون في تموز ١٩٥٨ من لندن

رواشنطن لدى قيام الانقلاب العراقي (*)، فضل الأمريكيون ترك العملية للبريطانيين ، واعدن بتقديم كل العون باستثناء قوات مقاتلة ، ولا سيما الدعم في مجال السّوق .^(٢٩) . وكان للقوة البريطانية ، رغم كونها أصغر كثيرا من نظيرتها الأمريكية في لبنان ، دور سياسي غامض مماثل ، أعني شد أزر الحكومة . ونجحت ، مثل نظيرتها الأمريكية ، في التخلص من الموقف بعد بضعة أشهر من دون أن تتورط في أي قتال^(٣٠) . وفي ١٩٦٣ أيضا عندما أدت المظاهرات واسعة النطاق إلى حل البرلمان الأردني ، وإلى قيام أخطر أزمة منذ الحرب الفلسطينية في ١٩٤٨ ، وضّعت بعض الوحدات الأمريكية ، ويقال أيضا البريطانية ، في حالة تأهب^(٣١) .

وأخذ التدهور في العلاقات العربية الاسرائيلية في أواسط الستينات يهدد أمن اسرائيل حتى قبل حرب الأيام الستة . فشنّ الاسرائيليون في تشرين ثاني ١٩٦٦ ، من قبيل الرد على غارات عدة ، هجوما انتقاميا كبيرا على قرية السموع Samou في الضفة الغربية وعلى إثره قامت مظاهرات عنيفة ضد الحكومة وتعرّض

* الثورة العراقية التي اطاحت بالنظام الملكي في العراق — (الناشر)

حسين للضغط من أجل السماح بمراقبة قوات سورية ومصرية في الأردن . فعَمَدَ الأمريكيون ، تجنباً للأزمة التي يمكن أن تنشأ عن هذا ، وكتدبير يُقصد منه زجر إسرائيل ، عمدوا إلى إرسال شحنات من الأسلحة جواً إلى الأردن ، وعززوا قواتهم في شرف البحر الأبيض المتوسط^(١٢) لكنهم لم يفعلوا شيئاً مجدياً للأردن خلال حرب الأيام الستة، وتباطأوا في تعويض الخسائر الأردنية بعد ذلك .

وفي أواخر الستينات كان تهديد النظام الملكي مرة ثانية مسألة داخلية بالدرجة الأولى . فقد كان من بين الآثار التي خلفتها حرب الأيام الستة إنشاء ما يشبه دولة فلسطينية داخل دولة في الأردن . ونجم عن ذلك صراع بين الملك والفلسطينيين . وفي حزيران ١٩٧٠ وضعت القوات الأمريكية فترة قصيرة في حالة تأهب للغرض المعلن وهو أن تكون على استعداد لحماية أرواح المواطنين الأمريكيين^(١٣) . وبلغت الأزمة ذروتها في أيلول عقب اختطاف ثلاث طائرات تجارية إلى الاردن . وأصبح نظام حسين الملكي مرة ثانية في خطر هو والاستقرار في شرقي البحر الأبيض المتوسط^(١٤) وإنما جعل هذه الأزمة حادثة بشكل خاص التدخل السوري ، والدور الغامض الذي لعبه الاتحاد السوفيتي .

فقد عُرف أن الخبراء السوفييت رافقوا الدبابات السورية إلى الحدود الأردنية ومن المفروض أنهم شاركوا على نحو ما في التخطيط للعملية^(٤٥) . وكانت واشنطن على علم جيد بأنها فشلت في الرد بشكل واضح على تكوين وجود قتالي سوفييتي كبير في مصر خلال الشهور السابقة وأن السوفييت قد نقلوا صواريخ سام S A M إلى منطقة القناة خلافاً لما نصت عليه اتفاقية وقف إطلاق النار حديثة العهد بين مصر وإسرائيل . وبناء على ذلك بدأت تميل إلى افتراض أن الاتحاد السوفييتي كان يحاول عندئذ التدخل بطريق الوكالة في شؤون زبون أمريكي ، وأن سمعة القوة الأمريكية إزاء الاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط أصبحت في خطر^(٤٦) .

كان للولايات المتحدة خلال المراحل الأولى للأزمة هدفان أوليان : ضمان أرواح ركاب شركة الخطوط الجوية وردع التدخل السوري . وكان الأسطول السادس قد تحرك باتجاه السواحل اللبنانية والإسرائيلية بعد فترة قصيرة من حادثة الاختطاف . وفي ١٦ ايلول ، اليوم الذي تلا إعلان الأحكام العرفية في الأردن ، عندما أشارت تقارير الاستخبارات إلى تحرك الدبابات السورية نحو الحدود الأردنية ، شن الأمريكيون في مقابلة صحفية حملة من دبلوماسية التهديد لم يسبق لها مثيل ، صرّح خلالها الرئيس

نيكسون بأن الولايات المتحدة قد تضطر للتدخل إذا تعرض نظام حسين للتهديد سواء من جانب سورية أم من جانب العراق ، وأنه قد يكون من المفيد للاتحاد السوفيتي أن يصدّق أن الولايات المتحدة قادرة على التصرف بطريقة لا يمكن تصديقها ولا التنبؤ بها^(٧) . لم يكن للتحذير تأثير لأن المصفحات السورية بدأت تدخل الأردن في ١٩ ايلول . فسعت واشنطن في اليومين التاليين إلى دفع السوريين إلى الانسحاب بحملة محمومة من دبلوماسيّة التهديد اشتملت على تحركات عسكريّة مرثية جدا . صدر أمر بوضع قوات عسكريّة مختارة في حالة تأهب من ضمنها الفرقة الثانية والثمانون المحمولة جواً في الولايات المتحدة^(٨) ، ووحدات محمولة جواً في ألمانيا الغربيّة ، جرى نقلها إلى المطارات بأسلوب مكشوف عن عمد . وفي ٢٠ ايلول وجّه الى القائم بالأعمال السوفيتي في واشنطن تحذير بأنه اذا لم ينسحب السوريون فان من المحتمل أن يتدخل الإسرائيليون ومن الممكن أن يتدخل الأمريكيون .

في ٢١ ايلول زاد الوضع في الأردن تدهورا ، ولم يظهر هناك ما يشير إلى انسحاب السوريين . وكان الملك حسين قد طلب العون من إسرائيل وبريطانيا والولايات المتحدة . ووضعت

خمس من الفرق المربطة في ألمانيا الغربية في حالة التأهب التام المرئي^(١١) ، وجرى تعزيز الأسطول السادس . لكن الوقت كان يمر بسرعة متجاوزا دبلوماسية التهديد . وصار من الضروري إجبار السوريين على الانسحاب اذا تعذر دفعهم إليه . لكن ، كما قال موظف كبير في البنتاغون ، (كان هنا تردد كبير بشأن التورط إذا لم نكن مضطرين إليه)^(١٢) لأن القدرة العسكرية المتوافرة للقيام بأي تدخل لم تكن كافية . كان الأسطول السادس ، بعد فييتنام ، تعوزه الطائرات العمودية لحمل قوته البحرية إلى الساحل . وكان لا بد إذن من مجيء القوة الأمريكية الأولى ، مع التعزيزات المبكرة ، من ألمانيا الغربية التي كان فيها معظم وحدات الجيش السابع آلية ويصعب نقلها .^(١٣) وكانت الفرقة الثانية والثمانون المحمولة جوا تملك ما يكفي من الرجال المتدربين تدريباً مناسباً لإرسال لواء واحد فقط من ألويتها الثلاثة^(١٤) . وكان الحلفاء غير متعاونين ، ولم يكن من المتوقع أن يتحمل الرأي العام في الولايات المتحدة تورطاً عسكرياً أمريكياً آخر بعد خمسة أشهر فقط من غزو أمريكا لكومبوديا .

وكان البديل للتدخل الأمريكي هو استخدام إسرائيل كوكيل لهم (Proxy)^(١٥) . لكن لم يكن في وسع الأمريكيين

التهرب كلياً من التورط لأن الاسرائيليين اشترطوا أن تقدّم الولايات المتحدة مظلة جوية أمريكية ضد أي تحركات سوفيتية معاكسة سواء من البحر الأبيض المتوسط أم من مصر . وتردّد الأمريكيون في بداية الأمر . لكنهم نظراً لأن وضع حسين كان يزداد تأزماً ، وافقوا على أن يأتوا دفاعاً عن اسرائيل لدى تدخل مصري أو سوفيتي^(٥١) وتمت الإشارة عن عمد إلى هذا التنسيق للسياسة الاسرائيلية الأمريكية ، بايفاد طائرة استخبارات من حاملة تابعة للأسطول السادس إلى تل أبيب من أجل تبادل المعلومات عن تحديد الأهداف الجوية^(٥٢) .

مرة ثانية يبقى غامضاً مدى اسهام سياسة التهديد الأمريكية في هذه التطورات . ان الهجوم الذي شنّه الاردنيون على القوات السورية في ٢٢ ايلول ربما لقي تشجيعاً من التزام امريكا واسرائيل بالتدخل . كان السوريون انفسهم عرضة لعدد من الضغوط التي ولّدها دبلوماسية التهديد الأمريكية . وكان الرتل المدرع السوري الذي دخل الأردن معرضاً لهجوم اسرائيلي ولهجوم امريكي ممكن ايضاً بشكل يزداد وضوحاً . وقد جاء الضغط الدبلوماسي على اللواء المدرّع من أجل الانسحاب من المصريين ، وعلى الأخص الاتحاد السوفيتي^(٥٣) . وقيل بالفعل

فيما بعد إن موظفين في موسكو قد بينوا لدبلوماسيين غربيين كبار أن محاولاتهم لحث السوريين ، والعراقيين كذلك ، على ضبط النفس قد لقيت عونا كبيرا من دبلوماسية التهديد الأمريكية^(٥٧) . برغم ذلك ، بينما كانت واشنطن تقوم بهذا بوصفه مواجهة من قوة عظمى تسعى إلى الضغط على السوريين عن طريق السوفييت بالدرجة الأولى ، لم يكن هناك دليل على دبلوماسية تهديد مضادة من جانب السوفييت ، كما حدث في حرب الأيام الستة ، وكما حدث فيما بعد في أثناء حرب تشرين في يوم (الغفران)^(٥٨) . وكانت التحركات العسكرية السوفييتية الهامة الوحيدة هي تعزيز الأسطول السوفييتي في البحر الأبيض المتوسط^(٥٩) . لكن بينما كانت السفن الحربية السوفييتية تختلط بالأسطول السادس ، لم تقم بأية محاولة للتدخل في تحركات السفن الحربية الأمريكية . ويقال إن السوفييت طلبوا من واشنطن بطريقة خاصة أن تظل القوتان العظميان بعيدتين عن الأردن ، بينما حذر بريجنيف بصورة علنية من أن أي تدخل في الشؤون الداخلية الأردنية لن يكون مقبولا^(٦٠) . وهو تحذير موجه إلى صديقي الاتحاد السوفييتي ذاته ، سورية والعراق ، وإلى الولايات المتحدة وإسرائيل أيضا .

بعد ذلك زادت كلتا القوتين العظميين قواتهما في المنطقة . زاد الاتحاد السوفييتي عدد قطعات الاسطول السوفييتي في البحر الأبيض المتوسط وسعى إلى تغطية دوره بتصريحات عسكرية خلال الازمة (١١) . وأرسلت الولايات المتحدة عدة أسراب من طائرات (F4) القاذفة المقاتلة إلى أوربا . فيما قام الرئيس نيكسون بزيارة الأسطول السادس . وقال أحد الموظفين في ذلك الوقت (إن صورة الرئيس وهو يقف تحت مدافع الأسطول السادس يجب أن تكون للسوفييت علامة على أن الشرق الأوسط ليس مصلحة ثانوية بالنسبة لنا) (١٢) . وربما كان أهم من علامة القتال هذه بالنسبة لموسكو تلك الشحنة الجوية من المعدات العسكرية التي أرسلت على عجل الى الأردن وساعدت الملك حسين ، بالإضافة الى العون المالي الأمريكي السخي ، في مواصلة حملته للقضاء على الفدائيين (١٣) . بعد هذا ، على الرغم من حرب تشرين ، دخل الأردن فترة من الاستقرار السياسي لم يسبق لها مثيل . وأخذت واشنطن تقدر بصورة متزايدة دور الملك حسين المعتدل في العالم العربي . فقد نشط ضباط التدريب والمخابرات الأردنيون في عدد من الأقطار الصغيرة في شبه الجزيرة العربية . وقيل إن الفضل يرجع الى الملك

في المساعدة على إدخال السلطان قابوس في فلك النفوذ الأمريكي وفي تقديم بعض العون لأكراد العراق^(٦٦) . واذن بعد حوالي عشرين عاما من قيام العلاقة الأمريكية الأردنية ، لم يكن الملك حسين باقيا هناك فقط بل كان يقيم الدليل على أنه وكيل نافع لأمريكا .

لعبت القوى الغربية إذن ، ولا سيما الولايات المتحدة ، دوراً هاماً في تدعيم الأنظمة المحافظة في شرقي البحر الأبيض المتوسط . فازاء رد العمل السوفييتي الصახب ، الرمزي في معظمه ، ساعدت التدابير التهديدية ونقل كمية قليلة نسبياً من الامدادات العسكرية في ضمان بقاء نظام حسين في الأردن وفي الوصول إلى تسوية لأزمة ١٩٥٨ اللبنانية . واعتمدت الولايات المتحدة في عدد من الحالات على وكلاء لها . فقام البريطانيون في ١٩٥٨ بانزال قوات في الأردن . وكان من الممكن لاسرائيل التي تؤلف الضمانة الدائمة للوحدة السياسية للمملكة الهاشمية ، أن تقوم بأي عمل عسكري في ١٩٧٠ ، وفي أثناء هذه الأزمة الأخيرة تم نقل دبلوماسية التهديد الأمريكية الموجهة الى سورية عبر الاتحاد السوفييتي ، كما جرى تعزيزها بواسطة نوعا ما . لكن في كل حالة كانت الولايات المتحدة تعتمد في النهاية على قدرة

الأطراف المحلية على تسوية خلافاتهم الخاصة ، سواء بالحل الوسط أم بالوسائل الأشد خشونة ، ولم تكن السياسة العسكرية الأمريكية لتفعل شيئاً أكثر من تسهيل هذه العملية . وكان الشيء الذي لم تفعله إذن ، هو حل الصراعات عميقة الجذور الموجودة داخل النظامين السياسيين اللبناني والأردني ، وهي مشاكل انفجرت بشكل جذري بظهور الفلسطينيين كقوة سياسية وعسكرية محلية خطيرة . كما أن الولايات المتحدة ، كما تبين من اجهاض محاولة ١٩٥٧ للقضاء على النظام السوري ، لم تستطع إعادة النظام المحافظ بعد أن تم إبعاده .

الحواشي

- ١ — هارلد مكملان ، ركوب العاصفة ، ص ٢٨٠ .
- ٢ — لكن يظهر أن الولايات المتحدة كانت قد درست مسبقا إمكان قيام انقلاب من الداخل . باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص ٢٩٣ / ٤ .
- ٣ — معظم هذا بناءً على ما رواه أيزنهاور في شأن السلام ، ص ص ١٩٨ — ٢٠٣ .
- ٤ — المصدر ذاته . من أجل تفاصيل عن التعاون الأمريكي الانكليزي خلال الأزمة ، انظر مكملان ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٧ — ٢٨٦ .
- ٥ — كان هناك قيود متنوعة . فكان من الممكن أن يؤدي العمل العسكري إلى تدمير أنابيب النفط العراقي المارة عبر الأراضي السورية ، وإلى اضطرابات داخلية في العراق ولبنان والأردن . وكان هناك بالإضافة الى ذلك منافسات بين القوى التي يمكن ان تقوم بدور الوكيل .
- ٦ — ١ . ج . هيوز ، محنة السلطة ، ص ص ٢٥٣ / ٤ ، وقبل

ذلك عقب أزمة السويس كان الأتراك قد عبروا عن رغبتهم في التفكير بضرورة وقائية ضد سورية ، شارلز بوهلن ، شهادة للتاريخ ، ص ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .

٧ — أيزنهاور ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

٨ — للاطلاع على رد الفعل السوفيتي ، انظر ج . م . ماكنتش ، استراتيجية السياسة الخارجية السوفيتية وتكتيكها . ص ٢٢٦ / ٨ . انظر أيضا جورج س . هاريس ، (الاتحاد السوفيتي وتركيا) في ايفوج . ليدررو واين فوسينش (الناشر) ، الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط . الذي يوحى بأن كلا من مندريس وخروتشيف كان له مصلحة في تضخيم الأزمة لأسباب داخلية ، ص ص ٤٠ / ٤١ .

٩ — سيل ، المصدر السابق ، ص — ٢٩٤ .

١٠ — انظر الفصل ١٠ .

١١ — بناء على السفير الأمريكي عندئذ ، كانت فرنسا وبريطانيا قد قدمتا ضمانات سرية في ١٩٥٦ عن استعدادهما للحفاظ على وحدة لبنان . « الشيك المفتوح الوحيد الذي يرغب الرئيس شمعون ، في مسحه كان شيك الولايات المتحدة » ، روبرت مكلنتوك ، معنى الحرب المحدودة . ص ١٠٢ . نقل السفير الأمريكي أنه كان هناك دليل على أسلحة ترد من الخارج ، وأشار إلى الهجمات الأذاعية على شمعون من قبل القاهرة

ودمشق ، حتى إن البريطانيين كانوا أكثر صراحة . فيوم وصول
الطلب اللبناني إلى لندن ، لاحظ مكميلان (يقوم ناصر بتنظيم
حملة داخلية هناك ضد الرئيس شمعون ونظامه . إن جانباً من
هذا العمل شيوعي والجانب الآخر قومي عربي . ويجري إدخال
الأسلحة السوفييتية من سورية . والهدف هو إجبار لبنان على
الانضمام الى الوحدة « المصرية السورية » . وبكلمة أخرى ،
بعد التمساً — تشيكوسلوفاكية . وسيأتي دور بولندا (في هذه
الحال العراق بعد ذلك) ، مكميلان ، المصدر السابق ص
٥٠٦ .

١٢ — طلب شمعون مرتين في حزيران ١٩٥٨ التدخل الأمريكي ،
لكن السفير الأمريكي لم يشجعه . شارلز و . ثاير ،
الدبلوماسية ص ٧٦ : مكلتتك . المصدر السابق ، ص
١١٦ .

١٣ — مكلتتك ، المصدر السابق ص ١١٦ .

١٤ — ثاير ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

١٥ — يقال إن القرار اتخذ بالرغم من نصيحة مجلس الأمن القومي .
فضلاً عن الموقف السياسي غير المأمون في لبنان ، كانت وزارة
الخارجية تعتقد أن التدخل سوف يؤدي الى إغلاق قناة
السويس ، وإلى قطع أنابيب نفط شركة نفط العراق عبر
سورية ، وإلى اضطرابات خطيرة في الكويت . وكان لدى

العسكريين أيضا تحفظات . فيقال إن القوة الجوية اعترضت بأن الشرق الأوسط كان هدفا للقوة الجوية السوفيتية ، وكان الأسطول قلقا بشأن طول خطوط تموينه من الولايات المتحدة ، ولیم بولك ، الولايات المتحدة والعالم العربي ، ص ٢٨٣ ، ولیم كوندت (سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط) في هامند والكسندر (الناشرين) الديناميات السياسية في الشرق الأوسط ، أيزنهاور ، المصدر السابق ، ص ٢٧١ ، هيدز ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

- ١٦ — روبرت مورفي ، دبلوماسي بين المحاربين ، ص ٤٨٨ .
 ١٧ — أيزنهاور ، المصدر السابق ، ٢٧٥ . أصبح خطر العملية واضحا بصورة حادة في حادثة وقعت في ١٦ يوليو حين أوشكت وحدات من الجيش اللبناني على إطلاق النار على القوات الأمريكية .

- ١٨ — ملاحظة : وصف جيمس كييل للموقف (كان التهديد قائما ، وكان حادا لأنه كان بلا شكل ، ويبدو أن النتيجة كانت أنسب بوجود البحارة منها من دونهم) . دبلوماسية السفينة المسلحة . ص ٦١ .

- ١٩ — مورفي ، المصدر السابق ، ص ٤٨٥ .
 ٢٠ — يرجع ابعاد الفرنسيين إلى حد كبير إلى خشية البريطانيين

والأمريكيين من أن تؤثر السياسة الفرنسية إزاء الجزائر في رد فعل العرب على التدخل الغربي تأثيرا غير مناسب .

٢١ — أيزنهاور ، المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

٢٢ — أنظر الفصل ١٠ . وكما في أثناء أزمة ١٩٥٧ السورية أعاد

الاتحاد السوفيتي إلى الأذهان التقدم الذي أحرزه حديثا في سباق الصواريخ بعبارات عامة لكنه ترك مجالا كبيرا للغموض عندما لم يربط هذا بأحداث طارئة معينة . هانز أدوميت ، مخاطرة السوفييت وتصرفهم في الأزمات . ص ٢٣ .

٢٣ — جورج دراغتش ، (بحث الاتحاد السوفيتي عن مدخل إلى

المرافق البحرية في مصر قبل حرب حزيران في ١٩٦٧) في مايكل مكواير ، كينث بوث ، وجون مكدونل (الناشر) السياسة السوفيتية البحرية : أهدافها وقبورها . ص ٢٤٧ .

٢٤ — شومان آدم ، تقرير مباشر ، ص ٢٩٣ . إن نجاح العملية ربما

شجع في واشنطن الفكرة أو الأطروحة بأنه يمكن للولايات المتحدة فرض الاستقرار في الشرق الأوسط بمجرد استعراض القوة . ادورد ونتال وشارلز بارلت ، مواجهة حافة الحرب ، ص ٥٣ .

٢٥ — يبدو أن هذا هو ما يتفق عليه المعلقون عموما ، ليس الذين

يعنيهم الأمر فقط ، انظر مكلنتوك ، ص ١٢١ ، بل الذين لا

يعنيهم الأمر أيضا ، انظر نيفيل براون ، قابلية الحركة الاستراتيجية . ص ٧٥ .

- ٢٦ — بولك ، المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .
- ٢٧ — مورفي ، المصدر السابق ، ص ٤٩٧ .
- ٢٨ — الفاينانشال تايمز ، ١٨ حزيران ١٩٧٦ .
- ٢٩ — لوموند ، ٢٤ أيار ١٩٧٦ . كشف النقاب عن العرض الفرنسي لأول مرة الرئيس جيسكار ديستان في ايار ١٩٧٦ ، وكرره الرئيس في الشهر التالي خلال زيارة الأسد رئيس الجمهورية السورية باريس . وقد تمت الترتيبات العسكرية لتسهيل التدخل ، لكن لئن لاقى العرض الفرنسي ترحيباً من القوات اليمينية فقد واجه رفضاً من اليساريين . وقيل إن السوريين رفضوا اقتراحاً أمريكياً بارسال قوة دولية من أربع أمم أو خمس تشمل قوات طوارئ من أقطار مثل النروج وباكستان .
- الفاينانشال تايمز ، ٢٧ نيسان ١٩٧٦ .
- ٣٠ — يظهر أن الأمريكيين كانوا على الأقل سيؤخرون التدخل السوري . وليس من الثابت أيضاً أن زيارة دي براون بمثل الولايات المتحدة الخاص قد أعطيت ثقلاً إضافياً بوجود سفن من الأسطول السادس في شرقي البحر الأبيض المتوسط قبل رسمياً إنها لترحيل المواطنين الأمريكيين من بيروت عند الضرورة .
- انترناشنال هيرالد تريبيون . ٣ — ٤ نيسان ١٩٧٦ .

- ٣١ — الغارديان ، ٧ يونيو ١٩٧٦ ، الفاياننشال تايمز
١٩٧٦ .
- ٣٢ — في آب أصدر الاتحاد السوفيتي تحذيرا ضد استمرار الخطر من
جانب اسرائيل على صيدا وصور المرفأين اللبنانيين الجنوبيين
اللذين كانا في أيدي اليساريين ، الايكونومست ، ٢٨ آب
١٩٧٦ ، الفاياننشال تايمز ، والانترناشيال هيرالد تريبون ،
٢٠ نيسان ١٩٧٧ .
- ٣٣ — زيف شيف ، تاريخ الجيش الاسرائيلي ، ص ٢٦٠ . من أجل
الاطلاع على تأثير إسرائيل (كآحد العوامل) في مبيعات
الأسلحة الأمريكية للأردن قبل حرب الأيام الستة وبعدها ،
انظر (SIPRI) ، تجارة السلاح مع العالم الثالث . ص ص
٥٤٠ / ٢ . قُدِّر مجموع المساعدة العسكرية والمبيعات
الأمريكية للأردن حتى ١٩٧٢ بما يزيد على ٦٠٠ مليون دولار
مقابل حوالي بليون دولار لاسرائيل في الفترة ذاتها . ر . د .
مكلورين «الشرق الأوسط في السياسة السوفيتية» . ص
١٠٧ .
- ٣٤ — من أجل تقرير عن الأزمة ، راجع سر شاولز جوستون ، حافة
الأردن ، الفصلان ٩ و ١٠ .
- ٣٥ — أيزنهاور ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
- ٣٦ — أرشيفات كيسنجزر المعاصرة . قال وزير الدفاع في التلفزيون

الأمريكي إن قوات الولايات المتحدة كانت مستعدة للهبوط بالمظلات في الأردن (خلال أيام) .

٣٧ — جون مارلو ، القومية العربية والاستعمار البريطاني ، ص ١٥١ .

٣٨ — جوزف مالون ، الأراضي العربية في غربي آسيا ، ص ١٢٣ .

٣٩ — أيزنهاور ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ . كان هناك صعوبات في وجه الطيران عبر اسرائيل التي ساعدها الأمريكيون على الوقوف بمعزل ، وطارت طائرات امريكية من حاملات في البحر الأبيض المتوسط فوق الأردن من قبيل التأييد . التاييز ، ١٨ تموز ١٩٥٨ .

٤٠ — سببت هذه العملية قلقاً كبيراً في لندن . فذكر ماكميلان في يومياته (في مفكرته) في آب ١٩٥٨ (ان قوتنا صغيرة جداً بالنسبة لأي صراع حقيقي إذا اتفق ، مثلاً ، أن تخلى الجيش الأردني عن الملك . وهي لا تصلح إلا لشد أزر الحكومة وتقديم عنصر للاستقرار . وهناك خطر إمكان القضاء عليها) . ماكملان ، المصدر السابق ص ٥٢٤ .

٤١ — نيويورك تايمز ، ٣ أيار ١٩٦٣ .

٤٢ — كان حسين هدفاً للانتقاد بشكل خاص من جانب العواصم العربية الأخرى لأخفاقه في الدفاع عن الأردن نتيجة لعلاقاته الوثيقة بالولايات المتحدة إلى حدّ ما . روبرت ستوكي ، أمريكا

والدول العربية ، ص ٢٠٢ ، (SIPRI) المصدر السابق ،
ص ٥٤٠ .

٤٣ — واشنطن بوست ، ١٨ حزيران ١٩٧٠ . للاطلاع على
انشغال أمريكا بالتطورات في الأردن خلال صيف ١٩٧٠ ،
انظر مارفن وبرنارد كالب ، كيسنجر ، ص ١٩٢ .

٤٤ — كان الأمريكيون قلقين بشأن تأثير الموقف الأردني في مبادرتهم
حديثه العهد من أجل السلام بين العرب واسرائيل . وكان
مقدراً لو فقد حسين العرش ان تضيق جميع فرص الحفاظ على
وقف إطلاق النار على طول القنال ثم التحرك سياسياً إلى أبعد
من ذلك ، روبرت . ج . برانجر ، السياسة الأمريكية من
أجل السلام في الشرق الاوسط . ١٩٦٩ — ١٩٧١ . ص
٤٣ — ٤٤ . أنظر أيضا الفصل ٨ .

٤٥ — كالب وكالب ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

٤٦ — ان واشنطن (لا تعلم بنوايا موسكو ، لكنها تعلم أن الأمر
يتصل بسمعتها) انترناشيونال هيرالد تريبون ، ٢٣ ايلول
١٩٧٠ .

٤٧ — والحقيقة أن شيكاغو سان — تايمز نقلت مباشرة عن
نيكسون . لكن في هذه المرحلة لم تكن الادارة تفكر جددا
بالتدخل . كالب وكالب ، المصدر السابق ١٩٨ / ١٩٩ .

٤٨ — جرى تسريب هذا الخبر عن قصد . لكن كان هناك تأكيد

ضمن الادارة لتناول هذه الأزمة بمزيد من الدبلوماسية . نفس
المصدر . ص . ص ٢٠٠ / ٢٠٢ .

٤٩ — نفس المصدر ص ٢٠٤ .

٥٠ — واشنطن بوست ، ٢٢ ايلول ١٩٧٠ .

٥١ — دافيد شونبوم ، (الأردن : الازمة المنسية) . السياسة
الخارجية ، ربيع ١٩٧٣ — ص ١٧٧ .

٥٢ — واشنطن ستار أند رنيوز ، ١٩ نيسان ١٩٧٣ . كان في
واشنطن تردد خاص بشأن استخدام القوات البرية في قطر ليس
له ساحل على البحر الأبيض المتوسط . التايم ، ٥ تشرين أول
١٩٧٠ .

٥٣ — في أثناء الأزمة اعتمدت الولايات المتحدة بشدة ، في موضوع
الاستخبارات ، على إسرائيل وبريطانيا . شونبوم ، المصدر
السابق ، ص ١٧٤ .

٥٤ — كالب وكالب ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٥ — ٢٠٧ في
٢١ تشرين أول كانت طائرات الاستطلاع بعلمة اسرائيلية قد
أخذت تطير فوق المواقع السورية ، كما أن وحدة مدرعة إسرائيلية
كانت قد تحركت إلى الحدود الشمالية ، قريبا من منطقة
المعركة .

٥٥ — نفس المصدر ، ص ٢٧٧ .

٥٦ — براونجر ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ، محمد هيكل ، الطريق إلى رمضان ، ص ٩٨ .

٥٧ — نيويورك تايمز ، ٢٦ ايلول ١٩٧٠ .

٥٨ — من أجل الرأي القائل بأن الاتحاد السوفيتي ربما كان يريد أن تتحرك المدرعات السورية إلى الحدود فقط ثم فقد السيطرة على زبائنه ، راجع الغارديان ، ١٦ تشرين اول ١٩٧٣ . سجل كالب وكالب الحديث التالي بين كيسنجر والوزير المفوض السوفيتي فورونتسوف : (في آخر حديث بيننا أخبرني أن السوريين لن يرسلوا أية قوات أخرى) . فأجاب فورونتسوف : (لم نكن نعلم أن السوريين سيجتازون الحدود ، وقد توقف مستشارونا العسكريون عند الحدود ولم يعبروها) . كيسنجر : (أنتم وأصدقاؤكم بدأتموها وعليكم أن تنهوها) . المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

٥٩ — يقدم ويتن الوصف التالي للتدابير البحرية للدولتين العظميين في أثناء الأزمة : (في ١٨ ايلول أعلنت الولايات المتحدة تحريك عناصر الأسطول السادس إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط لمساعدة ضحايا الطائرات الأمريكية المختطفة في الأردن . وردت تاس على هذا بتحذير معتدل اللهجة من أن التدخل الأجنبي من شأنه تعقيد الموقف الدولي ، غير أن الأسطول السوفيتي تعقب الأسطول السادس بصورة غير مثيرة . فأرسلت الولايات

المتحدة عندئذ أربع مدمرات إضافية في مهمة دائمة مع الأسطول السادس . فارتفع مجموع سفنه إلى خمس وخمسين . وأضاف السوفييت هم أيضا خمس سفن وخمس غواصات فارتفع مجموع قطعاتهم إلى احدى وخمسين . بعد ذلك ، من قبيل إظهار المرونة ، قُدمت الولايات المتحدة موعد عودة حاملة طائرات الدعم ومجموع قوات المهمات البحرية التابعة للأسطول السادس شهراً واحداً ، وأبقت للأسطول ثلاث حاملات ومجموعتين من قوات المهمات البحرية لدى زيارة نيكسون البحر الأبيض المتوسط في ايلول) . حرب القنال ، ص ٤٢٨ .

- ٦٠ — انترناشنال هيرالد تريبيون ، ٢٤ ايلول ١٩٧٠ .
- ٦١ — وولفغانج برنر (Die Arabischen Lander) in Dietrich Geyer . (الناشر) Sowjetunion , Aussenpolitik — ١٩٥٥ — ١٩٧٣ ص ٦٧٠ .
- ٦٢ — كانت التعزيزات الأمريكية رداً أيضا على إمكان تجاوز الاتحاد السوفيتي موقعه في مصر عقب وفاة عبد الناصر المفاجئة في ٢٨ ايلول ، نيوزويك ، ٢٨ ايلول ١٩٧٠ . أسبوع الطيران ، ٥ و ١٠ تشرين اول ١٩٧٠ .
- ٦٣ — ادعى دافيد باكارد ، نائب وزير الدفاع ، أن الدرس الرئيس للأزمة أن على الولايات المتحدة تأكيد نقل الأمدادات العسكرية

إلى أصدقائها بدلا من قيام الولايات المتحدة بدور شرطي
لحماية العالم . وعزا نجاح الاردن في التغلب على السوريين من
دون تدخل امريكي الى سياسة نقل الامدادات العسكرية
الأمريكية السابقة . واشنطن ستار ، ٢٥ ايلول ١٩٧٠
ونيو يورك تايمز ، ٢٦ ايلول ١٩٧٠ .

٦٤ — الترناسينال هيرالد تريبون ، ٢٥ شباط ١٩٧٧ .

الفصل السابع

الالتزام المخرج

الاتحاد السوفيتي والصراع العربي الاسرائيلي

أصبحت القوتان العظميان منذ الخمسينات متورطتين بشكل واضح في الصراع العربي الاسرائيلي تورطا معقدا . وأخذت الجولات المتتالية من الحرب تبدو بشكل متزايد كصراعات بين أصدقاء كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، تقوم فيها الدولتان العظميان بدور تقديم الأسلحة وتأمين الحماية عند اللزوم ، والتفاوض من أجل السلام أيضا . فلم تكتف موسكو وواشنطن بتوريد القسم الأكبر من الأمدادات العسكرية لأصدقائهما ، بل ضمنتا أيضا بقاءهم في وجه التهديدات الحيوية وقامتا بدور المؤكّلين اللذين يسعيان بالتناوب وبصورة مستقلة تقريبا في بعض الأحيان للوصول إلى تسوية .

لكن الدولتين العظميين رغم أنهما أصبحتا بسرعة مسؤولتين لم تكونا لتحقيقا درجة من النفوذ مقابل تورطهما

العسكري . ولم يكن باستطاعتها ممارسة سوى قليل من السيطرة على نشوب الحرب وعلى أعمال العرب والاسرائيليين العسكرية . فبينما كانت كل من واشنطن وموسكو تلح على ضبط النفس من جانب أصدقائهما وتفرضه عليهم في بعض الأحيان ، كانت تجد أن أفعالها الخاصة تملها مطالب لا تستطيع مقاومتها ، وأحداث لم يكن بوسعها أن تتوقعها ، وكانت هي نفسها في بعض الحالات تساعد عن غير قصد على التعجيل في وقوعها . أضف إلى ذلك أنهما قد عانتا صعوبة كبيرة في استغلال اعتماد أصدقائهما عليهما عسكريا للحصول على نفوذ سياسي أو للوصول إلى تسوية سياسية . وكان بالأمكان أن تسمع من السفير الأمريكي في تل أبيب مثل الشكوى التي تُنسب إلى السفير السوفيتي في دمشق من أن السوريين يأخذون كل شيء من الاتحاد السوفيتي ماعدا النصيحة .

وقد ثبت أن بعض هذه المشكلات كانت أكثر حدة للاتحاد السوفيتي منها للولايات المتحدة . كان الصراع العربي الاسرائيلي ذا قيمة عظيمة للاتحاد السوفيتي ، لأنه سمح لموسكو بمدخل سياسي إلى العالم العربي . لكن كان ثمن هذا المدخل حلفاً غير معلن مع بعض أقطار المنطقة التي ثبت انها تعاني من

عدم الاستقرار السيامي وتعمل على زيارة مقدراتها العسكرية لتحقيق أهدافها التي لم يكن الاتحاد السوفيتي قادرًا على دعمها . لأن العرب لم يكونوا فقط طرفاً في صراع يتناول في طرفه الثاني صديقا أمريكيا (اسرائيل) ، اعترف به الاتحاد السوفيتي وظل يعيد القول بأنه يؤيد بقاءه ، بل كانوا أيضا الطرف الخاسر عسكريا . ونتيجة لذلك خسر الاتحاد السوفيتي كميات كبيرة من العتاد العسكري والسمعة في ساحة الصراع العربي الاسرائيلي ، وكان أصدقاؤه يطلبون منه مرارا الدعم المادي والمعنوي .

ظهرت حساسية الصراع العربي الاسرائيلي لأي شكل من أشكال التدخل العسكري الخارجي في السنة التي تلت إنشاء علاقات سورية سوفيتية ومصرية سوفيتية بشأن الأمدادات العسكرية في ١٩٥٥ . فقد نجحت الأسلحة السوفيتية في إثارة الهجوم الاسرائيلي والغربي (الهجوم الثلاثي على مصر) لا في ردعه (١) ، ولم تزود المصريين إلا بالقدرات العسكرية المحدودة جدا في حرب السويس . وبعد أن أخفق الاتحاد السوفيتي في تحقيق الأمن لصديقه الجديد عن طريق الامدادات العسكرية قبل الحرب ، لم يتخذ تدابير تستحق الذكر حين وقع الهجوم على المصريين . سُحب المستشارون التشيكيون والسوفييتيون فوراً إلى

السودان مما طمأن الحلفاء الغزاة الذين كانوا يخشون من أن يُستخدم هؤلاء الخبراء في قيادة طائرات ميغ ١٥ وقاذفات ايلوشن ٢٨ المصرية التي لم يكن قد تدرَّب على قيادتها العدد الكافي من الطيارين المصريين^(٢) . وانقضى ما يقرب من أسبوع على الهجوم الاسرائيلي قبل أن يعتمد الاتحاد السوفييتي إلى دبلوماسية التهديد . وظل هذا التهديد على المستوى الكلامي الصرف غير مدعوم بنشر القوات . ففي ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ هدّد الاتحاد السوفييتي بصيغة غامضة وغير مقنعة باحتمال قيامه برد انتقامي نووي ضد بريطانيا وفرنسا بينما اقترح في الوقت ذاته القيام بعمل مشترك سوفييتي أمريكي لانهاء القتال . وما إن تمّ القبول بدعوة الأمم المتحدة إلى وقف إطلاق النار حتى بادر الاتحاد السوفييتي إلى التهديد بارسال (متطوعين) لارغام بريطانيا وفرنسا واسرائيل على الانسحاب من الأراضي التي احتلوها^(٣) . لكن لئن لم يكن لدبلوماسية التهديد السوفيتية أي تأثير على مجرى الحرب فلقد خلقت الريبة في مختلف العواصم منها واشنطن والقدس ، والأهم من ذلك أنها ، من وجهة نظر الأهداف السوفيتية بعيدة المدى ، جعلت الاتحاد السوفييتي يكسب مكانة في العالم العربي^(٤) .

بعد الحرب عوّض الاتحاد السوفيتي خسائر صديقه ،
وبعد سنة صار في وسع المصريين التصريح بأنهم استعادوا
مقدرتهم العسكرية بل حسّنوها ^(٦) . وخلال السنوات العشر
التالية ، التي كان الصراع العربي الاسرائيلي خلالها (مجمدا)
فعلا ، عُقدت سلسلة من المعاهدات السوفيتية المصرية بشأن
السلاح وكان أهمها تلك المعاهدة التي عُقدت في ١٩٦٣ عندما
زوّد الاتحاد السوفيتي المصريين لأول مرة بأسلحة حديثة من التي
تستخدمها القوات المسلحة السوفيتية . ويبدو أن الغرض من
هذه المعاهدات كان تزويد دول المواجهة العربية بقدرة دفاعية
بالدرجة الأولى . فزوّدت بعدد من المصفحات والطائرات
المعتزضة يكفي لمنع خطر هجوم اسرائيلي جوي أو بري . لكن لم
تزوّد إلا بكمية قليلة من طائرات الهجوم الأرضية والصواريخ
التكتيكية التي كان من شأنها أن ترفع من إمكانيات العرب
الهجومية ، وزوّد المصريون بقاذفات استراتيجية لردع المقاتلات
الاسرائيلية الطالعة في مهمات الدفاع الجوي الاستراتيجي ، لكنهم
لم يُعطوا مثلا ما يقابل ماناله الاسرائيليون فيما بعد من صواريخ
أرض جو ^(٧) .

ولكن كانت إمدادات الأسلحة هذه مرتبة بصورة تعطي ،

كما يقول « جون غلاسمن » أيضا ، تفوقا استراتيجيا ساحقا وهما لا حقيقيا^(٨) ، فقد كان تأثيرها النهائي في الصراع العربي الاسرائيلي يؤدي الى عدم الاستقرار في الحقيقة . لأن وهم التفوق العسكري ساعد في إعطاء المصريين ثقة للاقدام على الحرب في ١٩٦٧ . أما الواقع العسكري فكان يضمن خسارة العرب خسارة مدمرة . لم يبدل إي جهد لمقابلة الاستراتيجية الاسرائيلية التي كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على الهجوم الجوي المباغت^(٩) . كما أن العرب لم يتدربوا التدريب الكافي على استخدام الأسلحة التي تسلموها فعلا^(١٠) .

وقد تحمل الاتحاد السوفيتي مسؤولية سياسية مباشرة أكبر عن اندلاع حرب الأيام الستة ، على الرغم من أن الغرض من محاولة السوفييت في خريف ١٩٦٦ و ربيع ١٩٦٧ دفع المصريين لدعم حليفهم السوري الأكثر تعرضا للخطر ، كان للمرة الثانية ثني المصريين عن عزمهم ومنعهم من الأقدام على الحرب . ففي شباط ١٩٦٦ تسلم السلطة في دمشق نظام بعثي راديكالي وبدأ باتباع سياسة نشيطة معادية لاسرائيل . وأدت هذه السياسة إلى أعمال انتقامية سريعة من جانب اسرائيل . وكان الاتحاد السوفيتي غير قادر على كبح جماح نظام غير مستقر كهذا

النظام وغير راغب في أن يتورط في الدفاع عنه بصورة فعلية ، فأخذ يبحث عن وسائل بديلة لضمان أمن سورية ، وفي نهاية ذلك العام شجّع على عقد معاهدة سورية مصرية دفاعية . لكن التوتر استمر قائما على الحدود السورية الاسرائيلية . وفي السابع من نيسان ١٩٦٧ أسقط الاسرائيليون للسوريين ست طائرات ميغ ٢١ في معركة جوية امتدت الى أجواء دمشق وخلقت الذعر في البلاد وأثارت المخاوف من هجوم اسرائيلي وشيك الوقوع^(١١) . فاضطر الاتحاد السوفيتي الى اتخاذ خطوات جديدة لتأييد صديقه^(١٢) . وتضمنت هذه تحذيرا من (النتائج الوخيمة) اذا استمرت الهجمات الاسرائيلية ، ومحاولة لابعاد الضغط الاسرائيلي على السوريين بنقل معلومات^(١٣) غير دقيقة الى المصريين عن توقع حدوث هجوم اسرائيلي على سورية . وأدرك المصريون عدم دقة هذه المعلومات لكنهم ، بناء على وعود السوفييت السابقة بالتأييد الواسع لسورية ومصر ، فسروا ذلك بأنه تشجيع من جانب الاتحاد السوفيتي على اتباع سياسة معادية لاسرائيل ربما كانت أشد مما أريد لها . لهذا لم يكتف المصريون بخشد قواتهم^(١٤) في سيناء ، كما توقع السوفييت ، بل ذهب عبد الناصر إلى حد المطالبة بانسحاب قوة الطوارئ

التابعة للأمم المتحدة ، وإلى إغلاق مضائق تيران في ٢٢ ايار .
إن الاتحاد السوفيتي ساعد في التعجيل في نشوء أزمة لم
يعد قادراً على التحكم فيها على الرغم من زيادة حدة السياسة
العسكرية في الأسبوعين اللذين سبقا الحرب وذلك في محاولة لـ
المتخاصمين الرئيسيين . فجرى تحذير الاسرائيليين بصورة
مباشرة ، وعن طريق واشنطن ، من أن الاتحاد السوفيتي سوف
يهب لنجدة العرب إذا وقع هجوم عليهم ^(١١) . وفي الوقت ذاته
وُجِّهت رسالة مختلفة جداً الى مصر وسورية تتضمن أن اصدقاء
الاتحاد السوفيتي لا يستطيعون الاعتماد على دعمه إلا في حالة
تدخل أمريكي مباشر . وكدليل على صدق نواياه في هذا
الخصوص نشر سفنا حربية إضافية في نهاية أيار في البحر الأبيض
المتوسط بحيث يمكن استخدامها كقوة معترضة لمنع الأسطول
السادس من التدخل ^(١٢) .

لكن دبلوماسية التهديد السوفيتي لم تنجح في منع
الحرب . كان الاسرائيليون بالتأكيد قلقين من إمكان التدخل
السوفيتي ، لكن الفحص المتكرر للتهديدات السوفيتية خلال
أزمة السويس أثبت لهم أن هذه التهديدات قد حُملت محمل الجد
أكثر مما ينبغي في ذلك الحين . وكان العسكريون الاسرائيليون

يعتقدون بأن المعركة سوف تنتهي قبل حشد القوات السوفييتية فعلا . وفي أسوأ الحالات كان من الممكن تحريك الأسطول السوفييتي نحو شواطئ اسرائيل حيث يحتمل أن يواجه الأسطول السادس في وضع المعترض^(١٨) . وقد أثبتت الأحداث ان هذا التقدير للموقف كان سليما جدا . فما إن بدأت الحرب حتى تحركت القوات الاسرائيلية بسرعة كبيرة وكان لنجاحها وقع المفاجأة على الاتحاد السوفييتي . وفي ٦ حزيران ، في اليوم التالي لاندلاع الحرب ، بعد أن تم تدمير القوات الجوية العربية وهي جاثمة على الأرض ، قام الاتحاد السوفييتي بمحاولة شبه متحمسة لاعادة الوضع الراهن إلى ما كان عليه من قبل ، فطلب من الاسرائيليين القبول بوقف إطلاق النار والانسحاب الى المواقع التي كانوا فيها قبل الهجوم الاسرائيلي والا فان الاتحاد السوفييتي كما جاء في رسالة لكوسينغين عبر (الخط الساخن) ، قد يلجأ إلى اتخاذ تدابير في مصلحة اصدقائه من العرب^(١٩) . لكن التهديد لم يرافقه نشر للقوات ولم يكن له أي تأثير . وفي ١٠ حزيران فقط ، عندما ظهر أن الهجوم الاسرائيلي على دمشق صار وشيكا ، لجأ الاتحاد السوفييتي الى ممارسة أشدّ لدبلوماسية التهديد . فالى جانب لجوئه الى وضع الفرق السوفييتية المحمولة

جوا في حالة تأهب .'''' ، حذر الاسرائيليين تحذيراً مباشراً من انزال عقوبات بهم ما لم تتوقف العمليات العسكرية الاسرائيلية فوراً ، هذا بينما أرسل تحذيراً آخر لواشنطن عبر « الخط الساخن » من أنه سوف يتخذ « التدابير اللازمة ومن ضمنها التدابير العسكرية » ، اذا لم توقف اسرائيل عملياتها .'' . وقد نجح هذا التهديد العسكري في حث الولايات المتحدة على الضغط على الاسرائيليين لثلا يتحركوا باتجاه دمشق .'' . وفيما عدا هذا لم يكن للاتحاد السوفيتي سوى وجود عسكري باهت (''') . وبصورة خاصة حين لم يعمد إلى إعادة تسليح حلفائه في أثناء الصراع ، بالرغم من أنه كان هناك طيارون عرب يمكن أن يقودوا الطائرات الحربية لو أمكن تزويدهم بها .'' .

كانت نكسة العرب في حرب الأيام الستة علامة بارزة في السياسات الشرق أوسطية ، لأنها كانت هزيمة كاسحة : لم يخسر العرب فيها كميات هائلة من الأسلحة'''' فحسب بل اجزاء من أراضيهم أيضاً — هذا هو الأهم — : سيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية . وكان للاتحاد السوفيتي دور في تلك الهزيمة نتيجة لسياسته بعيدة المدى المتعلقة بامدادات الأسلحة ومناوراته السياسية التي سبقت الحرب . ففي أثناء الحرب اقتصر دوره

العسكري على منع التدخل الأمريكي ، وهو تدخل لم يكن من المتوقع حدوثه في ضوء نجاح إسرائيل العسكري ، كما اقتصر على الحد من الضرر . وكان لا بد أن يخسر الاتحاد السوفيتي خسارة كبيرة من جهة السمعة ، نتيجة الأسلحة السوفيتية من جهة ولعدم قدرته على تحقيق أمل العرب في أنه سوف يهب لنجدتهم^(١١) . وصار إزاء مسألة ما اذا كان يجب عليه محاولة تعويض هذه الخسائر واستعادة مركزه بل تعزيزه في الشرق الأوسط ، أم يجب عليه عدم التعرض لمثل هذه الخسائر نظراً لعدم التكافؤ العسكري بين العرب وإسرائيل والجهد الضخم الذي ينبغي أن يبذله لدى أية محاولة للاستمرار في أداء دوره في الصراع العربي الإسرائيلي .

ليس من الواضح بأية جدية فكّر الاتحاد السوفيتي في هذا البديل الأخير ، على الرغم من أن عدداً من السفارات السوفيتية في الشرق الأوسط قد طالبت به^(١٢) . لكن هذا الرأي كان ينطوي على تراجع في السياسة الخارجية يساوي على الأقل أزمة الصواريخ الكوبية ، كما أنه كان من الممكن — ولعل هذا اعتبار ثانوي — أن يجرم الأسطول السوفيتي من قواعد المرغوب^(١٣) فيها جداً في مصر والتي صار المصريون عندئذ يتنازلون عنها له

نتيجة للهزيمة العربية . لكن اتخاذ قرار باستمرار دعم العرب كان يلزم الاتحاد السوفييتي بالقيام بمهمة ضخمة تنطوي على محاولة قلب نتائج الهزيمة العربية ، وهي مهمة عجز عن القيام بها حتى حين مارس دبلوماسية التهديد من دون دعم في حزيران ، وعلى محاولة ضمان بقاء اصدقائه في ميدان القتال الذي تبين انه سوف لن ينتهي . لكن مهمته المباشرة كانت مهمة بسيطة ، وهي إمداد العرب بمعدات بدل المعدات التي فقدوها ، فلم يمض سوى ثلاثة أسابيع على نهاية الحرب حتى شحن الاتحاد السوفييتي إلى الشرق الأوسط بطريق الجو ١٣٠ طائرة تكتيكية ^(٢٠) ، وفي نهاية تشرين الأول تم تعويض العرب عن ٨٠ ٪ من خسائرهم ^(٢١) . وكانت عملية الامدادات هذه ذات أهمية جوهرية لأنها كانت تعني أن العرب لم يكونوا مضطرين إلى عقد معاهدة سلام على أساس الموقف العسكري الذي نشأ عن الحرب ، وانعكس تأثيرها في قمة الخرطوم في ايلول التي نبئت فيها المؤتمر سياسة عدم القبول بأية تنازلات ^(٢٢)

وأضيف إلى نقل الأسلحة نقل المهارات العسكرية بصورة لم يسبق لها مثيل في محاولة لبناء مقدرة عسكرية عربية فعلية . فجرى من جديد تدريب القوات المصرية تدريباً شاملاً ، تحت

إشراف المارشال « زخاروف » في بداية الأمر ، وهو نائب كبير
لوزير الدفاع كان قد رافق بودغورني إلى القاهرة بعد الهزيمة
المصرية .^(٢١) وشكّلت بعثة عسكرية سوفيتية في مصر ، وأُوفد
عدد ضخم من المستشارين والتقنيين السوفيت إلى مصر في
صيف ١٩٦٧ . فتوزّعوا على جميع القواعد البحرية والجوية
ومراكز التدريب العسكرية وأهم مرافق الصيانة في البلاد^(٢٢) .
وكان هناك خبير سوفيتي واحد على الأقل في كل سرب في القوة
الجوية المصرية مع ١٠٠ طيار سوفيتي . ولم تكن مهمتهم
لتنحصر في التدريب علي الطيران حسب بل كانت تتضمن
المشاركة في تمارين العمليات^(٢٣) . وأعيد تنظيم الاستخبارات
المصرية ، وكان الخبراء والتقنيون السوفيت موجودين في الجيش
على مستوى الكتيبة ، وفي بعض الأحيان على مستوى السرية
لكي يشرفوا في الظاهر على التدريب وعلى تمارين الميدان اليومية .
وفي ١٩٦٩ تم تنظيم بنية أركان الجيش من جديد على الطريقة
السوفيتية . وأعطى الخبراء السوفيت أيضا بعض المسؤولية في
دائرة شؤون الموظفين المصرية تشمل تعيين الضباط
وترفيعهم^(٢٤) . وبلغ عدد الذين وفدوا على سورية بعد الحرب ما
يقرب من ١٠٠٠ خبير سوفيتي إضافي ، تسلموا مناصب رئيسة

في التدريب والتخطيط والسّوق من مستوى القيادات الى مستوى اللواء (٢٥) .

وبالاضافة الى تحسين الاتحاد السوفيتي سياسته المتعلقة بالامدادات العسكرية نراه قد عمد إلى أشكال من الدعم العسكري أشد تأثيرا ، الهدف منها إعادة الطمأنينة الى المصريين وردع الهجمات الاسرائيلية . فبعد نهاية الحرب بشهر واحد تقريبا زارت اثنتا عشرة سفينة حربية سوفيتية كلا من الاسكندرية وبور سعيد ، ولدى وصولها صرح قائد الاسطول السوفيتي بأن السوفييت مستعدون « للتعاون مع القوات المصرية لردع العدوان (٢٦) » . وبقيت السفن الحربية السوفيتية حتى تشرين الأول ، ثم رحلت قُبيل وقوع حادث مشهور عندما أغرق زورق خفر مصري مسلح بالصواريخ المدمرة الاسرائيلية ، إيلات ، فانتقم الاسرائيليون بالهجوم على زوارق الخفر الصاروخية وهي راسية في قواعدها ، وعلى مصافي نفط السويس ، فعادت السفن السوفيتية الى مصر عقب ذلك مباشرة وحافظت فيها منذئذ على وجود دائم رادع (٢٧) . وفي كانون اول زار القاهرة سرب من قاذفات « TU 16 » زيارة استمرت أسبوعا قام خلالها بطلعات كثيرة دعائية فوق القاهرة ، كما نفذ تمارين بالذخيرة الحية في

الصحراء ، وجرت زيارة أخرى في نيسان ١٩٦٨ ، لكن لكل من مصر وسورية هذه المرة (٣٨) .

غير أن تكثيف التورط العسكري السوفييتي لم يؤد إلى زيادة مقابلة في تحكم السوفييت في الصراع ، بالرغم من أنه رافق زيادة التغلغل السوفييتي في كل من سورية ومصر . ولم تلبث موسكو أن أدركت ان السوريين والمصريين يريدون حربا جديدة ، وكان من شأن هذا المطلب أن يسبب للسياسة السوفييتية تعقيدات خطيرة . وفي أواخر ١٩٦٨ جرى تنشيط جبهة السويس من جديد ، وفي ١٩٦٩ شنَّ عبد الناصر حرب الاستنزاف مخافة أن يسمح للوضع العسكري الراهن أن يتحول الى واقع سياسي ثابت . لكن المصريين لم يكونوا بعد في وضع يمكنهم من الخوض في قتال فعلي ، كما ثبت أن دفاعاتهم الجوية غير قادرة على تحمل ثقل الهجمات الاسرائيلية المعاكسة . وعندما أخذ الموقف المصري يزداد سوءا ، أخذ السوفييت يزدادون تورطا في القتال الفعلي ، على الرغم من أنهم اكتفوا بالعمليات الدفاعية المحضة .

كان المصريون في الحقيقة يحاولون منذ زمن اقناع الاتحاد السوفييتي بتولي نظام دفاعهم الجوي الذي أثبت عجزه بصورة

مأساوية خلال حرب الأيام الستة . وكان هذا أول طلب تقدم به المصريون في أواخر حزيران ١٩٦٧ ، عندما زار بودغورني القاهرة . ويقال إن بودغورني وافق في البدء ، لكن السوفييت سحبوا موافقتهم في اليوم ذاته ^(٣٩) . وبعد ذلك ، عندما زار نائب الرئيس السادات موسكو أثار الموضوع من جديد فقبل طلبه بالرفض ^(٤٠) . لكن عندما أقبل خريف ١٩٦٨ كان « الخبراء » السوفييت يديرون بعض صواريخ سام وغيرها من المواقع ^(٤١) . وعندما هاجم الاسرائيليون نجع حمادي شمالي أسوان ، حذّر السفير السوفييتي في القاهرة من أن الاتحاد السوفييتي على استعداد للدفاع عن السدّ . وكان بعض الذين يعملون في الدفاعات الجوية المبنية حول السدّ من السوفييت ^(٤٢) . وفي الشتاء التالي كان لدى المصريين صواريخ سام ٢ تشغّلها قوات سوفيتية سُحِبَت من فيلق دفاعي مرابط حول موسكو ^(٤٣) . لكن في تموز ١٩٦٩ حدث تصعيد جديد للصراع عندما حاولت القوة الجوية الاسرائيلية ، تخفيف ضغط المدفعية المصرية على خط بارليف في سيناء ، فشرعت في هجوم كبير وناجح جدا . وفي الأشهر الثلاثة الأخيرة من تلك السنة أحرزت تفوقا جويا لا ينازع فوق القناة والمنطقة القريبة من وادي

النيل فحطمت ٢٤ بطارية من بطاريات سام ٢ وأسقطت ٦٧ طائرة مصرية^(١١) . ووقعت في كانون الثاني ١٩٧٠ سلسلة من الغارات في العمق أخذت تهدد بقاء الحكومة ، وثبتت بشكل واضح عدم ملائمة التدريب والمعدات السوفيتية .

كان من الواضح وجود أزمة وشيكة ، فأخذ ناصر يطالب بتزويده بصواريخ سام ٣ الأكثر تطوراً . لكن هذا المطلب كان يعني تزويد مصر بخبراء سوفيت لتشغيل الصواريخ خلال الفترة التي يجري فيها تدريب الخبراء المصريين على استعمالها ، كما كان يعني استخدام الطائرات المطاردة . ويحتمل أن المطلب لم يكن مفاجئاً^(١٢) . لأنه قيل إن الخبراء السوفيت ، خلال الصيف الأسبق ، حذروا من أنه لا ينتظر أن تسير الحرب سيراً حسناً ، وأن الاتحاد السوفيتي كان أمام بديلين : البورط المباشر في القتال أو الانسحاب التام^(١٣) . وكان هناك في ذلك الحين قلق من إمكان تعرض التسهيلات البحرية السوفيتية في مصر للهجوم الجوي الاسرائيلي ، لكن اتخاذ قرار نهائي بإشراك القوات السوفيتية في القتال كان بصورة واضحة أمراً صعباً ، وأثار كثيراً من الجدل في الأوساط السوفيتية المسؤولة عن اتخاذ القرار^(١٤) . وتلك

كانت المرة الأولى التي يمكن أن يطلب فيها من القوات السوفيتية أن تبادر الى دعم بلد غير اشتراكي . وكانت مصر حليفا لا يمكن الركون إليه سياسيا وذات سجل عسكري ضعيف . فكم يجب أن يكون حجم الوجود العسكري السوفيتي وكَم من الزمن سيتمد ؟ وما مقدار احتمال الاصطدام بالطائرات الاسرائيلية ؟ وإلى أية درجة ستكون العملية مأمونة إذا كانت نخطوط المواصلات تمر عبر أقطار حلف شمال الأطلسي أو قربها ومع وجود الأسطول الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط ^(١٨) ؟ .

والذي حدث هو أن الحكومة السوفيتية قررت أن عليها أن تتولى الاشراف على نظام الدفاع المصري . كان وجود أهم صديق لموسكو في الشرق الأوسط معرضا للخطر ، وكان للاتحاد السوفيتي عندئذ مصالح فرعية كبيرة في الصراع . لكن السوفييت عملوا بكثير من الحذر . فوجهوا ، قبل إرسال أية قوات إلى مصر ، تحذيراً إلى واشنطن في رسالة شخصية غير مألوفة من كوسينغين الى نيكسون . وكان التحذير مختصراً وغير عدائي لكن حازماً ويشير إلى أن مصر كلها كانت تبدو عزلاء ازاء الهجوم الاسرائيلي ، وإلى أنه إذا لم يكبح الغربُ جماح

الإسرائيليين ، فلن يكون أمام الاتحاد السوفيتي من خيار سوى أن يعتمد الى تزويد مصر بأسلحة جديدة .

بالنظر إلى الورا ، لا بد أن المنطق السياسي لهذا التهديد كان واضحاً ، لكن التحذير السوفيتي كان أقل وضوحاً من التحذير الذي صدر في ١٠ حزيران ١٩٦٧ أو من رسالة بريجنيف قبل أزمة « التأهب » في ٢٥ تشرين اول ١٩٧٣ ، ويظهر أن الأمريكيين لم يستطيعوا فهم مضامينه ولذلك لم يعمدوا إلى كبح جماح إسرائيل ^(١١) . ووصلت المجموعة الأولى من طواقم الصواريخ السوفيتية في آذار ١٩٧٠ وبدأت إقامة صواريخ سام ٣ حول قاعدة تموينها الرئيسة ومركز عملياتها غرب القاهرة والاسكندرية ، وكذلك حول سد أسوان ^(١٢) . وفي الشهر التالي بدأت طائرات ميغ ٢١ بقيادة طيارين سوفيت تقوم بدوريات حربية فوق مناطق مصر الداخلية .

لكن السوفيت كانوا حريصين جداً على تجنب الاصطدام بالطائرات الإسرائيلية ^(١٣) . فسارعوا الى تطين واشنطن بأن الطائرات السوفيتية سوف تحصر عملياتها في الاجواء المصرية ^(١٤) . وأخذت ترتيبات أخرى لكيلا تلتبس على الاسرائيليين جنسية المقاتلات المدافعة لدى وقوع اشتباك

جوي^(٥٣) ، وتشير تقارير الاستخبارات الأمريكية إلى أنه ، حتى نهاية حزيران ، لم يتلق الملاحون السوفييت أية أوامر « للاستعداد لاطلاق النيران » ، حتى عندما كانت الطائرات الاسرائيلية تجتاز القناة فيما يشبه القيام بمهمات للتغلغل إلى داخل مصر^(٥٤) . وكان الاسرائيليون هم أيضا حريصين على تجنب المجابهة ، ما ظل الطيارون السوفييت خارج منطقة القناة الحساسة جدا^(٥٥) . فكانت الطائرات الاسرائيلية ، بعد أيام من بداية العمليات الجوية السوفيتية ، تتخلى عن مهمتها بعد إجراء اتصال مع الضارين السوفييت ، وأعقب ذلك التوقف عن القيام بهجمات في العمق . فأحرز السوفييت بهذه الصورة نجاحهم الأول من دون أن يطلقوا طلقة واحدة .

إن فعالية الالتزام السوفيتي بالندفاع عن مناطق مصر الداخلية كلها رفعت كثيرا من معنويات المصريين وأرجعت الصراع إلى منطقة القناة حيث بدأ المصريون يحاولون إعادة بناء مواقع صواريخهم^(٥٦) . وامت هذه العسيرة في البداية من دون مشاركة السوفييت ، لكن الهجمات المضادة الاسرائيلية كانت مكثفة إلى درجة اضطر معها السوفييت إلى تحمل المسؤولية . وتصرفوا في هذه المرة أيضا بخذر . فلم يقدموا غطاء جويا لبناء

المواقع ، بالرغم من بعض الخاوف في ذلك الوقت ، بل نحوا بدلا من ذلك منحى أقل إثارة وأكثر روية ، أقاموا قاعدة نظامية للسوق ومرافق دعم أرضية مناسبة في كل خطوة ' ' . واستمرت الهجمات الجوية الاسرائيلية لكنها عجزت عن إيقاف هذا التقدم التدريجي في بناء المواقع ' ' .

كان الاسرائيليون في الحقيقة يخسرون المعركة في هذا الوقت . ونجح السوفييت في بداية تموز في تقوية دفاعات صواريخ سام الواقعة على مدى عشرين ميلا من القناة . وأعقب ذلك صراع اسرائيلي سوفيتي قيل إن المصريين لم يسهموا فيه الا « باليد العائمة والابنية » ' ' . وخسر الاسرائيليون خلال شهر واحد سبع طائرات ، وأثبت السوفييت تفوق تقنيات دفاعهم الجوي وقدرة الدولة العظمى على السيطرة على المعركة بالتفوق العددي وحده ' ' . وبدأت الطائرات السوفيتية في نهاية ذلك الشهر تقوم بعمليات فوق منضقة القناة ذاتها ، فقرر الاسرائيليون تحدي مخاطر الاشتباك معها في معركة ، معتمدين من دون شك على جودة قوتهم الجوية وعلى إمكان توصل أمريكا إلى وقف إطلاق النار عن طريق التفاوض . فنصبت المطاردات الاسرائيلية في ٣٠ تموز كمينا لاسوفييت عن عمد : تظاهرت بالقيام بهجوم

على وادي النيل ثم هاجمت المقاتلات السوفيتية بـحَمين .
واستطاع الاسرائيليون بسهولة التغلب على الملاحين السوفيت
الذين تنقصهم الخبرة ، وأسقطوا خمس طائرات ميغ ٢١ (١١) .
وكان للحادثة أهميتها ، لأن الاسرائيليين لم يصلوا فقط إلى
التعادل في الخسائر واثبات عزمهم على دخول المفاوضات القادمة
من مركز القوة ، بل قوّضوا أيضا السمعة السوفيتية العسكرية ،
وأكدوا مخاطر امتداد الحرب . لم ينشر أي من الطرفين نأ هذه
الحادثة . ولم يكن هناك تهديدات سوفيتية بالانتقام . وتجنب
الطيaron السوفيت الاحتكاك بالطائرات الاسرائيلية ، وسعى
السوفيت بدلاً من ذلك إلى توسيع نظام دفاعهم الأرض جوي
الاکثر فعالية على طول القناة . هذا على الرغم من أنه كان
ينطوي على خرق لاتفاقية قائمة حول استخدام الصواريخ في
المنطقة . وقد ردّ الاسرائيليون على هذا برفض المشاركة في جولة
المفاوضات الجديدة التي كانت مقررة بموجب اتفاقية روجرز
الثانية (١٢) .

لكن السوفيت مهما كانت خسائريهم السياسية
المباشرة ، فرضوا لأول مرة حالة من الجمود العسكري . فبلغ عدد
الطائرات التي كان يقودها طيارون سوفيت في نهاية تلك السنة

١٥٠ طائرة ميغ 21 J ، وعدد مواقع الصواريخ التي يديرها رجال من السوفييت ٧٥ — ٨٥ موقعاً^(٦٣) . وأقيمت منطقة دفاع جوي على نطاق كامل تحت إشراف القائد العام لمنطقة الدفاع الجوي عن موسكو ، وكان الضباط السوفييت يديرون الجزء الأعظم من نظام إدارة الصواريخ ونظام الإنذار المبكر ، إلى جانب الإشراف على ستة مطارات حربية^(٦٤) . وحدثت تطورات أخرى في ١٩٧١ . فعلى الرغم من انسحاب الطواقم من مواقع صواريخ سام الواقعة على الضفة الغربية للقناة خلال الربيع ، بقي الخبراء والتقنيون^(٦٥) . وفي الوقت ذاته جرى توسيع الحماية السوفيتية لمصر العليا^(٦٦) . فكان السوفييت ، لدى التصديق على معاهدة الصداقة والتعاون ، في أيار ١٩٧١ ، يساهمون في الدفاع الجوي عن البلاد كلها تقريباً^(٦٧) . وكانوا يستخدمون قسماً من أكثر معدات الدفاع الجوي تعقيداً^(٦٨) . ولم يبق ما يقومون به سوى تزويد مصر بالأسلحة الهجومية أو القيام بمسؤوليات الهجوم بأنفسهم^(٦٩) .

لهذا كان الاتحاد السوفيتي يواجه معضلة جدية . كان متورطاً بصورة عميقة في مصر ، ولم يكن سجله العسكري بالسجل الناصع . ذلك أنه نجح أولاً في ردع التهديد الجوي

الاسرائيلي اخائل ثم في قهره . لكن المصريين كانوا يحاولون الحكم على الجهد السوفييتي اعتمادا على ما لم يقيم به بدلا من الحكم عليه استنادا الى ما قام به من منجزات ، وعلى الرغم من أن إمدادات السلاح السوفييتي ، التي رافقت وجودهم القتالي المتزايد في مصر ، زادت بشكل خطير مخاطر المواجهة اذ رفض الأمريكيين الضغط على الاسرائيليين للقيام بتنازلات من طرف واحد . والحقيقة أنه لم يكن هناك أي تساهل ملحوظ في موقف المساوم الاسرائيلي بله الانسحاب من أية أرض محتملة . وأدى هذا إلى عدم رضا المصريين الذي اخذ يتضح في أوائل ١٩٧١ مما جعل الجهود السوفيتية عاجزة عن منعهم من القيام بمبادرات حربية أخرى بأنفسهم . كان الاتحاد السوفييتي غير قادر على تحمل خطر حرب جديدة وفي مصر قوة سوفيتية قوامها عشرون ألف رجل ، وكان غير راغب في مواجهة عواقب هزيمة مصرية أخرى مع ما تنطوي عليه من احتمالات خسائر أخرى في المعدات والسمعة السوفيتية . لذلك كان يحث مصر مراراً على ضبط النفس ويلزمها به^(٧٠) . وكانت القوات السوفيتية قد كلفت الاشراف ليس فقط على حركة المرور الجوي المصري وأجهزة الانذار المبكر الرادارية ، بل على مراكز رئيسة أيضا في شبكة

التكوين والصيانة والنقل التابعة للجيش . وكان المصريون يعانون من نقص في الذخيرة ' ' ' . لم يناقش الخبراء السوفييت — والعهد على محمد حسين هيكل — خطط العمليات مع السلطات المصرية ، ولم يسهموا في الدراسات الأساسية اللازمة لهذه الخطط ' ' ' . والأهم من كل ذلك ، بالنسبة للمصريين ، رفض السوفييت تقديم الأسلحة الهجومية الهامة مثل المدفعية بعيدة المدى ، والعربات المصفحة لنقل الجنود ، والقاذفات والسلاح « الرادع » ' ' ' .

وأدت علاقة نقل الامدادات القائمة بين الجانبين إلى خلق أسباب أخرى للاحتكاك . فلم يكن المصريون من المشترين الذين يسهل إرضائهم . كانوا يملكون فكرة مبالغاً فيها عن مقدرة الدولة العظمى على الانتاج العسكري ، ويميلون إلى تناسي أن موسكو كانت تتسلم أيضاً طلبات من جهات أخرى . أضف الى ذلك تبدل قائمة المشتريات المصرية باستمرار مع التبدل في خطة الهجوم التي كانت موضع درس ' ' ' . وربما كان هناك أيضاً توتر كبير لا بد منه بين القوات المصرية والعدد الكبير من الخبراء السوفييت .

بلغت هذه الاحتكاكات ذروتها في إخراج كل القوات

السوفيتية تخريباً من مصر . فاتح الرئيس السادات السفير السوفيتي ، في ٨ تموز ١٩٧٢ ، أنه يرغب في :
«إنهاء خدمات التقنيين السوفيت ابتداء من ١٧ تموز . وأن الأسلحة السوفيتية يجب أن تباع لمصر على أن يدرّب المصريون على استخدامها ، أو أن يجري سحبها . وأن القوات السوفيتية المتبقية يجب وضعها تحت القيادة المصرية أو سحبها . وأنه بموجب معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية يجب البدء فوراً بمشاورات على مستوى عال . وأنه يجب أن يبقى التقنيون الذين كانوا في مصر لأغراض التدريب قبل وصول القسم الأكبر من الخبراء السوفيت»^(٧٥) .

وعلى سبيل الاحتمال حوّل المصريون قواتهم إلى مواقع قريبة من جميع المرافق السوفيتية ، واشتدوا على إمدادات الوقود لكي يضمنوا بقاء البعثات السوفيتية . حاشية على الأرض ومنعوا الضباط السوفيت الكبار من استخدام وسائل الاتصالات لإصدار أوامر غير تلك التي يطلب منهم المصريون إيصالها . لكن هذه الاحتياطات لم تكن ضرورية فيسما ظهر^(٧٦) . لأن الاتحاد السوفيتي لم يكن في موقع يمكنه من تدبير انقلاب أو القيام بعملية مشابهة لعملية غزو تشيكوسلوفاكيا^(٧٧) . ومن

المحتمل أن السوفييت كانوا يتوقعون حدوث اضطرابات . وكانوا في الحقيقة راغبين تماما في التخلص من التزامهم^(٧٨) .
مهما يكن الأمر فقد غادروا بسرعة كبيرة وبلا ضجة ،
على الرغم من أنهم سحبوا أعتدة ومدرين أكثر مما كان السادات
يقصد . وركزوا انتباههم في الأشهر القليلة التالية على سورية ،
التي ازداد فيها النشاط السوفييتي في بداية تلك السنة فبعد
الغارات الاسرائيلية الانتقامية على الفدائين الفلسطينيين في
أعماق الأراضي اللبنانية والسورية ، وهي غارات بيّنت مرة أخرى
ضعف الدفاعات العربية ، بعد هذه الغارات تُقلت معدات
عسكرية إلى سورية بطريق الجو مصحوبة بدعاية كبيرة ،
كبرهان على استعداد الاتحاد السوفييتي لدعم أصدقائه^(٧٩) .
وأعقب ذلك زيادة كبيرة في عدد المدربين والمستشارين
السوفييت^(٨٠) .

لم يستمر الخلاف مع مصر طويلا . فلم يكن أي من
الطرفين راغبا في قطيعة دائمة . ولا كانت مصر قادرة في الحقيقة
على تحمل مثل هذه القطيعة . وقد مهد الانسحاب السوفييتي في
الحقيقة الطريق لاعادة إقامة علاقات عسكرية على أساس أكثر
استقرارا . وكان المصريون عندئذ أحرارا في البدء في التخطيط

الجدّي لحرب جديدة . وقال السادات فعلاً إن هذا التخطيط كان أحد الأسباب الرئيسة لاجراج السوفييت ^(٨١) . لكن كان لا بد له لشنّ الحرب من التأكد من إمدادات الأسلحة ، وكان هذا مطلباً يستطيع الاتحاد السوفييتي النظر فيه بثقة أكبر ، بعد أن أصبحوا غير متورطين مباشرة في مصر .

وبناء على ذلك زار عزيز صدقي ، رئيس الوزراء ، موسكو في تشرين الأول ١٩٧٢ ^(٨٢) . وشكّلت في كانون الأول لجنة عالية المستوى لاعادة النظر في موضوع العلاقات مع مصر برمته ^(٨٣) . وفي شباط ١٩٧٣ أعيدت أخيراً العلاقات خلال زيارة لموسكو قام بها حافظ اسماعيل ^(٨٤) ، مستشار الرئيس السادات للأمن القومي . وعندئذ بدأ الاتحاد السوفييتي بتقديم كميات كبيرة من الأسلحة . لكن المهم لم يكن كمية السلاح المرسل فقط بل تعقّده ونوعيته ، فلأول مرة بدأ الاتحاد السوفييتي يرسل كميات كبيرة من الأسلحة الاستراتيجية « الهجومية » ^(٨٥) . وكانت تتضمن عدداً اضافياً من قاذفات (TU 16) المسلحة بصواريخ كلت الجاهزة للاطلاق كما كانت تتضمن — وهذا هو الأهم — عدداً محدوداً من صواريخ سكود أرض — أرض . كان المصريون منذ مدة طويلة يطالبون بسلاح

« رادع » ضد الهجوم الجوي الاسرائيلي ، فزودهم السوفييت بصواريخ سكود بلغ عددها حوالي ٣٠ صاروخا ، وضعت تحت القيادة المصرية المباشرة على الرغم من بقاء صيانتها وتشغيلها جزئيا في أيدي السوفييت ^(٨٦) فكان هذا عاملا هاما في القرار المصري لشن الحرب . والاتحاد السوفيتي ، بالاضافة الى زيادته قدرة مصر على تهديد اسرائيل استراتيجيا ، زاد قدرتها على الهجوم التكتيكي . فشملت شحنات الأسلحة السوفيتية حوالي ٦٠٠ دبابة إضافية ، وأكثر من ٢٥٠ ناقلة جنود مصفحة ، وصواريخ ضد الدرع والطائرات ^(٨٧) . واستمر شحن الأسلحة إلى سورية أيضا على مستوى عال ، كما أُقيم خلال صيف ١٩٧٣ نظام دفاع جوي كامل كانت موسكو قد وعدت به الرئيس حافظ الأسد لدى زيارته موسكو في نيسان ، فأعطى هذا السوريين تغطية صاروخية لأجواء منطقة الجولان المحتلة من قبل اسرائيل ^(٨٨) .

هذا التغيير الكبير في سياسة إمدادات الأسلحة السوفيتية التي جاءت بعد سنوات من التدريب السوفيتي المكثف للقوات السورية والمصرية وبعد تجميد التهديد الجوي الاسرائيلي عن طريق إقامة أنظمة للدفاع الجوي في مصر هي أشد الأنظمة فعالية

وكثافة في العالم . هذا التغيير كان يعني أنه صار بالإمكان عندئذ القيام بهجوم عربي محدود^(٨١) . ومن الواضح ان الاتحاد السوفييتي كان قد قرر إما في أواخر ١٩٧٢ أو في أوائل ١٩٧٣ أن مخاطر تسهيل القيام بهجوم كهذا أقل من الخسائر التي كان يعانيها باعتباره مقصرا في دعم العرب لتحقيق هدفهم الأول — وهو الثأر لهزيمة ١٩٦٧ . لكن يظل من غير الواضح إن كان صانعو القرار السوفييت يتوقعون قيام حرب ، ولكن كانوا يتوقعونها ، فلم يكن واضحا لديهم زمان وقوعها^(٨٢) . ومن المؤكد أن المصريين لم يقوموا بأية محاولة لكي يخفوا اعتقادهم بأنه صار من المستحسن القيام بحملة جديدة من العداء ضد اسرائيل ، وهذا أمر يقال إن اسماعيل قد أكدته خلال زيارته لموسكو في شباط ١٩٧٣ ، ويبدو من السجلات المنشورة أن السوفييت إذا لم يوافقوا على خطط المصريين من أجل الهجوم فانهم لم يقولوا خلال ١٩٧٣ ما قد يُفهم خطأ على أنه شجب لخطط الرئيس السادات^(٨٣) . برغم ذلك ، قال الرئيس السادات فيما بعد ان الاتحاد السوفييتي ظل يلح على وجوب عدم التفكير بعمل عسكري . وهناك ادلة اخرى على أن الاتحاد السوفييتي حاول أن يلزم المصريين بضبط النفس^(٨٤) .

مهما كان الأمر ، كانت المبادرة العسكرية عندئذ بأيدي العرب . وأبلغ الاتحاد السوفيتي في بداية تشرين اول ١٩٧٣ رسمياً بأن الهجوم العربي وشيك الوقوع ^(١٣) . ولم يكن لديه إذ ذاك بديل سوى دعم أصدقائه ، على الرغم من أن الرد السوفيتي كان متردداً في البداية ، فخرجت أول سفينة لشحن الأمدادات من أوديسا في ٧ تشرين الأول ^(١٤) . وفي العاشر أو حوالي العاشر منه بدأت الامدادات ترد عن طريق الجو ، وكانت تبدو في أول الأمر مقتصرة على المواد غير الحربية مثل المعدات الطبية ، ثم أخذت الأمدادات تتسارع في ١٢ تشرين الاول حين صارت القوات السورية تحت ضغط شديد . وتم نقل ١٥ ألف طن من المعدات في ٩٣٠ مهمة امتدت خلال فترة ٤٠ يوماً ^(١٥) ، كما وردت معدات أكثر من ذلك عن طريق البحر ، إذ بلغت ٨٠ ألف طن بناء على أحد التقارير ^(١٦) . ولم تكن أية واحدة من هاتين العمليتين خالية من المخاطر . لأن الاسرائيليين كانوا يهاجمون الموانئ والمطارات التي تستخدمها السفن والطائرات السوفيتية ، وبينما كانت المقاتلات الاسرائيلية تحاذر مهاجمة السفن كانت الطائرات ذاتها تطير بمحاذاة وسائل النقل السوفيتية كمن يريد الهبوط ^(١٧) . وقد أصيبت سفينة وطائرة نتيجة للقذف .

واضطرت طائرات اخرى الى الابتعاد لعدم قدرتها على الهبوط في مدارج المطارات المعطلة^(١٨) . وكرّد على هذا رسا الأسطول السوفييتي عند ميناء اللاذقية ، وأنشئت مواقع صواريخ سام تحت إشراف وتشغيل السوفييت فقط في اللاذقية ودمشق بحجة حماية عملية الأمدادات^(١٩) . وكان لهذا الوجود أثره ، لأنه صدرت أوامر للأسطول الاسرائيلي بعد ذلك بتجنب مهاجمة اللاذقية وطرطوس^(٢٠) .

وقام الموظفون السوفييت في أماكن أخرى من سورية بدور أقل بروزا . فكانوا يشرفون على إطلاق النار من صواريخ سام التي كان يديرها جنود سوريون^(٢١) . وكان الخبراء السوفييت موجودين في المراكز القيادية السورية على جميع المستويات ، من الكتيبة فصاعداً حتى دوائر الأركان العليا . كما بقوا مع القوات البرية السورية في منطقة المعركة^(٢٢) . وكان يُحتفظ على سبيل الاحتياط بعناصر من لواء للدفاع المحتمل عن دمشق^(٢٣) . كما أن طيارين من كوريا الشمالية كانوا يقومون بمهام قتالية في كل من سورية ومصر^(٢٤) . وكانت القوات السوفيتية تعمل في مصر ، وقيل تنفيذ قرار وقف إطلاق النار في ٢٢ تشرين الأول ، أطلقت هذه القوات صاروخ سكود على القوات الاسرائيلية عند

القناة (١٠٥) . وهناك أدلة على أن الاتحاد السوفيتي حاول عن عمد أن يترك انطباعاً بأن رؤوساً نووية لهذه الصواريخ قد أرسلت الى مصر (١٠٦) .

أما دبلوماسية التهديد السوفيتية فكانت تعتمد بالدرجة الأولى على أسطول البحر الأبيض المتوسط وعلى استنفار الفرق المحمولة . فجرى تعزيز الأسطول حتى بلغ حجمه ٩٦ سفينة تضم ٢٩ سفينة قتال على السطح و ٢٣ غواصة (١٠٧) . ونُشرت السفن في النقاط الحساسة في الأبيض المتوسط ، مضيق جبل طارق ، مضيق مسينا ، بحر إيجة ، وكذلك على مقربة من الأسطول السادس العامل في المنطقة غير المحدودة جنوبي كريت وقبرص (١٠٨) . ويبدو أن أنشطة الأسطول السوفيتي كانت إلى جانب ردع الأسطول السادس عن التحرك لدعم العمليات على السواحل ، تهدف إلى ترك انطباع لدى العرب وجعلهم يصدقون بإمكان تدخل الاتحاد السوفيتي باستخدام قواته المحمولة جواً (١٠٩) . ويبدو أن هذا الاحتمال الأخير قد سبب القلق لدى واشنطن معظم فترة الحرب (١١٠) . ففي الأيام القليلة الأولى ، عندما كان يبدو أن القوات العربية لا تزال هي المتفوقة ، وضعت ثلاث فرق سوفيتية محمولة في حالة تأهب ، وعندما طلب

السوريون العون من السوفييت عقب نجاح الهجوم الاسرائيلي المضاد على مرتفعات الجولان ، أبلغ السفير السوفيتي في واشنطن كيسنجر في ١١ تشرين اول ان القطعات المحمولة مستعدة للتحرك من أجل الدفاع عن دمشق . وقيل فيما بعد إن عددا من أركان فرقة سوفيتية كانوا قد وصلوا إلى دمشق (١١١) .

بدأت الحرب في ١٥ تشرين أول تدور في صالح اسرائيل ، وفي ١٦ منه ، يوم عبور القوات الاسرائيلية قناة السويس طار كوسينغن إلى القاهرة لاقتناع المصريين بقبول وقف إطلاق النار . وسارت الدبلوماسية السوفيتية اللاحقة على أساس من الاستعداد العسكري المتزايد . فزاد حجم أسطول الأبيض المتوسط في الفترة من ١٦ الى ٢٠ تشرين اول من ٢٢ الى ٢٩ سفينة حربية سطحية وأخذ عدد القطعات البرمائية المعدة للانزال البري يتجمع مقابل شواطئ مصر (١١٢) . ووصل ٣٠٠ عسكري سوفيتي الى مصر في محاولة لاعادة بناء نظام صواريخ سام الذي كان آخذا في التفكك . كما جرى عرض عدد من طائرات ميغ ٢٥ التابعة للقوات السوفيتية (١١٣) . ووصل إلى علم المخابرات الامريكية في ١٧ أو ١٨ تشرين الأول ما يشير الى أن الفرق السوفيتية المحمولة جواً وضعت في حالة تأهب ، وهي

علامة على أن حالة الاستعداد القائمة قد ازدادت شدة، أو أن حالة الاستنفار الأولي قد استعيدت إن كانت قد ألغيت — وهذا أمر ممكن — بعد الحدث السوري الذي وقع قبل ذلك (١١١) . وكان الاتحاد السوفييتي في الوقت ذاته يسعى إلى كسب تعاون الولايات المتحدة للوصول إلى وقف لأطلاق النار . فلدى عودة كوسيفن إلى موسكو ، دُعي الدكتور كيسنجر لاجراء مشاورات مستعجلة « قبل اتخاذ قرار لا رجوع عنه (١١٠) » وحذّر القادة السوفيت وزير الدولة الأمريكي للشؤون الخارجية في أول اجتماع لهم به من انهم لن يسمحوا بتكرار أحداث ١٩٦٧ (١١١) .

لم يكن من مصلحة الولايات المتحدة أيضا تكرار تلك الأحداث . فعُقدت اتفاقية بين الدولتين العظميين لوقف اطلاق النار ، ووجدت كل منهما نفسها عندئذ إزاء مشكلة فرض هذه الاتفاقية على الطرف الممانع من جهةها . كان المصريون قد قبلوا بوقف اطلاق النار ، لكن السوريين كانوا يخططون لهجوم مضاد في ٢٣ تشرين الأول ، وللحصول على موافقة سورية قيل إن السفير السوفييتي أمر باخرة شحن بالابتعاد عن ميناء اللاذقية قبل أن تفرغ حمولتها كما أمر بايقاف جميع الامدادات الجوية ما عدا الأسلحة الخفيفة والذخيرة . ويقال أيضا إنه هُدد بترحيل التقنيين

السوفييت الذين كانوا يساعدون في إصلاح صواريخ سام وإعادة استخدامها^(١١٧) . ووافق السوريون لكن الأمريكيين عجزوا عن اقناع الاسرائيليين بالتمسك بوقف إطلاق النار ، وظهر التهديد المتمثل بتطويق الجيش الثالث المصري إثر فسخ نُصب له على الضفة الشرقية للقناة أمراً لا يمكن السكوت عليه من جانب الاتحاد السوفيتي . وكان كوسيجن قد قدّم لمصر تعهداً بأن اتفاقية وقف إطلاق النار سوف تكفلها كل من الدولتين العظميين ، أو الاتحاد السوفيتي وحده إذا لزم الأمر^(١١٨) وبناء على ذلك عمد الاتحاد السوفيتي في ٢٤ تشرين الأول إلى ممارسة شكل من دبلوماسية التهديد أكثر جدية من أي تهديد آخر استخدم في الحرب ، وكانت الاستخبارات الأمريكية قد لاحظت ، بالإضافة الى ازدياد الاستعدادات العسكرية بين ١٦ و ٢٠ تشرين الأول ، أن عدد الفرق المحمولة جوا المستنفرة زادت الى ٦ فرق^(١١٩) . وأنه تم إقامة معسكر للفرق المحمولة جوا في جنوبي الاتحاد السوفيتي^(١٢٠) . وكان يعتقد أن الهبوط المفاجيء في نقل الامدادات الجوية السوفيتية ربما كان الغرض منه توفير الطائرات لشحن الجنود . وعبر السوفييت عن مطالبهم بصورة واضحة في مذكرة من بريجنيف الى نيكسون . طالب بريجنيف

بعمل سوفيتي أمريكي^(١١١) مشترك لفرض وقف إطلاق النار ،
مضيفا :

«أريد أن أقول صراحة إنه إذا وجدتم من المستحيل
عليكم العمل معنا في هذه القضية ، فسوف نرى أنفسنا إزاء
ضرورة التفكير على وجه السرعة في مسألة اتخاذ الخطوات
المناسبة من طرف واحد . لا يمكن السماح لإسرائيل بارتكاب
اغتالقات والنجاة بنفسها»^(١١٢) .

جرى ابلاغ الانذار بشكل مأساوي إلى القدس بطريق
واشنطن ، وأمكن إنقاذ الجيش الثالث بضغط شديد من جانب
أمريكا والاتحاد السوفيتي كما أمكن تجنب هزيمة عربية كبيرة .
بهذه الصورة يمكن القول إن حرب تشرين تمثل إسهماً هاماً من
جانب الاتحاد السوفيتي بتعديلها هزيمة العرب في ١٩٦٧ . ففي
السنوات التي سبقت الحرب ، ولا سيما في الأشهر التي سبقت
تشرين الأول ١٩٧٣ قدم الاتحاد السوفيتي الأمدادات العسكرية
اللازمة لهجوم عربي . وفي خلال الحرب قام بعملية طوارئ
للإمدادات ، لولاها لما كان في مقدور مصر مواصلة الحرب أكثر
من خمسة أيام ، حسب التقديرات ، ولما كان في مقدور سورية

مواصلة الحرب ولو لمدة خمسة أيام^(١١٣) . وبادر الاتحاد السوفييتي ، حالما بدأت الحرب تدور ضد مصلحة اصدقائه ، إلى البحث عن اتفاق لوقف إطلاق النار عن طريق الولايات المتحدة ، وهي عملية دبلوماسية دَعَمَهَا بدبلوماسية التهديد . وأخيرا ، عندما فشل المسعى لوقف إطلاق النار ، عَمَدَ إلى أعظم تهديد باستخدام القوات العسكرية قام به إطلاقا وذلك في سبيل انقاذ الجيش الثالث المصري ، وظل خلال الأسابيع القليلة التالية يضمن ، بوساطة نقل المعدات ونشر القوات للتهديد ، أن إسرائيل لن تعتمد إلى أي عمل آخر ضد اصدقاء السوفييت^(١١٤) .

ولعل من أهم نتائج حرب تشرين ، من وجهة النظر السوفييتية ، هي التحسن الملحوظ في المناخ اللازم لتسوية سلمية . لكن السوفييت لم يكونوا راغبين في تسوية تقوم الولايات المتحدة وحدها بالتفاوض من أجلها ، ولا كان في وسعهم الترحيب بالتقارب السريع المصري الأمريكي الذي رافق مبادرة الدكتور كيسنجر السلمية الجديدة^(١١٥) . لأن السوفييت اخفقوا في تعويض خسائرهم السياسية في مصر على الرغم من تخفيض قيودهم السابقة على شحن الأسلحة ومن الدعم العسكري

الكبير الذي قدموه لمصر خلال الحرب . وكان الرد السوفيتي على هذا الوضع تخفيض تسليم شحنات الأسلحة ورفض تحديد آجال جديدة لتسديد الديون المصرية التي كان القسم الأعظم منها قد تراكم بسبب اتفاقات تسليح سابقة^(١١٦) . فأخذ المصريون بدورهم يسعون الى تنويع مصادر تسليحهم ، وبدأوا لأول مرة ، خلال سنة تقريبا ، بشراء معدات عسكرية من الغرب . وبلغ تدهور العلاقات المصرية السوفيتية مرحلة أبعد في آذار ١٩٧٦ عندما ألغى السادات من طرف واحد معاهدة الصداقة والتعاون . لكن ، كما حدث في ١٩٧٢ ، لم يكن أي من الطرفين يريد ، ولا كان في وسعه أن يتحمل قطيعة كاملة . فظل المصريون متنبهين جدا الى أنهم يعتمدون على الاتحاد السوفيتي في مسألة قطع الخيار كما يعتمدون عليه أيضا في إعادة تسليحهم في حالة حرب جديدة . وكانوا يدركون أيضا أن أية محاولة لاعادة تجهيز قواتهم بمعدات غربية كاملة ستكون صعبة من الناحية السياسية ومضیعة للقوت بصورة خطيرة^(١١٧) . لكن في الوقت ذاته قد تكون بالتدريج إرث كبير من عدم الثقة وربما من النفور أيضا بين البلدين . وبدا كأن الأيام التي كان يقال فيها أن الطريق إلى أي مكان في مصر يمر بموسكو ، وأن السفير

السوفييتي كان يلبس فيها لباس المفوضين السابقين ، قد ولت بلا رجعة (١٢٨) .

كان التأثير المباشر لهذا التدهور في العلاقات المصرية السوفييتية ، كما حدث من قبل بعد تموز ١٩٧٢ ، حصول مزيد من التقارب العسكري السوفييتي السوري ، وكان السوريون ، على الرغم من معارضتهم مؤتمر جنيف للسلام بعد الحرب . يخافون من إمكان الوصول إلى تسوية مصرية إسرائيلية منفصلة . لذلك بعد توقيع أول اتفاقية فك ارتباط إسرائيلية مصرية في كانون الثاني ١٩٧٤ شنوا حرب استنزاف محدودة على مرتفعات الجولان . وكان هدفهم في الأساس سياسيا . كانوا يسعون إلى منع خطوط وقف إطلاق النار من التجمّد ، كما فعلوا بعد حرب الأيام الستة ، وإلى ضمان اشتراك الدولتين العظميين في عملية لأحلال السلام بين إسرائيل وسورية بالابقاء على خطر نشوب حرب جديدة ماثلا في الشرق الأوسط .

هذا الصراع المحدود ، الذي استمر حتى التوقيع على معاهدة فك الارتباط الاسرائيلية السورية في نهاية ١٩٧٤ ، كان يلقي الدعم وربما التشجيع أيضا من جانب الاتحاد السوفييتي على الرغم مما كان فيه من أخطار . فقد أشار البلاغ الذي صدر

عقب زيارة غروميكو دمشق في أوائل آذار ١٩٧٤ إلى نعين
العسكري السوفييتي لسورية ، وطالب بتحديد جدول زمني
لانسحاب إسرائيل من المناطق المحتلة . وهدد بنوع خاص
باندلاع الحرب من جديد « الذي يمكن أن يهدد الأمن والسلام
في الشرق الأوسط وفي العالم كله » ما لم يُستجب للمطالب
العربية . وبعد أيام قليلة من سفر غروميكو بدأ السوريون
يصعدون نشاطهم العسكري^(١٢٩) . وزار الرئيس الأسد الاتحاد
السوفييتي في نيسان ١٩٧٤ ، حيث يبدو أنه تلقى وعداً
بتزويده بامدادات إضافية من السلاح ، وربما حصل أيضاً على
تأكيدات أكثر تحديداً بتقديم دعم عسكري لسورية إذا ما
تعرضت للهزيمة^(١٣٠) . ومهما كان الاتفاق الذي تمّ التوصل
اليه فقد كان دور نقل الامدادات العسكرية السوفييتية في تسهيل
العمل السوري واضحاً جداً من استخدام السوريين أحدث قطع
المدفعية ، ودبابات T 62 وصفاً يلفت النظر من صواريخ سام
منشوراً حول جبل حرمون (جبل الشيخ) حيث كان يدور
جانب كبير من القتال . ويقال إن الجنود السوفييت كان يعززون
خطوط الدفاع من الجبهة إلى دمشق ، ويقومون بتشغيل جزء من
نظام صواريخ سام حول العاصمة^(١٣١) .

ولعل هذا الدعم قد شجع السوريين لكي يظلوا حلال
مفاوضات كيسنجر بشأن اتفاقية فك الارتباط على صلة وثيقة
بموسكو أكثر من المصريين . لكن قيمة هذا الدعم على المدى
الطويل أكثر عرضة للشك . فقد ظلت شحنات الاسلحة ،
التي جاء جزء منها على الأقل نتيجة الاتفاق الذي تم التوقيع عليه
في أثناء حرب الاستنزاف السورية ، تتدفق بالشدة ذاتها طول
شطر كبير من تلك السنة ، وأسهم هذا التمر في التسليح في
خلق عدة أزمات على الحدود السورية الاسرائيلية . وفي تشرين
الثاني ١٩٧٤ قام الأسطول السوفييتي بزيارة اللاذقية رداً على تعبئة
جزئية من جانب إسرائيل . ويقال إن الرسميين السوريين اعتبروا
هذه الزيارة دليلاً على وفاء السوفييت بالعهد الذي قطعوه في
نيسان الأسبق (١٣٢) . لكن بدأت تظهر في سورية ، كما في
مصر ، دلائل على الرغبة في الابتعاد عن الاعتماد على الاتحاد
السوفييتي وحده . ولعل بعض السبب لهذه الرغبة هو الخلافات
التي نشأت خلال ١٩٧٦ بشأن التدخل السوري في لبنان .
يرجع السبب المباشر لهذا التدهور في العلاقات السوفييتية
مع مصر وسورية الى تفوق واشنطن على موسكو سياسياً . فقد
فعل الاتحاد السوفييتي بلا ريب الشيء الكثير لتسهيل أحداث

تشرين اول ١٩٧٣ لكن الكسب السياسي الذي نتج عن الانسحاب الاسرائيلي يعود إلى وزير الخارجية الأمريكي الذي قاد مفاوضات فك الارتباط الصعبة جدا . ولم يكن هذا فقط بسبب الأسلوب الجذاب للدكتور كيسنجر أو دبلوماسيته المقنعة ، ولا لأن الأمريكيين ، في عام ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ، كما في عام ١٩٥٧ ، هم ، الذين حققوا الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة . لكن اخفاق السوفييت في قطع حصتهم السياسية من سياستهم العسكرية السابقة ربما يعود أكثر إلى الظروف التي نشأت من هزيمة العرب في ١٩٦٧ ، الهزيمة التي كان السوفييت مسؤولين عنها إلى حد غير قليل . وقد جاءت مرحلة في أواخر الستينات بدأ فيها كأن موسكو ربما تكون قادرة على قلب هذه الهزيمة لمصلحتها وذلك بالقيام بتغلغل سياسي بدرجة كبيرة في كل من مصر وسورية وبلورة الصراع العربي الاسرائيلي . لكن سياسة نقل الامدادات العسكرية ، حتى عندما كانت مصحوبة بوجود حربي سوفييتي في مصر ، أثبتت أنها غير ملائمة لتحقيق انسحاب اسرائيلي . لأن التورط السوفييتي بحد ذاته لم يكن ليشجع الأمريكيين على ممارسة ضغط حقيقي على القدس : كان على العكس ، يشجع على توثيق العلاقة بين أمريكا واسرائيل .

ومعنى هذا ان مفعول شحنات الأسلحة السوفيتية الى مصر وسورية كان يُبطل بشحنات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل ، لأن الأمريكيين كانوا يسعون إلى الحفاظ على «توازن» وكان السوفييت في الحقيقة يعانون من التورط بصورة وثيقة جدا في الصراع من دون أن يلتزموا به التزاما عميقا بدرجة كافية . وقد أغضب المصريين الوجود العسكري السوفيتي الشامل في مصر ولا سيما عدم تحمس هيئة الخبراء السوفييت وتلك العناصر من العسكريين السوفييت الذين كانوا يضغطون لتوسيع المرافق العسكرية الروسية في البلاد ، مثلما أغضبهم امتناع السوفييت عن تقديم الأمدادات التي كانوا يعتبرونها ضرورية لهم لاستئناف القتال .

من الواضح إذن أن صفحة الحساب السياسي كما ظهرت بعد مضي ما يقرب من عشرين عاما على إنشاء العلاقات العسكرية المصرية السوفيتية ، كانت تشير إلى حساب مدين بقدر كبير . ولا يبرز في هذه القائمة إلا مناسبتان كبيرتان حصل فيهما الاتحاد السوفيتي على حصة سياسية هامة نتيجة سياسته العسكرية . كانت أولاهما في أواسط الخمسينات حين ادت صفقات السلاح الأولى الى تعزيز التيار القومي المعادي

للغرب في الوطن العربي ، وإلى إغضاب صانعي السياسة الغربيين إلى حدّ كبير ، وكانت المناسبة الثانية في أثناء حرب الأيام الستة حين أدى شحن الامدادات العسكرية على نطاق واسع إلى القوات العربية المهزومة إلى الحصول على مرافق عسكرية في مصر ، وربما في سورية أيضا . وعلى الرغم من ذلك ، ولعل هذه هي النقطة الأهم ، أتاح مزيج من نقل الأمدادات العسكرية ودبلوماسية التهديد واستخدام حتى القوات في القتال ، للاتحاد السوفيتي أن يصبح ممثلاً بارزاً في الصراع الكبير في المنطقة ، مما منحه وضع دولة عظمى شرق أوسطية بلا جدال . يضاف إلى ذلك أن السوفييت مهما كان الضرر السياسي الناشئ عن الأخطاء في أعمالهم العسكرية ، عملوا الشيء الكثير لأصدقائهم . فقد حرصوا في أعوام ١٩٦٧ و ١٩٧٠ و ١٩٧٣ على ألا تلحق بالعرب هزيمة كاسحة ، وعلى بقاء المراكز الحيوية والأنظمة الموالية للسوفييت ، على الرغم من أن الولايات المتحدة كانت تساعدهم في الواقع حين كانت تؤيد جانبا من دبلوماسية التهديد السوفيتية ضد القدس . كما أن موسكو ، على الرغم من عدم نجاحها في قلب الهزيمة العربية إلى نصر ، ساعدت فعلاً في منع النصر الاسرائيلي من أن يشتد

ويصبح واقعا منتهياً . وتمثلت أبرز عمليات هذا الجهد في صيف ١٩٦٧ باستئناف الامدادات للقوات العربية بعد حرب الأيام الستة ، ثم في ١٩٧٣ بتقديم الأعتدة الهجومية قبل حرب تشرين وفي أثنائها . لكن يجب ألا نغفل عن الدور الذي لعبته على المدى البعيد الشحنات الأخرى من السلاح ، والتدريب ، ونظام الدفاع الجوي الفعال الذي قدّم غطاءً للهجوم المصري عبر القناة بعد ثلاث سنوات .

الحواشي

- ١ — جون د . غلاسمان ، أسلحة للعرب ، ص ٢١ .
- ٢ — موشي دايان ، قصة حياتي ، ص ص ١٦٠ ، ١٦٣ .
- ٣ — كان قد جرى اقتراح إمكان إرسال (متطوعة) في مرحلة أبكر جدا في الأزمة أثناء محادثة بين خروتشف والسفير الفرنسي في موسكو . وبناء على أحد المصادر تلقى الاسرائيليون تقارير تفيد أن الاستعداد يجري لأرسال (متطوعة) . شارلز يوهان ، شهادة للتاريخ ، ص ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، مايكل بار — زوهار ، النبي المسلح ، ص ٢٤٧ .
- ٤ — استشار الاسرائيليون الفرنسيين بشأن التهديد السوفييتي لكن بينما كان الفرنسيون يعرضون على اسرائيل كل مواردهم أشاروا إلى أنه حتى لو اجتمعت لإسرائيل وفرنسا فلن يكون بوسعهما مقاومة التدخل السوفييتي . ويعزز ابيان قرار اسرائيل بالانسحاب من سيناء الى الضغط الأمريكي والسوفييتي . بار — زوهار ، المصدر السابق . ص ٢٤٧ ، شيمون

- بييرز ، مقلع داود ، ص ٢٢١ ، آبا إيان ، شعبي ، ص ٢٠٨ ، أنظر أيضا الفصل ٨ .
- ٥ — ب . ج . فايتكيوتس (الاتحاد السوفيتي ومصر : سنوات ناصر) في ايفوج ، ليديررو واين . س . فوسينيش (الناشر) الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط : عهد ما بعد الحرب العالمية الثانية . ص ١٢٦ .
- ٦ — SIPRI ، تجارة السلام مع العالم الثالث . ص ٥٢٢ .
- ٧ — غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .
- ٨ — المصدر ذاته . ص ٣٧
- ٩ — المصدر ذاته ص ص ٥٠ ، ٥١
- ١٠ — ر . د . مكلورين ، الشرق الأوسط في السياسة السوفيتية . ص ٦٥ .
- ١١ — ناداف سافران ، من حرب إلى حرب ، ص ٢٧٦ .
- ١٢ — شيمون بييرز ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .
- ١٣ — لم تكن المسألة مسألة الأمن السوري فقط بل مسألة السمعة السوفيتية أيضا . (إن الخسائر المهيئة التي أوقعتها إسرائيل بالقوة الجوية السورية التي كانت مجهزة بأحدث المطاردات السوفيتية ، استقبلت بغضب شديد في موسكو باعتبارها في الحقيقة إساءة مباشرة إلى الاتحاد السوفيتي) غلاسمان ،

المصدر السابق، ص ٣٨ .

١٤ —

بناء على أحد التقارير أبلغ الاتحاد السوفيتي مصر خطة طوارئ إسرائيلية للهجوم على سورية لكن من دون أن يبين أن هذه الخطة كانت للطوارئ . ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يقدم فيها الاتحاد السوفيتي عن عمد معلومات خاطئة إلى مصر مفادها احتمال وقوع هجوم إسرائيلي على سورية . فقد قُدمت معلومات مماثلة في شباط ١٩٦٠ ، وعدداً من المرات خلال السنة السابقة . صافران ، المصدر السابق، ص ص ٨ / ٢٧٧ ، ويغال آلون (التورط السوفيتي في الصراع العربي الاسرائيلي) في مايكل كونغينو وشيمون شامير (الناشر) ، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية في الشرق الأوسط ، ص ١٥١ ، للاطلاع على الملاحظات المصرية انظر ونستون برديت لقاء مع الشرق الأوسط ، ص ٢٠٠ .

١٥ —

دايان ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ . انظر أيضاً لندن بينز جونسن ، نقطة الضيق ، ص ٢٨٩ .

١٦ —

والترلاكور ، الطريق الى الحرب ، ص ١٦٣ .

١٧ —

روبرت ستيفنس ، ناصر ص ٤٨٤ ، وبرديت المصدر السابق ص ٣٠٧ . وفي حادثة أخرى التقط الاسرائيليون أو تصبثوا

إلى أمر صادر من القيادة المصرية فسروه بأن المصريين سوف يهاجمون في ٢٧ أيار . وقد أرسلت هذه المعلومة إلى واشنطن ومنها إلى موسكو . وبناء على ذلك أرسلت تعليمات إلى السفير السوفييتي في القاهرة لإيقاظ ناصر في الليل لأبلاغه رسالة من كومسينغ تحث المصريين على ضبط النفس . صافران ، المصدر السابق . ص ص ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ . سر انطوني ناتينغ ، ناصر ، ص ٤٠٧ .

١٨ — . زيف شيف ، تاريخ الجيش الإسرائيلي ، ص ١٥٩ .

١٩ — برديت ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .

٢٠ — — ورد ذكره في غلاسمان ، المصدر السابق ص ٥٨ ، بناء على تقرير صحفي لاحق ورد نبأ من الاستخبارات يفيد أن من الممكن القيام بعملية نقل جوي من بلغاريا . وهذه الأزمة كان قد سبقها في ٩ حزيران سلسلة من عبارات التهديد من قبل أقطار أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي . وفي الأمم المتحدة بدأ الدبلوماسيون من أوروبا الشرقية يلمجون إلى إمكان إرسال (متطوعة) إلى الأقطار العربية . نيوبورك تايمز ، ١٦ تموز ١٩٧٢ ، وغلاسمان ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦ / ٥٧ .

٢١ — جونسون ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢ . لكن إمكان القيام

بعملية كهذه مشكوك فيه من الناحية العملية . قيل إن رئيس هيئة الأركان المشتركة قال : « ليس هناك ما نخشاه من العمل السوفيتي . فليس لدى السوفييت وحدات متقلة كبيرة لوضعها للعمل فوراً في حرب الشرق الأوسط » انظر أيضا جوناثان ترنبل هاوي ، أزمات متعددة ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ . يرى هاوي أيضا ان الاتحاد السوفيتي لو تدخل فعلا فلعله كان سيكتفي بعرض للقوة وراء خطوط المعركة .

أحدث قرار مهاجمة سورية كثيراً من الجدل بين صانعي القرار الاسرائيلي بسبب صلة سورية الوثيقة بالاتحاد السوفيتي . انظر أيضا الفصل الثامن .

— ٢٢

— ٢٣ — انظر الفصل التاسع .

ليس من الواضح السبب الذي دفع الاتحاد السوفيتي إلى عدم إمداد الحارثين العرب بأية إمدادات كبيرة في أثناء الحرب . لعل بعض السبب هو تجنب مواجهة ممكنة مع الأمريكيين ، لكن هناك عامل آخر وهو الصعوبات العظمى لتنظيم عملية إمدادات واسعة في زمن قصير . غلامان ، المصدر السابق ، ص ٥٢ — ٥٣ .

— ٢٤

يقال إن مصر قد خسرت ٨٠ بالمائة من أسلحتها ومعداتنا العسكرية أ . ي . يودفات ، (الأسلحة والنفوذ في مصر : سجل المساعدات العسكرية السوفيتية منذ حزيران

— ٢٥

١٩٦٧). الشرق الأوسط الجديد ، تموز ١٩٦٩ ، ص ٢٧ .

٢٦ — انظر الفصل العاشر .

٢٧ — تختلف التقارير ، لكن يبدو أن الامداد على نطاق واسع لم يبدأ إلا في ٢٤ حزيران ، بعد ثلاثة أيام من وصول بعثة عسكرية سوفيتية إلى مصر ، غلاسمان المصدر السابق ، ص ٥٣ .

٢٨ — جورج لنزوسكي ، النجاحات السوفيتية في الشرق الأوسط ، ص ١٥٠ .

٢٩ — لورنس ويتن ، حرب القناة ، ص ٥٩ .

٣٠ — يشير ويتن إلى القرار الخاص باعادة تسليح العرب بعد حرب الأيام الستة (كواحد من أكثر أعمال القوتين العظميين حسماً منذ الحرب العالمية الثانية) المصدر السابق .

٣١ — يصف محمد هيكل وجود زانخاروف في مصر بأنه تنازل كبير من جانب الاتحاد السوفيتي . الطريق إلى رمضان ، ص ٥٠ .

٣٢ — روبرت باجاك (الأسلحة السوفيتية ومصر) ، البقاء ، تموز — آب ١٩٧٥ . ص ص ١٦٦ — ١٦٧ .

٣٣ — يودفات ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

٣٤ — باجاك ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

٣٥ — روبرت باجاك (العون العسكري السوفيتي للعراق وسورية)
المجلة الاستراتيجية ، شتاء ١٩٧٦ ، ص ٥٥ .

٣٦ — جيمس كييل ، دبلوماسية السفن المدفعية . ص ١٤٦ .

٣٧ — قيل إنه خلال صيف ١٩٦٩ لفت الاتحاد السوفيتي انتباه

الحكومة الاسرائيلية إلى وجود سفن حربية سوفيتية بصورة

دائمة في ميناء بور سعيد ، وإلى الخطر الذي تتعرض له

بسبب نشاط إسرائيل العسكري في المنطقة . وبعد ١٩٧٠

صارت الزيارات السوفيتية لبورسعيد أقصر . ومن بين السفن

التي بقيت بصورة دائمة في بور سعيد سفن الألغام التي كان

الغرض منها زرع الألغام في قناة السويس اذا حاول

الاسرائيليون عبورها . دافيد فيتال ، بقاء الدول الصغيرة ،

ص ٧٩ والكريستيان سايلنس هوليتور ، ٢٥ ايلول

. ١٩٧٢

٣٨ — سجل الشرق الأوسط ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦ ، ١٩٦٨ ص

. ٢٧

٣٩ — حاييم هرتزوغ ، حرب المصالحة ، ص ١٥ ، ١٦ .

٤٠ — المصدر ذاته .

٤١ — يودفات ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

٤٢ — المصدر ذاته ، ص ٣٢ .

٤٣ — فريق الساندي تاييز لتقصي الحقائق ، حرب يوم الغفران ، ص ٢٩ .

٤٤ — ويتن ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

٤٥ — هذه الرواية للأحداث هي الرواية التي يقدمها أورى راعنان في (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والشرق الأوسط : بعض الأفكار حول عملية صناعة القرار السوفيتية) ، في مايكل مكواير ، كن بوث ، وجون مكدونل ، سياسة السوفييت البحرية : أهدافها وقبولها . إن رواية راعنان ليس فيها حواشي رغم أنها مفصلة جدا ، لكن يظهر أنها متفقة مع المجموعة الكبيرة من الأدلة التي جمعتها الاستخبارات الإسرائيلية وأشار إليها بيغال آلون في كونفينو وشامير ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ . وهي تختلف بشكل ملحوظ عن رواية هيكل في التطويق إلى وسطان ، التي تذهب إلى أن الاتحاد السوفيتي رفض في البداية طلب ناصر . انظر ص ص ٨٣ — ٨٨ . غير أن المسألة موضع الخلاف هي مسألة التوقيت أما الروايات فليس من المستحيل التوفيق بينها .

٤٦ — راعنان ، المصدر السابق ، ص ١٩١ — ١٩٢ . يقول راعنان إن الخطوة ورد ذكرها في اجتماع لحلف وارسو في تشرين الثاني ١٩٦٩ ونجى التفكير في إحدى المراحل

بادخال كـتـائـب رـمـزـيـة مـن أـورـبـا الشـرقـيـة فـي القـوة السـوفـيـتـيـة .

٤٧ — المـصـدر ذـاتـه ، ص ١٩٤ / ١٩٨ . أنـظـر إـيـلـانـا

دـيـمـانـت — كـاس (العـسـكـريـة السـوفـيـتـيـة والسياسية في الشرق

الأوسط ١٩٧٠/١٩٧٣ : الدراسـات ، تـشـريـن الأول

١٩٧٤ ، ص ٥٠٩ .

٤٨ — راعـنـان ، المـصـدر السـابـق ، ودـيـمـانـت كـاس ، المـصـدر السـابـق ،

ص ٥١٣ .

٤٩ — مارفن وبرنار كالب ، كـيـسـتـجـر ، ص ١٩٢ .

٥٠ — روى عن الجنرال بيليد قوله إن هذه كانت المناطق المركزية

للنشاط السوفيتي في مصر ، ولم يعمد الاسرائيليون إلى قذفها

إطلاقا ، وأراد ضمنا أن يقول إنهم لم يريدوا إطلاقا قذفها .

نيويورك تايمز : ٣٠ آذار ١٩٧٠ .

٥١ — انظر هيكل ، المـصـدر السـابـق . ص ٨٦ .

٥٢ — التايمز ، ٧ أيار ١٩٧٠ .

٥٣ — هيكل ، المـصـدر السـابـق ص ٩٠ .

٥٤ — التـرـنـاشـال هـرـالـد تريـبون : ٢٣ حـزـيران ١٩٧٠ ، للاطلاع

على أدلة أخرى على التقييد السوفيتية انظر ديمانت كاس ،

المـصـدر السـابـق ، ص ٥٩١٠ . نيويورك تايمز ٥ سبـآب

١٩٧٠ .

٥٥ — دون هورو ويتز (المفهوم الإسرائيلي للأمن القومي) والمكثانات

السلام في الشرق الأوسط) ، في غابرييل شيفر (الناشر) ،
ديناميكية الصراع ، ص ٢٣٩ .

٥٦ — ويتن ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٨ / ١٠٩ .

٥٧ — المصدر ذاته .

٥٨ — كان الاسرائيليون يقومون أيضا بصورة دورية بسر المناطق
الدفاعية السوفيتية المفترضة في محاولة لقياس كفاية
السوفيت القتالية ومقاصدهم .

٥٩ — ويتن ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .

٦٠ — رُوي عن رئيس هيئة الاركان الجوية الاسرائيلية قوله (إذا كان
علينا أن نقاتل الروس فسوف نقاتلهم بلا ريب في البداية ،
لكن المشكلة هي في أنهم كثيرو العدد ونحن قليلون على
المدى الطويل) . الواشنطن بوست ، ١٠ آب ١٩٧٠ .

٦١ — هورو ويتن ، المصدر السابق ص ٢٥١ / ٢٥٢ ، شيف ،
المصدر السابق ، ص ٢٥١ ويتن ، ص ١٢٧ / ١٢٨ .

٦٢ — ويتن ، المصدر السابق .

٦٣ — مسح استراتيجي ١٩٧٠ ، ص ٤٧ .

٦٤ — باجاك (الاسلحة السوفيتية) مصر (البقاء . نوز — آب
١٩٧٥ ، ص ١٧٠ .

٦٥ — ويتن ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ / ١٩٣ .

٦٦ — يورد ويتن عبارة وردت في اليرافدا في ٢٨ شباط ١٩٧١

تتضمن شكوى من عدم التقدم نحو تسوية ، وتحذّر من أن
البديل عن التقدم سيكون تجدد القتال الذي يتطلب مساعدة
سوفييتية مستمرة . وهناك تفسير آخر قُدّم في ذلك الوقت
وهو أن العمل السوفييتي كان رداً على التلميحات المتكررة
بأن إسرائيل ، في حالة تجدد القتال ، سوف تردّ بضرب
الأهداف الواقعة في وادي النيل . ويتن ، المصدر السابق ،
ص ١٦٢ ، وليوبورك تايمز ، ١٨ نيسان ١٩٧١ .

٦٧ — البنود الدفاعية في المعاهدة مكتوبة بلغة غامضة ، لكن وسائل

الاعلام العربية ضخمتها وكذلك فعلت الهيئات العسكرية
السوفييتية . فصرحت النجمة الحمراء بأن المعاهدة تضغط
على الولايات المتحدة واسرائيل (لاجبارها على الامتنال للمطالب
المصرية بانسحاب جميع القوات الاسرائيلية من الأراضي
المحتلة) . ديمانت — كاس ، المصدر السابق ، ص ٥١٦ .

٦٨ — ضمت الشحنات في ١٩٧١ بعضاً من أحدث معدات الرقابة

والتوجيه الالكترونية السوفييتية . وكان أبرز ما فيها عدة أنواع من
أنظمة نقل الأشارات تربط قيادات أركان القوات الجوية بمرافق
الرادار ، والطائرات ، والمدافع المضادة للطائرات وأنظمة
الصواريخ . باجاك ، المصدر السابق ، ١٦٨ .

٦٩ — ويتن ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

٧٠ - خلال ١٩٦٨ كشف حاتم صادق ، صهر ناصر ، النقاب عن أن شحنات الأسلحة السوفيتية كانت مشروطة بتأكيدات من مصر بأنها لن تغامر في صراع آخر مع إسرائيل حتي تستكمل قواتها استعداداتها . وبالاعتماد على ما يقوله الصينيون « كانت مبيعات الأسلحة السوفيتية تحمل أربع لاءات مربوطة بها : آ - لا يبيع للأسلحة الهجومية ، ب - لا يسمح باستعمال الأسلحة المبعة لاستعادة الأراضي المفقودة ، ج - لا تجهز بالذخيرة وقطع الغيار بالشكل المناسب د - لا تسلم للمشتري بعض الأسلحة المبعة (أي أن تشغيل الأسلحة المتقدمة يتم من قبل الموظفين السوفيت فقط) . مهمل إيست ريفيو ، ١٩٦٨ ، ص ٣٧ ، غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

٧١ - بناء على ما قاله السادات ، لم يستطع الاتحاد السوفيتي تعويض الذخيرة التي استهلكت خلال حرب الاستنزاف . محطاب في مجلس الشعب ، ١٤ آذار ١٩٧٦ . خلاصة الاذاعات العالمية ، الجزء ٤ ، الشرق الأوسط وأفريقيا (MBF-5160) .

٧٢ - هيكل ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ . يقول غلاسمان إن التخطيط التكتيكي بمساعدة من السوفيت لعمليات عبور القناة بدأ في الفترة التي تلت ١٩٧٠ . المصدر السابق . ص ١٠٩ .

٧٣ — بناء على السادات ، كان ناصر قد تلقى وعداً بتسليمه سلاحاً رادعاً لدى زيارته موسكو في كانون ثاني ١٩٧٠ . خلاصة الاذاعات العالمية ، المصدر السابق ، والادلة الأخرى توحي بأن الاتحاد السوفيتي خلال ١٩٧٠ زاد بدرجة كبيرة قدرات مصر على الهجوم التكتيكي . غلامان المصدر السابق ص ١٠٩ .

٧٤ — هيكل ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

٧٥ — هيكل المصدر السابق ، ص ص ١٧١ / ١٧٢ . في إحدى المراحل اقترح الروس ضرورة الاحتفاظ بمكتب في وزارة الدفاع المصرية لرئيس الخبراء السوفيت فقط بالإضافة إلى هيئة مؤلفة من حوالي ٨٠ موظفا للإشراف على مسائل التعاون في التدريب . رفض المصريون إذ رأوا في هذا محاولة للاحتفاظ ببعثة عسكرية تحت قناع آخر . المصدر ذاته ، ص ١٧٥ .

٧٦ — بوللوك ، صنع الحرب ، ص ص ١٨٥ / ١٨٢ .

٧٧ — انظر أودد إيران وجيروم سنغر : (الهجرة من مصر والتهديد لزعامة الكرملين) ، نيوميدل ايست ، تشرين الثاني ١٩٧٢ ، ص ٢٢ .

٧٨ — بناء على (النهار) كان بريجنيف قد أخبر صديقي في ١٣ تموز أن الاتحاد السوفيتي اقترح انسحاب الخبراء المستشارين في أربع مناسبات . اى . ف . ستوف (أين كان نكسن عندما رفض السادات الروس ؟) ، ٣١ آب ١٩٧٢ ، أنظر أيضا

راعنان ، المصدر السابق ، ص ص ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، وهيكل ،
المصدر السابق ، ص ١١٢ .

٧٩ — انظر روبرت فريدمان ، السياسة السوفيتية نحو الشرق
الأوسط منذ ١٩٧٠ . ص ص — ٩٣ / ٩٤ .

٨٠ — غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ٩٧ . زعم صديق للسادات
أن الخبراء السوفيت الذين كانوا في مصر نُقلوا إلى سورية .
(وافقت مصر على هذا الموقف السوري ، ودعمته في
الحقيقة ، لأن المصالح القومية كانت تتطلب الوجود المستمر
للخبراء السوفيت في المنطقة .) الأهرام ، ٣١ تشرين اول
١٩٧٥ ، ورد في أورى راعنان ، (« الصدع » المصري
السوفيتي) . كومانتييري ، يونيو ١٩٧٦ ، ص ص ٢ / ٣١ .

٨١ — روى عن السادات في روايات مختلفة قوله (طردت الروس
لأعطي نفسي حرية تامة للمناورة) و (كنت أريد التأكد من
أن أي أحد في المستقبل لن يدعي أن ما فعلناه كان من وحي
السوفيت .) فريق ساندی تايمز لتقصي الحقائق ، نظرة عميقة
إلى حرب الشرق الأوسط ، ص ص ٣٢ ، ٣٣ ومقابلة مع
نيوزويك ، ٢٥ آذار ١٩٧٤ .

٨٢ — وقد أعقب هذا استئناف إمدادات بقطع الغيار للقوة الجوية
المصرية ، وعودة بعض صواريخ سام ٦ التي سُحبت في يوليو ،
غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

٨٣ — ياكوف روي ، اتحاد الجمهورية الاشتراكية السوفيتية ومصر

عقب «قرار تموز» من قبل السادات. ص ٣٥ .

٨٤ — غلامان ، المصدر السابق ، ص ٩٨ — ١٠٠ .

٨٥ — كان للمستوى العالي لتعقيد المعدات تأثير كبير في المراحل

الأولى من الحرب . فبناء على جوفري كامب وروبرت

فالتزراف ، (كان الاتحاد السوفيتي قد وضع بين أيدي العرب

عدداً من أرقى معداته الحربية الالكترونية وقد أثار استعمالها

استغراب كل من اسرائيل والولايات المتحدة . فكان العرب في

البداية قادرين على التقاط المواصلات الاسرائيلية على مقياس لا

مثيل له من قبل ، وكانوا يحددون مواقع مراكز الرقابة والتوجيه

الأرضية والمحمولة جوا ويهاجمونها بسرعة كبيرة . وفي الوقت ذاته

كان العرب يستخدمون عدداً من التدابير المضادة التي

استطاعت ، في الساعات الأولى من الحرب ، أن تشوش

بصورة تامة تقريباً مواصلات الدبابات) ، (التقنيات الجديدة

والبيئة الجيوستراتيجية) في جوفري كامب ، روبرت فالتزراف

وأوري راعانان ، سباق التسلح الآخر ، ص ١٣٣ .

٨٦ — غلامان ، المصدر السابق ، ص ١١٣ . كان الاتحاد

السوفيتي من قبل قد جعل الأمداد بالسلح الرادع مشروطاً

ببقاء الأشراف على العمليات في أيدي الروس وهو شرط رفضه

المصريون . هيكل ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .

٨٧ — للاطلاع على تفاصيل شحنات الأسلحة انظر غلاسمان ،
المصدر السابق ، ص ص ١١٢ — ١١٥ وراعيانان ،
المصدر السابق ، ص ص ٣٣ ، ٣٤ . رغم هذا كان
المصريون في بداية الحرب تنقصهم قِطْع الغيار ، وبعض
انظمة الأسلحة التامة ، وتشكيلة واسعة من الذخيرة ،
ايليزابيت مونرو وأ . ه فاررار هوكلي ، الحرب العربية —
الاسرائيلية : تشرين اول ١٩٧٣ ، ص ٣٢ .

٨٨ — فريق الساندى تايمز لتقصي الحقائق ، حرب يوم الغفران ،
ص ٧٢ .

٨٩ — من أجل تقدير مناسب لتأثير التدريب السوفييتي في براعة
العرب العسكرية ، انظر دايان ، المصدر السابق ص ٤١٧ .

٩٠ — لا يوجد دليل واضح على هذا الموضوع . يرى أرنولد هوتنجر
أن الغرض الأولي لشحنات الأسلحة السوفييتية خلال عام
١٩٧٣ كان إعطاء وزن لألحاح مصر على الحاجة إلى تحرير
الأراضي المحتلة وأن الاتحاد السوفييتي فيما يبدو كان يتصور أن
يحدث هذا نتيجة لعملية دبلوماسية لا عسكرية . لكن غالباً
جولان تخلص إلى أن الروس ، ولو كانوا على وعي بصورة غير
مباشرة بالخطط العربية ، لم يكونوا طرفاً فيها ، وإلى أنه لم يكن
هناك تعاون أو تخطيط مباشر من أجل الحرب . وعلى عكس
هذا يزعم لورنس ويتن أن الروس قبلوا الخطط المصرية بشأن

حرب محدودة في أثناء زيارة إسماعيل إلى موسكو في شباط وأنه كان يجري إطلاع عدة موظفين سوفيت على تخطيط العرب للحرب . أرنولد هوتنجر ، (القوى العظمى والشرق الأوسط) في وليم غريفيت (الناشر) العالم ومثلثات الدولة العظمى ، غالبا جولان ، يوم الغفران وما بعده ، ص ص ٧١ — ٧٢ ، ولورنس ويتن ، النزاع العربي الاسرائيلي ، ص ص ٢٤ — ٢٨ .

٩١ — غلامان ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .

٩٢ — الترناشينال هيرالد تريبون ، ٤ نيسان ١٩٧٤ . ويبدو من رواية هيكل أن المصريين كانوا قلقين من بأن يعتمد الاتحاد السوفيتي إلى منع اصدقائه بصورة من الصور من الذهاب إلى الحرب ، ويظهر أن المصريين كانوا خائفين بشكل خاص من أن يضجى بمصالحهم في سبيل الوفاق السوفيتي الأمريكي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ . أنظر أيضا جولان وغلامان ، المصدر السابق .

٩٣ — جولان ، المصدر السابق ، ص ٦٩ . بناء على هيكل ، كان جواب السوفيت في ٤ تشرين الأول هو أن القرار بشأن تحديد متى تُشن الحرب يجب أن يتخذه السادات وحده . هيكل ، المصدر السابق . ص ص ٢٤ — ٢٥ ، ٣٤ (الاشارة من وضع المؤلف) .

- ٩٤ — غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
- ٩٥ — الجنرال ب . ك كارلتن ، ورد في جريدة القوات المسلحة ،
آب ١٩٧٤ . عندما بلغت الأمدادات ذروتها كانت تصل
الرحلات الجوية إلى ١٠٠ رحلة في اليوم إلى الأقطار العربية .
وكان الروس يبدون مرونة كبيرة في تلبية احتياجات المحاربين
يوما فيوم . باجاك ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، وجريدة
القوات المسلحة ، تموز ١٩٧٤ .
- ٩٦ — باجاك المصدر السابق ، ص ١٧٠ . إن شحنات الأسلحة
لمصر وحدها كانت تشمل ١٠٠ طائرة مقاتلة ، وحوالي
٢٠٠ حاملة جنود ومصفحة برمائية سوفيتية ، وأكثر من
١٠٠ قطعة مدفع وأعداداً كبيرة من صواريخ سام وصواريخ
مضادة للدروع ، وحوالي ٦٠٠ دبابة يقال إنها سمحت
للمصريين بإعادة بناء فرقتين مدرعتين ، المصدر ذاته
وراعانان ، المصدر السابق ص ٣٤ .
- ٩٧ — غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
- ٩٨ — ريف شيف ، هزة تشرين اول ، ص ١٦٧ .
- ٩٩ — يشير شيف إلى تجمع مراكب الصواريخ السوفيتية عند
الميناء ، المصدر ذاته ، ص ١٩٧ ، ويشير غلاسمان إلى
وقوف مدمرة في موضع يسمح لها بحماية السفن السوفيتية

الداخلة إلى الميناء من الغواصات . المصدر السابق ،

ص ١٣٤ .

- ١٠٠ — شيف ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
- ١٠١ — السالدي تايمز ، ١٩ آيار ١٩٧٤ .
- ١٠٢ — غلامان ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
- ١٠٣ — على الرغم من أن السوريين لم يريدوا استخدام قوات غير عربية في القتال . انترناشيونال هيرالد تريبون ، ٣ شباط ١٩٧٦ .
- ١٠٤ — لكن يقال إن الكوريين الشماليين سعوا الى تجنب القتال الجري ، شيف ، المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
- ١٠٥ — يذهب غلامان إلى أن هذا ربما لقي قبولا من (جهة سوفيتية متنفذة نسبيا) ، المصدر السابق ١٣٨ .
- ١٠٦ — يوحي بهذا خيران من مصلحة الاستخبارات . فخلال الحرب كشفت الاستخبارات الأمريكية مواد نووية على متن عدة بواخر عبرت البوسفور ثم توقفت فترة قصيرة في الموانئ المصرية . كما أن أقمار التجسس الأمريكية أظهرت صورا اعتقد بعض المحللين انها رؤوس نووية إلى جانب صواريخ سكود . لكن لدى وزن هذه المعلومات يبدو من غير المحتمل أن رؤوسا من هذا القبيل قد أرسلت إلى مصر ، على الرغم من أن الاتحاد السوفيتي قد يكون أراد أن يترك انطبعا بأنها

قد أرسلت إليها.الواشنطن بوست ، ٢١ ، ٢٢ تشرين ثاني ،
غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ ، وفريق الساندي تاميز
لتقصي الحقائق ، المصدر السابق ، ص ٤١١ .

١٠٧ — الأدميرال توماس مورر ، الوضع العسكري للولايات المتحدة
في السنة المالية ١٩٧٥ ، إن ازدياد الوجود البحري
السوفييتي في المحيط الهندي ، حيث جرت زيادة الأسطول
السوفييتي من أقل من ست سفن حربية وهي حجمه
الطبيعي إلى حجمه الأقصى وهو عشر سفن قتال سطح وأربع
غواصات ، كان على مقياس أصغر جداً ، وكان هذا النمو ،
بناء على رأي رئيس (CIA) وليم كولبي ، رداً على نمو الوجود
البحري الأمريكي غير المتوقع في المنطقة. لكن يبدو أن
السفن السوفييتية كانت متورطة في إغلاق مصر لمضيق باب
المنديب أو ما يقرب من ذلك . (SIPRI) الكتاب السنوي
١٩٧٥ ، ص ٦٩ . سجل الكونغرس ، ٢٢ آذار ١٩٧٥ ،
جولان ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

١٠٨ — ويتن ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

١٠٩ — انظر ايلمور . زموالت (دروس للناتو من التجربة العسكرية
الأخيرة) أتلانتيك كومونيوتي كوارتري ، شتاء ١٩٧٤ /
١٩٧٥ . ص ٤٥٩ .

- ١١٠ — انظر كالب وكالب ، المصدر السابق، ص ص ٤٧٠ ،
٤٧١ .
- ١١١ — شيف ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ . انظر أيضا الفصل
٨ .
- ١١٢ — فريق ساندي تايمز لتقصي الحقائق ، المصدر السابق ، ص
ص ٣٧٠ / ٣٧١ .
- ١١٣ — شيف ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .
- ١١٤ — غلاسمان ، المصدر السابق ، ص ١٦١ .
- ١١٥ — الاوزرغر ، ٢٨ تشرين اول ١٩٧٣ .
- ١١٦ — فريق ساندي تايمز لتقصي الحقائق ، المصدر السابق ، ص
٣٧٨ .
- ١١٧ — المصدر ذاته ، ص ٤٠٠ .
- ١١٨ — كالب وكالب ، المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .
- ١١٩ — وهذه الصورة يقال إنه قد تم استنفا ٥٠ ألف جندي للقتال
و ١٠٠ ألف جندي للاحتياط . وبناء على تقارير الصحافة
في ذلك الوقت جرى توجيه الطائرات المكلفة بشحن
الامدادات إلى الاتحاد السوفيتي ، قريبا من قواعد الفرق
المحمولة جواً ، وكان هناك أيضا علامات على قوافل جنود
تتحرك نحو المطارات . النيويورك تايمز . ٢٦ تشرين اول
١٩٧٣ ، وجولان ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

١٢٠ — كالب وكالب ، المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ، ربما خشي
الاتحاد السوفييتي من هجوم (مجنون) على القاهرة من
جانب شارون .

١٢١ — آفيشن ويك ، ٢٩ تشرين اول ١٩٧٣ ، وشيف ،
المصدر السابق ، ص ٢٨٩ . كان لواءان من صواريخ سكود
منتشرين أيضا في هذا الوقت شرقي القاهرة . والشيء الملفت
للنظر أن الاتحاد السوفييتي لم يكن فيما يبدو يبذل أي جهد
لإخفاء استعداداته .

١٢٢ — النيويورك تايمز ، ١٠ نيسان ١٩٧٤ .

١٢٣ — غلامان ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٠ / ١٣١ .

١٢٤ — ان الجانب الأكبر من ازدياد القوات البحرية السوفييتية في
البحر الأبيض المتوسط قد وقع بعد أزمة الاستنفار ولم يتوقف
نشاط الاستنفار السوفييتي بصورة مباشرة .

١٢٥ — من أجل تقدير المصالح السوفييتية في الوصول إلى تسوية انظر
جولان ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٩ — ١٣١ .

١٢٦ — أصبح هذا واضحا في مدة تقرب من شهر بعد الحرب . لكن
قطع إمدادات السلاح لم يكن تاما ، واستمرت الشحنات على

نطاق محدود مباشرة من الاتحاد السوفيتي وبصورة غير مباشرة عبر الجزائر، وأوروبا الشرقية، وربما عبر سورية أيضا. وظل حوالي ٢٠٠ تقني سوفيتي يعملون في صيانة الحاسبات الآلية التي تتحكم في صواريخ سام المصرية. باجاك، المصدر السابق، ص ١٧١، راعانان، المصدر السابق، ص ٣٤. مسح استراتيجي ١٩٧٤ — ص ١٩، ليوزوريج زيتونغ، ٢٢ آب ١٩٧٤، وديلي تلغراف، ١٨ آذار ١٩٧٦.

١٢٧ — راعان، المصدر السابق، ص ٣٠.

١٢٨ — في خطاب بالراديو والتلفزيون في ٣ شباط ١٩٧٧، عَقِب أعمال الشغب التي أَلَقَت السلطات مسؤوليتها على الشيوعيين، قال السادات (جاء حين في ١٩٦٨، و ١٩٦٩، و ١٩٧٠ قبل وفاة عبد الناصر كان يقال فيه بصورة مكشوفة إن الطريق إلى أي مكان في مصر يمر بموسكو. هذه حقيقة. إن السفير السوفيتي هنا في مصر كان يرتدي رداء المفوض السامي البريطاني في الأزمنة المنصرمة والسفير البريطاني كيلرن وأسوأ كيف حدث ذلك؟ لأن مراكز القوة كانت، قبل وفاة عبد الناصر،

تتحكم في وزارة الداخلية ووزارة الاعلام ووسائلها وبكل
الصحافة والثقافة. كان الجيش معهم. مسح الاذاعات
العالمية، الجزء الرابع، الشرق الأوسط وشمالى افريقيا، (ME/

543)

١٢٩- فريدمان، المصدر السابق، ص ١٣٩، والتايمز، ٢٨ آذار
١٩٧٤.

١٣٠- جولان، المصدر السابق، ص ص ٢١٣ - ٢١٤،
والغارديان، ١٧ نيسان ١٩٧٤.

١٣١- التايمز، ٢٩ نيسان ١٩٧٤، والديلي تلغراف، ١٨ ايار
١٩٧٤.

١٣٢- النيويورك تايمز، ١٩ تشرين ثاني ١٩٧٤.

الفصل الثامن

الأمن الاسرائيلي : العضلة الأمريكية

ان لمشكلة الأمن الاسرائيلي ، حين يُنظر إليها من واشنطن ،
بعداً عسكرياً قابلاً للانفصال بشكل واضح عن بعدها
السياسي . فالبعد العسكري ، أي قدرة إسرائيل على الدفاع عن
نفسها ضد الهجوم العربي والسوفييتي ، سبب للولايات المتحدة
مشكلات بأحجام يمكن التغلب عليها نسبياً ، لأن إسرائيل
احتفظت دائماً بتفوق عسكري مستمر على جاراتها ، وبحث
جميع جولات القتال ضد العرب على الأقل ، ما بين ١٩٤٨ و
١٩٧٣ ، ولم يكن أمن مراكزها الحيوية ولا بقاؤها مهددين قط
بصورة جدية مع إمكان استثناء الأيام الأولى من حرب تشرين .
لأن الاسرائيليين تبَنوا مذهب الاعتماد على النفس وعوّلوا على
الولايات المتحدة في تقديم الأمدادات العسكرية بالدرجة الأولى ،
ولم تكن سياسة التهديد الأمريكية ضرورية إلا في وجه التدخل

السوفييتي المحتمل ، ولم يكن هناك حاجة إطلاقاً إلى استخدام أمريكا قواتها .

إلا أن إسرائيل على الرغم من كونها وكيلاً عسكرياً ثميناً لأمريكا لا يمكن القول إنها كانت زبوناً نموذجياً لها . لأن الأساس السياسي لمشكلة أمنها وهو البحث عن تسوية عربية إسرائيلية من شأنها التقليل كثيراً من احتمال تعرضها للهجوم ، سبب ضغوطاً متكررة على العلاقات الإسرائيلية الأمريكية . فبينما كانت الدبلوماسية الأمريكية تحاول إقناع إسرائيل بالتنازل عن الأراضي مقابل الشرعية السياسية ، كان الإسرائيليون ، الذين لاحساسهم بعدم الأمن جذور عميقة في التاريخ اليهودي ، يؤكدون أن القوة العسكرية والاحتفاظ بحدود استراتيجية يمكن الدفاع عنها أفضل من تسوية غير مضمونة البقاء ، على المدى الطويل . وللتغلب على هذا الحافز الهائل ، بما فيه من تعقيدات خطيرة على المصالح الأمريكية في العالم العربي ، حاولت واشنطن ، ولو بنجاح محدود فقط ، أن تجعل دعمهما لأمن إسرائيل العسكري في هيئة أداة للضغط على القدس وتطمئنها معاً .

لكن أمن الدولة اليهودية لم يصبح في واشنطن قضية ذات أولوية إلا بعد انقضاء حوالي عشرين عاماً على تأسيسها . كان

الاسرائيليون قد بحثوا بشكل واسع عن حلفاء عسكريين وسياسيين . ففي مراحل مختلفة من الخمسينات سعوا للانضمام إلى الكومنويلث ، والمجموعة الاقتصادية الأوروبية^(١) (EEC) والناٲو (Nato) ، وحتى إلى مجموعة الدفاع الأوروبية المقترحة . لكن علاقة إسرائيل الدفاعية الرئيسة ، ابتداء من أوائل الخمسينات حتى حرب الأيام الستة ، كانت مع فرنسا ، فحدث بينهما تعاون وثيق في ميادين التخيليط الاستراتيجي ، وتبادل معلومات الاستخبارات وبحوث التسليح . كما أصبحت فرنسا المصدر الرئيس للأسلحة التي تتزود بها إسرائيل .^(٢) وبهذه الصورة أعفيت الولايات المتحدة من مهمة نقل الأمدادات العسكرية المحرجة إلى اسرائيل ، وفي ١٩٥٦ حين تطلبت السويس للمرة الأولى تورطا أمريكيا أنشط في الصراع العربي الاسرائيلي ، جاء هذا التورط في مسار لم يستطع الاسرائيليون الرضا به ، لكن كان لا بد من تكراره ، مع بعض التغيير ، خلال الجولات التالية من القتال العربي الاسرائيلي . كانت الولايات المتحدة تسعى إلى منع التدخل السوفييتي بينما تقوم في الوقت ذاته بالابقاء على النصر الاسرائيلي ضمن حدود معينة .

على الرغم من أنه كان من المفهوم أن أي تدخل سوفييتي

مباشر سيكون صعبا للغاية،^(٣) كانت الادارة الأمريكية قلقة من إمكان قيام السوفييت بشكل من ردّ الفعل المباشر.^(٤) وقد نبه السفير الأمريكي في موسكو إلى حصول حركة مضادة سوفيتية ضد إيران. وفي واشنطن عولجت بحدية التهديدات بارسال «متطوعين» سوفييت إلى الشرق الأوسط^(٥) فردّ الأمريكيون بالتحذير من أن أي عمل عسكري ضد فرنسا وانكلترا سوف يقابل بمعارضة أمريكية مسلحة، وبزيادة تدريجية في حالة التأهب لدى القوات المسلحة.^(٦) وأُرسلت تعزيزات بحرية إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط، حيث كان الأسطول السادس موجوداً في منتصف المسافة بين السويس وقبرص. وظهرت المدرعات وطائرات القتال بمظهر الاستعداد الواضح^(٧).

وعندما أخفق حلفاء الولايات المتحدة في العمل بسرعة كافية لوضع العالم أمام الأمر الواقع سارع الأمريكيون أيضا إلى ممارسة ضغط للوصول إلى وقف لإطلاق النار ثم الانسحاب. ففي ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ كان الاسرائيليون يخاطبون تارة بلطف ومرة بعنف. باللطف عن طريق وعود بمزيد من العناية الأمريكية بالأمن الاسرائيلي بعد الانسحاب من سيناء، وبالعنف عن طريق التحذيرات بأن العالم كان على شفا حرب عالمية ثالثة

وأن الولايات المتحدة سوف تدعن لطرده إسرائيل من الأمم المتحدة ولفرض عقوبات اقتصادية عليها.^(٨) وكان لهذه الضغوط آثارها. فقد كانت القدس مهمة من قبل بالتهديدات السوفيتية، ولم يكن احتلال سيناء ذاته هدفاً لإسرائيل إذا أولوية في الحملة. لكن الذي لم يكن. الإسرائيليون مستعدين للتخلي عنه من دون معركة أخرى كان التحكم في قطاع غزة وشرم الشيخ عند مدخل مضائق تيران. فاستمر الصراع إلى ١٩٥٧ بين الولايات المتحدة التي كانت مهمة بما لعناد إسرائيل من تأثير ضار على إمدادات النفط وبالنفوذ السوفيتي المتزايد في الشرق الأوسط^(٩)، وإسرائيل التي كانت مصممة على الاحتفاظ بما كانت تعتبره أهم الثمار الاقتصادية والعسكرية لانتصارها. وكانت النتيجة حلاً وسطاً لعب فيه الفرنسيون دوراً هاماً^(١٠). ففي شهري شباط وآذار عام ١٩٥٧، أعلنت الولايات المتحدة بالاشتراك مع فرنسا وبريطانيا أنه لا يجوز لأية دولة منع المرور البريء الحر من خليج العقبة^(١١). وبعد الحصول على هذه التأكيدات أجلى الإسرائيليون أخيراً قواتهم من ساحل سيناء الشرقي.

كان على الإسرائيليين بعد ذلك أن يبحثوا عن تعاون أوثق

مع الولايات المتحدة. فاقترح بن غوريون في تشرين اول ١٩٥٧ تنسيق سياسة الشرق الأوسط بين إسرائيل من جهة والولايات المتحدة والناٲو (Nato) من جهة أخرى. واقترح بالاضافة الى ذلك عوناً أمريكياً لتوسيع الموانئ الاسرائيلية والمطارات الحربية لكي تستطيع إسرائيل أن تقوم مقام قاعدة للولايات المتحدة في حالة الطوارئ، وأن تقدم الولايات المتحدة وعداً بأن تبادر إلى نجدة إسرائيل إذا ما تعرضت للهجوم من جانب سورية ومصر. ويظهر أن الأمريكيين ترددوا، ولكن بعد الانزال الأمريكي في لبنان في تموز ١٩٥٨، أكد أيزنهاور لـ بن غوريون أن الولايات المتحدة سوف تبادر كذلك إلى نجدة إسرائيل إذا تعرضت للتهديد وطلبت النجدة^(١٢).

وفي أوائل الستينات تلقت إسرائيل تأكيدات أمريكية إضافية ولو غير رسمية. فأبلغ الرئيس كنيدي في ١٩٦٢ السيدة ماير، وزيرة خارجية إسرائيل آنذاك، أن الولايات المتحدة ~~بواسط~~ إسرائيل حليفان بحكم الواقع؛ وفي ١٩٦٣، أكد كنيدي لرئيس الوزراء الاسرائيلي تأكيداً خطياً يشبه الضمانة لوحدة أراضي إسرائيل. وفي السنة التالية أبلغ اشكول من قبل خليفة كنيدي أن الولايات المتحدة لن تقف «مكتوفة اليدين إذا وقع هجوم على إسرائيل»^(١٣).

وطمأن الأمريكيون الزعماء الاسرائيليين مرارا إلى أنهم يستطيعون الاعتماد على الأسطول السادس عند الحاجة . وكانت الولايات المتحدة أيضا في بداية تزويد اسرائيل بأنواع هامة من الأسلحة مثل صواريخ هوك أرض — جو ومقاتلات من طراز سكاي هوك (A 4) للهجوم الأرضي . والحقيقة أن الولايات المتحدة أصبحت تميل في أواسط الستينات بصورة متزايدة إلى اعتبار اسرائيل وكيلا عسكريا ذا قيمة في الشرق الأوسط ، وأخذ البلدان ابتداء من ١٩٦٥ يقومان بصورة دورية بمسح مشترك للوضع العسكري في المنطقة يقال إنه تجاوز حدود تبادل المعلومات الروتيني واقترب من التخطيط العسكري المشترك^(١٤) .

وضع إغلاق مضائق تيران في ايار ١٩٦٧ الأمريكيين إزاء مشكلة احترام التزامهم منذ عشر سنوات بالحفاظ على حرية الملاحة^(١٥) . لكن نظرا لمطالب فييتنام العسكرية الضخمة المنافسة ولموقف الكونغرس المنطوي على معارضة تورط عسكري أمريكي آخر في الخارج ، لم تكن الادارة الأمريكية راغبة في اتخاذ أي عمل من طرف واحد . وكان البديل هو اقتراح من جانب بريطانيا بإصدار تصريح دولي جديد لتأكيد حرية المرور عبر مضائق تيران ، مدعوم عند اللزوم بقوة بحرية دولية . لكن ثبت أن هذه

الخطوة كانت سياسيا وعسكريا غير عملية. فعلى الرغم من الاعتقاد بأن هذه القوة لن تلقى مقاومة مصرية، سار التخطيط العسكري في واشنطن على افتراض أن القوات الأمريكية سوف تعمل في منطقة يمكن أن تواجه فيها معارضة سوفيتية. ومعنى هذا أنه كان لا بد من قوة كبيرة لا قوة رمزية^(١١)، لكن كان هناك نقص في السفن والحلفاء. فلم يقبل في المشاركة سوى استراليا والأراضي المنخفضة. أما البريطانيون، الذين كانت أمريكا تعتبر دورهم هاما من الناحية السياسية^(١٢) فقد أخذوا يزدادون ترددا في التورط. وكانت الأرجنتين وكندا وإيطاليا واليابان ونيوزيلاندا راغبة في المشاركة بشرط أن تكون العملية تحت إشراف الأمم المتحدة، الأمر الذي من شأنه أن يفتح الباب للتدخل السياسي السوفيتي.

لكن الدبلوماسية الاسرائيلية في الأسابيع التي سبقت الحرب كانت معنية بأكثر من موضوع ما إذا كان الأمريكيون سيتخذون تدابير لاعادة إقرار الوضع الراهن في خليج تيران. فبالإضافة إلى محاولة إسرائيل معرفة ما اذا كانت تستطيع انتظار دعم عسكري أمريكي في حالة تعرضها للهجوم، كان الاسرائيليون راغبين في التأكد من أن واشنطن لن تعارضهم مرة

ثانية كما عارضتهم في ١٩٥٦ إذا ما احتاجوا إلى القيام بعمل عسكري من طرف واحد. لذلك التزموا جيدا بتحذير الرئيس جونسون لهم من «أن إسرائيل لن تكون بمفردها إلا إذا قررت أن تتصرف بمفردها». وكانت الرسائل الرئاسية في ٢٣ و ٢٦ و ٢٨ ايار عاملا رئيسا في إرجاء القرار الاسرائيلي لشن الحرب^(١). لكن الاسرائيليين لاحظوا أيضا تلاشي الضغط الأمريكي بعد ذلك عليهم بسبب الإنخفاق في تحقيق اقتراح حرية الملاحة في البحر الأحمر (Red Sea Regatta). ومن المحتمل أن الهجوم في الخامس من حزيران قد شُنَّ على أساس افتراض ان الأمريكيين لن يتدخلوا ولن يسمحوا للاتحاد السوفيتي بالتدخل^(٢).

والحقيقة أن الولايات المتحدة أسهمت أيضا بشكل غير مباشر في نجاح الضربة الاسرائيلية المباغتة. فقد قيل إن الكثير من نشاط الاستخبارات الأمريكية في مصر قُبيل أزمة ١٩٦٧ كان موجها لتلبية الاحتياجات الاسرائيلية^(٣). يضاف إلى هذا أن المصريين حين اعتقدوا بأنهم سوف يواجهون تدخلا أمريكيا إذا ما قاموا بالضربة الأولى، عدلوا عن فكرة الهجوم المباغت، وسمحوا بذلك للاسرائيليين بتدمير القسم الأعظم من القوات الجوية العربية الجاثمة على الأرض في الخامس من حزيران^(٤).

بعد ذلك اقتصر النفوذ العسكري الأمريكي على منع التدخل السوفييتي في ما كانت تراه واشنطن لا صراعاً محلياً بل (مرحلة في عملية تهدد أمن أوروبا والولايات المتحدة بصورة أساسية)^(٢٣). واستُخدم الأسطول السادس لمعارضة دبلوماسية التهديد السوفييتية. فتحرك في السادس من حزيران إلى مقربة من ساحل إسرائيل، وأُرسلت حاملة طائرات أخرى إلى الأيبض المتوسط وذلك رداً على طلب كوسيفن بأن تقبل إسرائيل بوقف إطلاق النار والانسحاب إلى المواقع التي كانت تحتلها قبل الحرب^(٢٤). ونشأت الأزمة الثانية والأهم في العاشر من حزيران عقب التهديدات السوفييتية بالتدخل إذا هاجمت القوات الإسرائيلية دمشق. فعلى الرغم من الصعوبة الخاصة لاستخدام الوحدات العسكرية السوفييتية في سورية، نجحت دبلوماسية التهديد السوفييتية في أثناء الأزمة مرة ثانية في خلق حيرة جديدة في واشنطن حول نوايا موسكو^(٢٥). فردّ الأمريكيون بتبديل طراز حركة الأسطول السادس الذي كان قد أُوعِز إليه أن يبقى على بعد ١٠٠ ميل من الساحل السوري، فحُفِضَت المسافة الآن إلى ٥٠ ميلاً كدليل على أن الولايات المتحدة، كما ورد على لسان جونسون فيما بعد، كانت «مستعدة لمقاومة التسلل السوفييتي

إلى الشرق الأوسط»^(١٦). وفي الوقت ذاته عزّز الأمريكيون التحذير السوفييتي بتحذيرهم لإسرائيل من القيام بعمل آخر ضد سورية. من المحتمل أن هذا الضغط الأمريكي قد أثر في إسرائيل وجعلها لا تتقدم للهجوم على دمشق^(١٧). لكن بصرف النظر عن هذا التدخل النهائي للحد من مدى التقدم الاسرائيلي، كان الأمريكيون قد صنعوا الكثير للتأثير في المحيط العسكري والسياسي تأثيرا جعل النصر الاسرائيلي ممكنا. ويظهر أن هذا لم يكن نتيجة لأي سياسة متعمدة. وحول ما يمكن أن يقال من أن الأمريكيين شجعوا الاسرائيليين على شنّ الحرب، لقد فعلوا هذا حقا لأنهم كانوا غير قادرين على التدخل أو غير راغبين فيه، على الرغم من أنهم كانوا يتوقعون أن تريح إسرائيل بسهولة، ومن أن بعض العناصر في الادارة الأمريكية ما كانوا ليأسفوا على هزيمة كل من سورية ومصر^(١٨). لكن يحتمل أن يكون احتلال إسرائيل للضفة الغربية أمرا آخر، كما أن مدى الهزيمة العربية كان لا بد أن يترك آثارا بعيدة في السياسة الأمريكية. وكان من المحتمل أن تستطيع إسرائيل التفاوض على الانسحاب من الأراضي المحتلة مقابل حل سلمي فوريّ لو أن السوفييت لم يعمدوا إلى عملية الأمدادات التي تلت. فتمسك الاسرائيليون بالأراضي التي زوّدهم لأول مرة

في تاريخهم محدود استراتيجية يمكن الدفاع عنها. لكن لم تلبث هذه السياسة حتى أخذت تفرض ثمنها الخاص. فلم يكن بالأمكان الاحتفاظ بمحدود ما بعد حرب الأيام الستة إلا على حساب تجديد العداوات الذي لم يلبث أن أدى إلى تدخل سوفيتي مباشر، وعندئذ وجد الاسرائيليون أنفسهم في وجه تهديد عسكري أعظم جداً من ذلك الذي واجهوه قبل ١٩٦٧. لهذا السبب من جهة ولسبب آخر أيضاً وهو انقطاع إمدادات الأسلحة الفرنسية عنهم، أخذ الأمن الاسرائيلي يعتمد بصورة متزايدة على الولايات المتحدة.

نظراً لفاعلية القوات الاسرائيلية، كان باستطاعة الولايات المتحدة، على الأقل حتى لحرب تشرين، أن تقي بتعهداتها عن طريق إرسال الأمدادات العسكرية، ومعظمها أسلحة لكن أيضاً تكنولوجيا عسكرية ومعلومات استخبارات^(١). وكانت السياسة العسكرية الأمريكية تسعى إلى الحفاظ على «توازن» يتم فيه مقابلة تفوق العرب في عدد السكان تفوقاً هائلاً بتكنولوجيا عسكرية إسرائيلية، الأمر الذي يعني أن على الأمريكيين أن يحافظوا على تفوق القوة الجوية الاسرائيلية. يجب أن تكون إسرائيل، كما قال مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية، قادرة على «الدفاع

عن نفسها ضد هجوم عربي منسق... والولايات المتحدة ملزمة بأن تكون إسرائيل في المستوى الذي يسمح لها باحراز النصر عند وقوع هجوم كهذا^(٣٠)، وكان يمكن أن يضيف: ومن دون الحاجة إلى تدخل أمريكي. لكن سياسة الحفاظ على «توازن» كانت تهدف إلى منع الحرب أيضا. كانت تسعى إلى التأكد من أن الاسرائيليين، الذين كان الأمريكيون عندئذ يشتبهون في أنهم يملكون أسلحة نووية^(٣١)، لن يلجأوا إلى هجوم مباغت، كما كانت تسعى إلى منع هجوم عربي على إسرائيل.

وتبين لدى التطبيق أن مفهوم الحد الاستراتيجي الاسرائيلي غير فعال كعامل للاستقرار. كان شعور العرب بالألم عميقا^(٣٢)، وكانت قدرتهم على التصرف في سياسة الأمدادات العسكرية التي يرسلها الاتحاد السوفيتي فعالة جدا في نهاية المطاف حتى لم يكن بإمكان أية قدرة عسكرية إسرائيلية ردع هجوم عربي من دون التحرك في اتجاه تسوية. فشنت حرب الاستنزاف وحرب يوم تشرين كلاهما في وجه ميزات كبيرة جدا. وفي ١٩٧٣، حين كان الاسرائيليون أعجز ما يكونون عن الدفاع عن أنفسهم ضد الهجوم العربي المنسق، كان النقص في الذخيرة لديهم وعدم فعالية تكتيكهم في وجه العتاد السوفيتي المعقد يعنيان أنهم أصبحوا

بسرعة في مأزق خطير. أضف إلى ذلك أن سياسة المستوى أو الحد الاسرائيلي عندما ظهرت، خصوصاً في أثناء حرب الاستنزاف، ساعدت في تعجيل ظهور تطور معاكس لأهداف السياسة الأمريكية الأساسية في المنطقة، أعني حدوث أول تدخل سوفيتي في القتال على نطاق واسع في الشرق الأوسط. وكان الرد الأمريكي على هذا الحدث اتكاليا بصورة غريبة فقد مضت ثلاثة أشهر على إدخال الطيارين المقاتلين السوفيت إلى مصر من دون أن يظهر أي دليل على رد فعل أمريكي إيجابي. ولم تلجأ الإدارة الأمريكية إلى دبلوماسية التهديد إلا بعد أن بلغ الوجود السوفيتي نسباً كبيرة^(٣٣). فصرح الدكتور كيسنجر في ٢٦ حزيران بأن الولايات المتحدة تحاول «طرده الوجود العسكري السوفيتي، لا الخبراء بل الطيارين المقاتلين، والعسكريين المقاتلين، قبل أن يستقر بهم المقام»^(٣٤). «وبعد ذلك ببضعة أيام حذر الرئيس نيكسون من أن الولايات المتحدة لن تسمح بتعريض أمن إسرائيل للخطر، ومن أن مخاطر مجابهة بين الدولتين العظيمين حقيقية جداً»^(٣٥). لكن دبلوماسية التهديد الأمريكية لم تُدعم بأي نشر للقوات على سبيل التهديد، كما أن الأمريكيين، مع احترام رأي الدكتور كيسنجر، عجزوا عن طرد القوات السوفيتية المقاتلة.

التي بقيت في مصر عامين آخرين. وهكذا على نقيض ما حدث في ١٠ حزيران ١٩٦٧ و ٢٥ تشرين أول ١٩٧٣، قُبِلَ الأمريكيون فعلاً دخولاً عسكرياً سوفيتياً كبيراً في الشرق الأوسط على الرغم منهم. لأنه لم يكن من السهل مجابهة التهديد السوفيتي العسكري الموجه لوقف العمل الإسرائيلي ضد صديق للسوفيت. ففي ظروف كهذه كانت أخطار استخدام نشر القوات الأمريكية لمقابلة التهديد محدودة لأن بإمكان واشنطن الضغط على الاسرائيليين ضغطاً يضمن إحجامهم عن القيام بأي عمل عسكري تراه موسكو غير مقبول. لكن إذا استمر العمل العسكري الاسرائيلي^(٣٦) كما حدث في بداية ١٩٧٠، ودخلت القوات السوفيتية بالتدريج وبلا ضجة فان واشنطن ستكون إزاء مهمة أصعب جداً وهي طرد القوات السوفيتية من مواقعها. لقد شُنَّت حملة تهديدية من هذا القبيل ضد القوات النووية السوفيتية في نصف الكرة الغربي في ١٩٦٢، لكن بعد ذلك بثمانية أعوام كانت الولايات المتحدة غير مستقرة سياسياً، وغير مجهزة عسكرياً للقيام على بعد آلاف الأميال من قواعدها الوطنية بتمرين من طراز التمرين الكويتي. كان مثل هذا التمرين باهظ الثمن وشديد الأخطار، كما لم يكن متوقفاً في الداخل تأييد عمل كهذا من قبل

الرأي العام الذي أزعجه العمل الأمريكي ضد كمبوديا في نيسان ١٩٧٠ ، وكما لم يكن من المتوقع أن يلقي أي دعم من جانب الحلفاء الأوروبيين^(٣٧).

كان البديل^(٣٨) عن ذلك محاولة حل الصراع وتهديته بمبادرة سلمية. وكانت المحادثات بين القوتين العظميين جارية خلال القسم الأعظم من السنة السابقة وبلغت مرحلة تحضير مسودتين لمعاهدتين شاملتين كلا من إسرائيل ومصر والاردن . وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي قد سحب مشاركته في رعاية المعاهدتين نتيجة تطورات حرب الاستنزاف ، مضى الأمريكيون وحدهم في هذا السبيل ، لكنهم واجهوا مقاومة من القدس لأن تصريح وزير الدولة وليم روجرز الذي صدر في كانون اول ١٩٦٩ بأن التسوية النهائية « يجب ألا تعكس وطأة الفتح ويجب أن تقتصر على تبدلات طفيفة يتطلبها الأمن المتبادل » ، كان يتناقض مباشرة مع مفهوم إسرائيل عن الحدود الآمنة^(٣٩).

وقد ردّ الأمريكيون على هذا العناد بمحاولة استغلال ضمانهم أمن إسرائيل القائم بحكم الواقع . وكانت واشنطن من قبل نهاية ١٩٦٩ متوقفة عن إرسال بعض طلبات إسرائيل من السلاح^(٤٠) . فنشط التدخل السوفيتي سعيها^(٤١) وساعد في جعل

المبادرة السلمية ذات أولوية كبيرة في واشنطن خلال شطر كبير من عام ١٩٧٠^(١١). لكن هذا المسعى لم يكن سهلاً. كان لدى واشنطن سبب وجيه لاستخدام سياسة الامتدادات العسكرية بحذو وعناية. فمع وجود القوة الجوية السوفيتية عندئذ في مصر، فهمت القدس أن الدعم العسكري الأمريكي لها سوف يتوقف على إرد بالموافقة على المبادرة الدبلوماسية الأمريكية التي دعت في ٢٥ حزيران ١٩٧٠ إلى وقف إطلاق النار على طول القناة وإلى إجراء محادثات تحت إشراف وسيط الأمم المتحدة الخاص، «غونار يارنغ»^(١٢). أضف إلى هذا أن القرار بتزويد إسرائيل بمائة طائرة فانتوم من طراز A 4، و ٢٥ طائرة من طراز F 4، التي كانت تلح في طلبها، كان من الممكن أن يؤدي إلى تصعيد القتال، والقضاء حتماً على مبادرة السلام الأمريكية مع العرب^(١٣).

لكن واشنطن بقيت في الوقت ذاته مدركة تماماً أنه يجب على الولايات المتحدة أن تستمر في تعويض إسرائيل عن إحساسها بعدم الأمن. كان هناك خطر، إذا لم تفعل ذلك، من أن الاسرائيليين سوف يصعدون الصراع بدافع اليأس فقط قبل أن يظهر أن ميزان القوة قد مال نهائياً ضدهم، كما كان هناك مشكلات الانقسامات بين أعضاء التحالف الحاكم. بناء على

ذلك جرى بهدوء تعويض خسائر إسرائيل من الطائرات^(٦٦)، وأصبح في حوزتهم معدات الكترونية مقابلة لصواريخ سام السوفيتية^(٦٧). وحوالي نهاية تموز ١٩٧٠، حين رفض الاسرائيليون الاقتراح الأمريكي، سعت واشنطن إلى إدخال قدر أكبر من المرونة في الموقف الاسرائيلي بالاعلان عن أكبر التزام قدمته الادارة الأمريكية لإسرائيل حتى ذلك الحين^(٦٨). فصدرت عن الرئاسة في ٢٣ تموز مذكرة تتضمن وعداً بتقديم أسلحة إضافية وتحتوي تأكيدات بأن الولايات المتحدة ستحافظ على التوازن ضد الوجود العسكري السوفيتي في الشرق الأوسط، وأن القوات الأمريكية ستبقى في البحر الأبيض المتوسط. بل قد أوجت المذكرة بإمكان إقامة نوع من العلاقة العسكرية الاسرائيلية الأمريكية، ربما بشكل تحالف، بعد توقيع معاهدة سلام^(٦٩).

وبناء على هذه التأكيدات، وعلى أن الادارة الأمريكية لم تعد تضغط من أجل الانسحاب الاسرائيلي، وافقت القدس على مضض^(٧٠). وجاء وقف إطلاق النار الذي بدأ مفعوله في ٨ آب ١٩٧٠ علامة على نجاح المبادرة الدبلوماسية الأمريكية الهامة التي ساعدت على القضاء على موقف خطر على طول القناة، وعلى وضع حدود للتدخل العسكري السوفيتي في مصر^(٧١). وفي

الخريف الذي أعقب المجابهة في الأردن بين الملك حسين ومنظمة التحرير الفلسطينية، التي أكدت كثيرا قيمة إسرائيل كوكيل إقليمي، كانت الأسلحة الأمريكية تتدفق على إسرائيل بكميات كبيرة، لكن بالرغم من أن الاسرائيليين كانوا في ذلك الحين قد رفضوا المشاركة في محادثات يارينغ لم تتخل واشنطن عن محاولاتها للسعي إلى حل سياسي. وبناء على ذلك بقي الاسرائيليون عرضة للضغط الأمريكي عن طريق استعمال علاقة الامدادات العسكرية. فجرى تعليق مبيعات طائرات F4 في تموز ١٩٧١ عندما بلغت اتفاقية العون العسكري والاقتصادي القائمة أجلها^(١) وكانت هذه محاولة لتلين موقف إسرائيل المتشدد من المفاوضات بالرغم من أن الادارة كانت في ذلك الحين مهتمة أيضا أو حذرة من أن تؤدي مبيعات الأسلحة الجديدة إلى زيادة الأسلحة السوفييتية التي تزود بها مصر^(٢) لكن في نهاية السنة تبدلت التكتيكات الأمريكية من أسلوب العصا إلى أسلوب الجزرة. فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة رفضت قبل ذلك الدخول في التزامات على المدى البعيد بشأن إمدادات الأسلحة خوفا من أن يقلل هذا من نفوذها على القدس^(٣)، فقد قبلت واشنطن عندئذ لأول مرة بنقل تكنولوجيا السلاح^(٤). يضاف إلى

ذلك أن الولايات المتحدة وعدت اسرائيل بمزيد من طائرات F 4 و A 4 لحثها على إجراء المفاوضات المقترحة (عن قرب) ^(١١). وعلى الرغم من قبول الاسرائيليين المحادثات «عن قرب» ، رفضها المصريون ولم يجر أي تقدم. نحو حل سلمي إلى ما بعد حرب يوم تشرين ^(١٢). ولم تكن الولايات المتحدة في الحقيقة حتى ذلك الحين في موقف يمكنها من الضغط بصورة كافية على الاسرائيليين لتحقيق أية تنازلات هامة. إن حرب ١٩٧٣ ، مثل الدخول السوفييتي إلى مصر في ١٩٧٠ ، وضعت الأمريكيين في البداية في وضع صعب ، والحال في ١٩٧٠ لم يكن الدعم العسكري الأمريكي لاسرائيل بلا قيود. كانت المشكلة المباشرة تكمن في أن الولايات المتحدة وجدت نفسها مع الطرف الذي لم يكن يحترم بشكل أفضل مصالحها المادية ^(١٣). كانت الادارة الأمريكية تخشى من حظر النفط. وفي البداية كانت مهتمة أيضا بإمكان انتصار اسرائيلي شامل آخر متوقع من شأنه أن ييلور الصراع العربي الاسرائيلي مرة ثانية. ويخلق ظروفًا تصبح فيها المفاوضات من أجل تسوية أصعب من ذي قبل. وسعت الادارة في محاولة لاحتواء المشكلات في الأيام الأولى القليلة إلى تبني وجود عسكري منخفض فرفضت أن تقدم للاسرائيليين طلباتهم من

شحنات الأسلحة على نطاق واسع^(٥٨)، كما سعت إلى تشجيع قيود سوفيتية مماثلة على إمدادات الأسلحة للعرب وللحصول على تعاون السوفييت معها في محاولة للوصول إلى وقف لإطلاق النار^(٥٩).

لكن عدم رغبة المصريين في قبول وقف لإطلاق النار وزيادة معدل الشحنات الجوية السوفيتية اقتضيا إعادة تقويم السياسة في نهاية الأسبوع الأول. لكن تحلي الولايات المتحدة بعد ذلك عن وجودها القليل لم يمنعها من تحقيق أهدافها الأساسية والتنسيق بينها. وهي تجميد السياسة العسكرية السوفيتية، وبقاء إسرائيل، والحد من أي نصر إسرائيلي. وقد تم تجميد السياسة العسكرية السوفيتية بالاعتماد على نقل الامدادات العسكرية ودبلوماسية التهديد معاً. فكان قرار إطلاق حملة إمدادات جديدة كبيرة ابتداء من ١٤ تشرين أول ١٩٧٣^(٦٠)، وكانت الحرب قد أصبحت تبدو كصراع بين اصدقاء الدول العظمى، وتمت الإشارة بوضوح إلى عزم أمريكا على ضمان قدرة إسرائيل على البقاء وذلك في رسالة بعثت بها الادارة إلى الكونغرس في ١٩ تشرين أول مع طلب تقديم عون مقداره ٢ر٢ بليون دولار لإسرائيل. وجاء في الرسالة قول الرئيس نيكسون إنه على الرغم

من أن الولايات المتحدة تحاول وقف الحرب بأسرع ما يمكن (يتطلب التخطيط الحكيم منا أن نستعد أيضا لمعركة أطول)^(١١). واعتمدت الولايات المتحدة على دبلوماسية التهديد بالدرجة الأولى لردع الاتحاد السوفيتي عن استخدام قواته في العمليات. لجأت الى هذا الأسلوب بعد مضي خمسة أيام على بداية الحرب. فحذر الدكتور كيسنجر، ردا على التهديد السوفيتي بدعم سورية في ١١ تشرين الأول، من أن الولايات المتحدة لا تريد أن يقوم الاتحاد السوفيتي بأي عمل غير مسؤول في الشرق الأوسط. وتم دعم هذا التحذير بتحريك وحدات من الأطلسي إلى الأسطول السادس^(١٢). وفي ١٦ تشرين الأول، إزاء ازدياد القدرة البحرية السوفيتية السريع في البحر الأبيض المتوسط، ألمح الدكتور كيسنجر مرة ثانية إلى أن الولايات المتحدة سوف تحذو حذو السوفييت اذا ما استخدموا القوات في الشرق الأوسط^(١٣). وتم التعبير عن هذه الرسالة بشكل أوضح في ٢٥ تشرين اول، ردا على محاولة السوفييت فرض اتفاقية وقف إطلاق النار بالتهديد بالتدخل المباشر. فأصدرت الادارة أمراً بالتأهب الشامل (Def-Con 3) «يجب على القوات أن تكون في وضع الاستعداد بانتظار الأوامر».

على الرغم من أن الكتيبة الثانية والثمانين المحمولة جواً في فورت براغ قد وضعت على أهبة الاستعداد لاحتفال استخدامها في الشرق الأوسط، وأُرسلت حاملة الطائرات على وجه السرعة إلى البحر الأبيض المتوسط كما تحرك الأسطول السادس^(١٣) في جنوبي كريت ليقف في أماكن واقعة بين السفن السوفيتية البرمائية في البحر الأبيض المتوسط^(١٤) ومسرح عملياتها المتوقع، على الرغم من ذلك كله كان القصد من إعلان حالة التأهب بحث نشاط واتصالات غير مألوفة في القواعد الأمريكية، من شأنها أن تلفت انتباه المخابرات السوفيتية^(١٥). والمسألة ليست في الحقيقة معرفة لماذا رأت الولايات المتحدة ضرورة إرسال إشارة عن عزمها على مقاومة التسلل العسكري السوفيتي إلى الشرق الأوسط، بل معرفة لماذا كانت الإشارة قوية بهذه الدرجة. لم توضع القواعد النووية في حالة تأهب بشأن الشرق الأوسط منذ الأزميتين السورية واللبنانية في أواخر ١٩٥٠ اللتين حدثتا في مرحلة من الحرب الباردة أشد حدة. في ١٠ حزيران حين هدد الاتحاد السوفيتي بالتدخل إلى جانب سورية، اقتصر استخدام القوات الأمريكية لمقابلة التهديد على تغيير مواقع الأسطول السادس، لكن التورط السوفيتي في حرب تشرين كان على

نطاق أوسع جدا منه خلال ١٩٦٧. وكانت واشنطن مهمة جدا بحجم عملية الامدادات السوفيتية، والتأهب المبكر للفرق السوفيتية المحمولة جوا، والوجود الذي لم يسبق له مثيل لصواريخ سكود^(٦٦) أرض — أرض التي يشغلها السوفييت في مصر^(٦٧). وكان صانعو القرار الأمريكيون قلقين أيضا من أن تؤدي قضية ووترغيت، التي كانت تدخل في مرحلة حادة بشكل خاص في تلك الآونة، إلى تقويض الثقة بالسياسة الأمريكية^(٦٨).

كان أمن اسرائيل إزاء العرب متوقفاً حصراً على نقل الامدادات العسكرية^(٦٩). وعندما عاد مجهود الامدادات الأمريكية إلى سابق عهده كانت الأسلحة الاسرائيلية قد نضبت إلى درجة خطيرة^(٧٠). كانت الشحنات الجوية الأمريكية في حددها الأقصى تنقل ١٠٠٠ طن من العتاد يوميا وكان ٧٠٠ الى ٨٠٠ طن منها ذخيرة^(٧١). ويقال إن طائرات النقل من طراز A galaxy، التي كانت قد خرجت حديثا من مرحلة التجربة، والقادرة على حمل دبابتين من طراز M60، إلى جانب طائرات النقل للمسافات البعيدة، كانت تنقل بعض المعدات مباشرة إلى المطارات العسكرية في سيناء^(٧٢). وأرسل الموظفون الأمريكيون الى اسرائيل للمساعدة في تدبير استخدام مثل هذا الحجم

الكبير^(٧٣). وبلغ مجموع ما تسلمته إسرائيل في أثناء الحرب وما بعدها ٥٠ ألف طن من المعدات العسكرية، منها ٢٢٣٩٥ طناً نُقلت جواً خلال ٣٢ يوماً^(٧٤).

لكن الالتزام الأمريكي ببقاء إسرائيل لم يكن مرادفاً لدعم أمريكي في سبيل نصر آخر لإسرائيل. على العكس، كان الأمريكيون الذين كان يعينهم الإبقاء على خطوط اتصالاتهم مفتوحة لكلا الطرفين في النزاع، يرغبون في تجميد الوضع العسكري، بل ربما في هزيمة جزئية لإسرائيل^(٧٥). كان هذا واضحاً أشد الوضوح في بداية الحرب عندما توقفت واشنطن عن تلبية طلبات إسرائيل من الأسلحة في وقت كانت فيه القوات الإسرائيلية قد عانت من خسائر خطيرة. وكذلك في نهاية الحرب، عندما استعاد الجيش الإسرائيلي المبادرة وأخذ يعمل على الشاطئ الغربي لقناة السويس. لكن، عندئذ، كان الدكتور كيسنجر قد أصبح في الحقيقة، «الضابط المسؤول نهائياً عن تموين الجيش الإسرائيلي»، والقادر على التحكم في عملياته عن طريق التدخل في تدفق الأمدادات^(٧٦). وعندما وصلت الدولتان العظيمتان في موسكو في النهاية إلى اتفاقية لوقف إطلاق النار، وتلقت المسز مائير رسالة شخصية من الرئيس الأمريكي يطلب

فيها أن توقف إسرائيل العمليات، أدركت القدس أنه لم يكن لها خيار سوى الانصياع. وكانت الأزمة التي نشأت عندئذ تتعلق بفرض وقف إطلاق النار، لأن القتال لم يلبث أن نشب مرة ثانية على طول القناة، حيث أتم الاسرائيليون تطويق الجيش الثالث المصري^(٧٧). لم يكن بالامكان قبول واشنطن بهذا الموقف، ليس فقط بسبب ما ينشأ عنه من خطر مجابهة بين الدولتين العظميين الذي انعكس بشكل ظاهر جداً على دبلوماسية التهديد السوفييتية في ٢٤ تشرين اول، لكن لأنه أيضاً يهدد بالقضاء على ظروف المفاوضات المواتية التي خلقتها نتيجة الصراع حتى ذلك الحين^(٧٨). وبناء على هذا بقيت القدس خلال الأسبوع التالي عرضة لضغط أمريكي قوي جداً. وكانت المشكلة المباشرة — التأكد من أن الاسرائيليين لن يدمروا الجيش الثالث. وبعد يوم من تنفيذ وقف إطلاق النار نظرياً، يقال إن الدكتور كيسنجر أخبر السفير الاسرائيلي في واشنطن بأن إسرائيل لن تستطيع الاعتماد على الدعم العسكري الأمريكي اذا استمرت الحرب نتيجة لأعمالها^(٧٩). وقد أخفق هذا التحذير بشكل واضح في تحقيق الأثر المطلوب. فلجأ الأمريكيون إلى أزمة «التأهب» لكي يعززوا دبلوماسية التهديد السوفييتية إزاء القدس، وبيّنوا بشكل واضح لاسرائيل أن

التحركات الأخرى سيكون لها آثار خطيرة على المصالح الأمريكية تتجاوز كثيرا منطقة الخصومات المباشرة^(٨٠).

ما إن استقر وقف إطلاق النار بشكل فعلي عقب أزمة (التأهب) حتى انصرف الانتباه الى إعادة إمداد الجيش الثالث . وكانت القدس ترغب في أن يتوقف هذا على عودة الأسرى الاسرائيليين ، أما واشنطن فقد رغبت في فتح ممر للإمدادات بصورة مباشرة . وكرر الأمريكيون مرة ثانية تحذيرهم بأنهم لن يستطيعوا دعم اسرائيل إذا أدت سياستها المتصلبة إلى تجديد الخصومات ، لكن الأمريكيين أضافوا هذه المرة تهديداً آخر : إذا لم تفتح إسرائيل ممرا للجيش الثالث فإن الأمريكيين أنفسهم سوف يقدمون الأمدادات للمصريين . وكان هذا ، بناء على الدكتور كيسنجر ، من أجل الحل محل عملية إمدادات سوفيتية من شأنها أن تضعف بصورة جدية سمعة أمريكا في العالم العربي لو تمت . وجرى تأكيد التهديد بتحويل طائرات النقل من شحن الامدادات إلى إسرائيل إلى قواعد أوروبية استعدادا لارسال شحنات إلى مصر ولأعداد تجهيزات سوقية لانزالها بصورة مستمرة بالمظلات^(٨١) . أخلى الاسرائيليون الطريق مرة ثانية تحت ضغط مكثف ، لكنهم هذه المرة كانوا تحت تحذير أعم من أن مدى

العون العسكري الأمريكي في المستقبل لهم سيتوقف على رغبتهم في التعاون مع واشنطن من أجل التطورات السياسية في الشرق الأوسط^(٨٢).

لم يكن هذا طبعاً يعني أن الولايات المتحدة توشك أن تقلب دعمها التقليدي لإسرائيل الى ضده. فاستمر الأمريكيون في تعويض الخسائر الاسرائيلية، وأزيل القلق الاسرائيلي المباشر بشأن اغلاق المصريين مضائق باب المندب، وذلك بأنشطة قامت بها قوة مهمات أمريكية أرسلت إلى المحيط الهندي بعيد الحرب. فأخذت حاملة طائرات أمريكية تعمل في كانون الأول على مقربة من مدخل البحر الأحمر، بينما كانت طائراتها تخلق وتحوم بصورة دورية فوق السفن الاسرائيلية والمصرية الموجودة هناك. بل كان يعني فعلاً أن واشنطن عازمة على الاستفادة من الظروف السياسية التي ولدتها الحرب وساعدت السياسة العسكرية الأمريكية في تشكيل نتائجها. فقد كانت الاحتمالات للوصول إلى حل ملائم أكثر منها في أي وقت مضى منذ زمن ما قبل حرب الأيام الستة. وكان في وسع الأمريكيين عندئذ أن يستغلوا علاقتهم العسكرية مع إسرائيل من أجل الوصول إلى

تنازلات ضرورية لتحسين العلاقات العربية الأمريكية ولتقليص النفوذ السوفييتي وتقوية الأمن السياسي لإسرائيل^(٨٤).

استمرت هذه العملية قرابة سنتين وانتهت بالتوقيع على اتفاقيتين، مصرية - إسرائيلية، وسورية امبراطورية، لفك الارتباط. وبعد تراخي الروابط بين موسكو ومصر بدرجة ملموسة أصبحت واشنطن أقل تقيداً بالضغط على الاسرائيليين مما كانت عليه خلال الحرب^(٨٥). أما الاسرائيليون الذين صدمهم ظهور حقيقة مدى اعتمادهم على الولايات المتحدة خلال الحرب، فقد أصبحوا مرة ثانية حساسين للضغط. وقد أكد الدكتور كيسنجر مراراً المخاطر الكامنة في مفهوم للأمن قائم على الأراضي فقط، حين دل على ان الاستمرار في عدم المرونة السياسية يتعرض في المدى الطويل لخطر تلاشي العون العسكري الأمريكي، وحذر الاسرائيليين من دفع الولايات المتحدة إلى موقف العزلة السياسية منهم^(٨٦)، وأكد تحذيراته 'يفرض قيود من حين إلى آخر على شحنات الأسلحة'^(٨٧).

في الوقت ذاته أبدت الولايات المتحدة، مرة أخرى، استعدادها لتقديم إمدادات عسكرية إضافية ومختلف التأكيدات لدعم إسرائيل على المدى الطويل مقابل القبول بالتخلي عن

الأراضي . وكان الاسرائيليون قد أتموا في نهاية ١٩٧٦ برنامج طوارئ لإعادة تجهيز قواتهم بعد الحرب بالمعدات . وحصلوا على ما تزيد قيمته على خمسة بلايين دولار من الأسلحة من الولايات المتحدة^(٨٨) . مع العلم أن الأمريكيين قد موهبوا من ٦٠ الى ٧٠ بالمائة من معدات القوات المسلحة الاسرائيلية . ولم يقتصر الأمر على زيادة هذه الكميات من العتاد منذ الحرب ، بل عولجت نقاط الضعف الرئيسة التي تكتشفت في الحرب ، واستعاد الاسرائيليون تفوقهم من ناحية الكيف على العرب^(٨٩) ، كانت إمدادات الأسلحة هذه جزئياً نتيجة التزامات تعهدت بها الولايات المتحدة خلال دبلوماسية الخطوة فخطوة للدكتور كيسنجر . وأكثر هذه الالتزامات شمولاً حتى الآن ورد في مذكرة اتفاق مرافقة لاتفاقية فك الارتباط الثانية في سيناء التي عقدت في أيلول ١٩٧٥^(٩٠) . في هذه الاتفاقية تعهدت واشنطن أن تستجيب استجابة تامة ، في حدود مواردها وبتفويض الكونغرس واستنسابه ، بصورة مستمرة وعلى المدى الطويل لطلبات اسرائيل من المعدات العسكرية وغيرها من المتطلبات الدفاعية ، ولطلباتها من الطاقة ولاحتياجاتها الاقتصادية^(٩١) . وبالإضافة إلى هذا التزمت الولايات المتحدة بصورة رسمية بأن تتشاور مع اسرائيل إذا تهدد أمنها من جانب

(قوة عالمية)^(١٢). ووافقت على وضع خطط خلال شهرين لعملية إمدادات عسكرية لإسرائيل في حالة تعرضها لموقف طوارئ، كما التزمت بوضع ٢٠٠ موظف مدني أمريكي لتشغيل أنظمة الانذار المبكر في سيناء. وكانت مهمة هؤلاء تقديم معلومات عن أية انتهاكات للاتفاقية لكل من مصر وإسرائيل، ولقوة الطوارئ للأمم المتحدة التي شكّلت بعد حرب تشرين. إذا وضعنا جانباً القيمة العسكرية لهذا الالتزام^(١٣)، فإن وجود «حتى مجموعة رمزية من التقنيين الأمريكيين»، على حد تعبير وزير الدفاع شيمون بيريز «من شأنه (أن يردع) كلا الطرفين»^(١٤).

كان من الواضح إذن أن الأمن الإسرائيلي يجب أن يكون مسؤولية أمريكية على المدى الطويل. ولم يصبح بالنسبة لواشنطن قضية ذات أولوية إلا بعد نهاية أسوأ مرحلة من مراحل الحرب الباردة، ونشأت المسألة من قوة إسرائيل العسكرية إلى حد ما مما قد يدعو إلى السخرية، ولئن برهنت حرب الأيام الستة على قيمة إسرائيل كوكيل إقليمي، فإنها خلّفت إرثاً أبعد ما يكون عن إشاعة الاستقرار السياسي أو الحدودي. وتبع ذلك أن الولايات المتحدة أخذت ابتداءً من أواخر الستينات تواجه بطلب متزايد، وأحياناً محرج، لإرسال الإمدادات العسكرية إلى إسرائيل. كما أن

الحد العسكري الاسرائيلي الذي ساعدت الولايات المتحدة في إقامته أقصى عناصر هامة في العالم العربي ، وعجل عام ١٩٧٠ في تسلّل عسكري سوفيتي كبير إلى الشرق الأوسط عجزت الولايات المتحدة فعلاً عن مواجهته .

هذه التطورات لم تمنع بطبيعة الحال الولايات المتحدة من ضمان أن أمن إسرائيل ينبغي ألا يهدّد بهجوم عربي أو سوفيتي . لكنها عقدت ، بشكل واضح ، مهمة تقديم ما يلزم لضمان الأمن العسكري الاسرائيلي وجعلت واشنطن تؤكد الأبعاد السياسية للمشكلة أكثر من القدس . وبهذه الصورة نشأ بعض الاتفاق في المصالح التكتيكية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وظهر هذا الاتفاق بوضوح ليس فقط في عملية المفاوضات المتقطعة بين الدولتين العظميين من أجل تسوية بل أيضاً في تفاعل بين سياستيهما العسكريتين ساعد في الوصول الى تسوية مؤقتة . واستطاعت الولايات المتحدة أن تحدّ من الدعم السوفيتي لعمليات الهجوم العربي ضد إسرائيل ، كما استطاعت بالعمل بصورة مباشرة في بعض الأحيان ، وبصورة غير مباشرة في أحيان أخرى عن طريق الاتحاد السوفيتي ، أن تساعد في جعل الجميع يدركون أن وجود دوله يهودية مستقلة حقيقة لا يمكن نفيها . لكن

الولايات المتحدة كانت مقابل ذلك ، في بعض الأحيان ، تنقل دبلوماسية التهديد السوفيتي إلى القدس وتغزوها من أجل وضع حدّ للتسلل العسكري الاسرائيلي الى الأراضي العربية . واستعانت أيضا بالدعم العسكري السوفيتي للعرب ، وخصوصا في ١٩٧٠ وعقب حرب تشرين ، لحث إسرائيل على اتخاذ موقف أكثر مرونة في المساومة .

إلا أن المحاولات الأمريكية لوضع الأمن الاسرائيلي على قاعدة سياسية أقوى عن طريق استخدام السياسة العسكرية لم تلق إلا نجاحاً محدوداً . وثبت بصورة متناقضة أن الولايات المتحدة أحرزت أعظم نجاحها عقب السويس مباشرة حين كانت الروابط الأمريكية الاسرائيلية ضعيفة نسبياً . يضاف إلى هذا أن الاسرائيليين عندما أجروا تنازلات ، كما حدث في ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ، وكذلك بين ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ، كانت تنازلاتهم في قضايا لم يكونوا يعتبرونها ذات أهمية حيوية لأمنهم^(١) . وكانت استجابة لضغوط تجمع بين العصا والجزرة معاً . وإذا سلمنا هذا الجمع بين الأسلوبين كان أجدى وسيلة لمعالجة عدم المرونة في السياسة الاسرائيلية الناشئة عن الأحساس العميق بعدم الأمن ، إلى جانب استغلال اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة في الوقت

نفسه، يبقى هناك بعض الشك في المهارة التي نُفذت بها السياسة الأمريكية. فبينما كانت واشنطن تعاني صعوبة في الضغط على وكيل ثمين يتمتع بكيان سياسي هام في الولايات المتحدة، كان هناك رصيد سياسي قوي لممارسة ضغط كهذا، وقد استجابت القدس فعلا للتحذيرات الأمريكية، لأنها كانت واعية جدا عزلتها الدولية^(١٧١). وكما لاحظت المسز مائير «يصعب قول: لا، للولايات المتحدة، فمن يبقى غيرهم لتزويدنا بالسلاح؟»^(١٧٢) وهكذا فالمسألة هي: ألم تكن الولايات المتحدة متباطئة أكثر من اللازم في ممارسة الضغط عن طريق التهديد بايقاف أو انقاص الامدادات، ومستعدة أكثر مما ينبغي لتقديم الضمانات العسكرية من أجل خلق إحساس أكبر بالثقة بالنفس بشأن الأمن ومن أجل التعويض عن التنازلات الفعلية أو الشكلية؟ لأنه من الواضح أن مثل هذه الامدادات لم تكن بالضرورة تعطي مرونة لموقف المساومة الاسرائيلية^(١٧٣)، وكانت عوضاً عن ذلك تؤدي في بعض الأحيان إلى إلهاب سباق التسلح الاقليمي. لكن هناك أيضا مشكلة جوهرية أكبر. هل كان بإمكان أية كمية من الامدادات العسكرية الخارجية، بالإضافة الى أشد التأكيدات الأمريكية، أن تكون بديلا مقنعا للاسرائيليين عن مكاسب أمنية ملموسة مثل

الأراضي، وعن الأسلحة النووية التي ينتجها ويتحكم بها الاسرائيليون؟ .

ظهرت هذه المشكلات بصورة واضحة جداً خلال عملية دبلوماسية الخطوة فخطوة وبعدها . وقد دفع الأمريكيون ثمناً باهظاً لنجاحهم على الرغم من أن الاسرائيليين انسحبوا من ١٠ بالمائة فقط من الأراضي التي احتلوها في ١٩٦٧ ، وتجنبوا بعناية جميع القضايا الأشد صعوبة ، لكن أصبح واضحاً مرة أخرى أن القدس كانت حساسة للضغط وكان لا بد لجزء على الأقل من أي نجاح طويل الأمد للجهود الأمريكية أن يعتمد على الجمع بين الحزم والجهد المستمر ، وهما صفتان لم يكن المناخ السياسي الداخلي في أمريكا ولا تنظيم ماكينة صناعة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة بقادرين على توفيرهما بسهولة .

الحواشي

- ١ — شيمون بيريز ، مقال داوود ، ص ص ١٤٦ — ١٤٨ .
- ٢ — من أجل تفاصيل التعاون العسكري الفرنسي الاسرائيلي انظر سيلفيا كرويت كروسي ، حلف خفي : فرنسا وإسرائيل من السويس الى حرب الأيام الستة ، ص ص ١٩ — ٢١ — ١٠٤ — ١٠٥ ، ١٦٨ — ١٦٩ ، ١٨٠ .
- ٣ — في رأي رئيس هيئة الأركان المشتركة ، الأميرال رد فورد ، كانت الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الاتحاد السوفيتي التدخل مباشرة هي ضربات بعيدة المدى بأسلحة نووية ، وهو عمل بعيد جداً عن الوقوع . دوايت أيزنهاور ، سنّ السلام ، ص ٩١ .
- ٤ — كان أيزنهاور قلقاً من أن الاتحاد السوفيتي ، بعد الاضطرابات الهنغارية ، قد يرغب في اللجوء إلى أية «مغامرة خشنة» . إن السوفييت «خائفون وهائجون كما كان هتلر في أيامه الأخيرة . ولا يوجد أخطر من ديكتاتور في تلك الحالة الذهنية» . المصدر ذاته ، ص ٩٠ .
- ٥ — شارلز بوهلن ، شهادة للتاريخ ، ص ص ٤٣٣ — ٤٣٤ . كان

هذا جزئيا لأن الرمييين الأمريكيين خلال الحرب الكورية أهملوا
مخطئين التهديدات الصينية بارسال متطوعة.

٦ — اقترح أيزنهاور دعوة الموظفين من الاجازات، «عمل يستحيل
إخفاؤه ومن شأنه أن يجعل الروس يعلمون — من دون أن
يشيروهم — أننا لن نؤخذ على غرة» **شأن السلام**، ص ٩١؛

٧ — العميد البحري ج. س. ويلي، **الأسطول السادس
والدبلوماسية الأميركية**، في ج. س. هورويتز (الناشر)،
التنافس الأمريكي السوفييتي في الشرق الأوسط، ص ص
٥٥، ٥٦

٨ — آبا إيبان، **بلادي**، ص ١٤٧، داود بن غوريون، **اسرائيل —
تاريخ شخصي**، ص ٥٠٩.

٩ — شرمان آدامز، **تقرير مباشر**، ص ٢٢٥.

١٠ — من أجل تقرير عن الدور الفرنسي الخطير، انظر كروسي.
المصدر السابق، ص ص ٩١ — ٩٢. **يذهب بار — زوهار**
إلى أن أحد أسباب قبول الاسرائيليين بالمقترحات الفرنسية لحل
مشكلتي غزة وشرم الشيخ هو الخوف من إيذاء فرنسا ومن ثم
التعرض لخطر انقطاع إمدادات الأسلحة الفرنسية. **النبي
المسلح**، ص ٢٥٣.

١١ — صرح الرئيس أيزنهاور في ٢٠ شباط ١٩٥٧ بأن «الولايات
المتحدة كانت مستعدة لممارسة هذا الحق ذاته وللاشتراك مع

آخرين للحصول على اعتراف بهذا الحق». ميشيل هوار
وروبرت هانتر، اسرائيل والعالم العربي: أزمة ١٩٦٧، ص
٨.

١٢- بار- زوهار، المصدر السابق، ص ٢٥٧. روبرت سانت
جون، ايمان، ص ٣٢٩. كانت إسرائيل قد سعت إلى ضمان
دفاعي أمريكي قبل السويس.

١٣- ورد في روبرت برانجر وديل تاهتين، التهديد النووي في الشرق
الأوسط، ص ٤. بعد التطمين الرئاسي، قدمت لوفد إسرائيلي
زار واشنطن خلاصة للوضع الدولي تتضمن استعراضاً مفصلاً
لقدرات الولايات المتحدة على التدخل في الصراعات الإقليمية،
كدليل على أن الوعود الأمريكية «كانت مدعومة بالقوة».
وتعهد الأمريكيون أيضاً بأن «يدرسوا بصورة جدية» الاستعداد
لنجدة إسرائيل إذا تعرضت للهجوم. يبرز، المصدر السابق،
ص ١٠٦.

١٤- حنا كمشة، فلسطين أم إسرائيل: قصة سبب إخفاقنا التي لم
ترو، ص ٢٥١.

١٥- كانت وزارة الخارجية راغبة في إتمام إعادة فتح المضائق خوفاً من
أن يؤدي الفشل في قلب الأمر الواقع في مصر إلى تقوية موقف
ناصر في العالم العربي مما يؤدي إلى احتمال سيطرته على دول
النفط. وليم كواند، (سياسة الولايات المتحدة في الشرق

الأوسط). في هاموند والكسندر (الناشر) ديناميكية السياسة
في الشرق الأوسط، ص ٥٢٠.

١٦ — أوجين روستو، السلام في الميزان، ص ٣٦٣. كان من بين
المشاكل العسكرية الأخرى تأمين تغطية جوية، وصعوبة القيام
بعمليات تحت الهجوم في منطقة البحر الأحمر المحصورة.
جوناثان هوي، الأزمات المتعددة، ص ٦٨.

١٧ — يذهب هوي إلى أن الاعتماد الكبير غير المؤلف على الدعم
البريطاني كان سيكولوجيا بقدر ما كان عسكرياً. صحيح أن
البريطانيين كان لهم قوات جنوبي السويس لكن كان هناك أيضاً
اهتمام من جانب الكونغرس بوجوب أن تكون أية عملية دولية
لا وحيدة الطرف، كما كان هناك خوف لدى الجميع من أن
تتحول إلى جندرية دولية. وتناقضت الأهمية المعلقة على الدعم
البريطاني بعد أن زال التحدي في البحر الأحمر، لكن الوجود
البحري البريطاني في البحر الأبيض المتوسط ازداد أهمية نظراً
لازدياد إمكان التدخل الروسي خلال الحرب. المصدر ذاته،
ص ص ٨٩، ١٢٥ = ١٢٦.

١٨ — موشي دايان، قصة حياتي، ص ٢٦٣، زيف — شيف، تاريخ
الجيش الإسرائيلي، ص ١٥٤، وروبرت سانت جون، المصدر
السابق، ص ٤٢٦.

١٩ — لندن بينز جونسون، نقطة التفوق، ص ٢٩٣، ومايكل

- بريشر، قرارات في سياسة اسرائيل الخارجية، ص ٣٢٢.
- ٢٠ — المصدر ذاته. ص ٤٢١.
- ٢١ — عبد اللطيف، (أمريكا واسرائيل والعرب)، أفق باكستان، الجزء ١٧ رقم ١، ١٩٧٤، نقلا عن ملحق الشؤون الخارجية آنذاك في السفارة الأميركية في القاهرة. ص ٢٣.
- ٢٢ — أهمل ناصر اقتراحات العسكريين بقيام مصر بالضربة الأولى بسبب خطر جذب الولايات المتحدة إلى الحرب. أما الضربة الاسرائيلية الأولى فقد كان من المرتقب أن تبقي الولايات المتحدة خارج الحرب. ثيودور دير، (من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣: الحروب العربية — الاسرائيلية)، التعليق، كانون أول ١٩٧٣، ص ٣٥.
- ٢٣ — أوجين روستو، نقلا عن (صراع الشرق الأوسط)، لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب، اللجنة الفرعية بشأن الشرق الأوسط، تموز ١٩٧٠، ص ٣١٥. وجونسون أيضاً، المصدر السابق ص ٢٨٨.
- ٢٤ — ونستن بردت، لقاء مع الشرق الأوسط، ص ٣٣٠.
- ٢٥ — هوي، المصدر السابق. ص ص ١٠٦، ١٠٧، وجونسون، المصدر السابق، ص ٣٠٢.
- ٢٦ — المصدر ذاته.
- ٢٧ — الشرق الأوسط الجديد، حزيران ١٩٧٠، ص ٥٠. أنظر أيضاً المصدر السابق، ص ٣٠٤. بناء على تقرير جونسون

أخبر الأمريكيون كوسيفغن (بالخط الساخن) أنهم كانوا يضغطون على الاسرائيليين لكي يجعلوا وقف إطلاق النار فعالاً تماماً وأكدوا له أن هذا سيحصل. من المحتمل أن هذا الضغط الأمريكي قضى على الأزمة. لكن ربما كان هذا هو الذي كان يقصده الاتحاد السوفيتي تماماً، ويمكن الذهاب الى أن العمل الأمريكي أقنع الاتحاد السوفيتي بأن سياسة التهديد هذه قد تكون أداة فعالة جداً للسياسة العسكرية في ظل ظروف مماثلة. جونسون، المصدر السابق، ص ٣٠٣، وجون غلاسمان، الأسلحة للعرب، ص ٥٨.

٢٨ — من أجل دليل على أن الاسرائيليين ربما حصلوا على تشجيع لكي يتحركوا ضد سورية في نهاية الحرب، انظر سانت جون، المصدر السابق، ص ٤٦٢.

٢٩ — إن العلاقة بشأن المخابرات كانت مفيدة للطرفين. ويقال إن مصلحتي المخابرات الاسرائيلية والأمريكية تعاونتا ضد أهداف المخابرات السوفيتية وغيرها من أهداف المخابرات المشتركة، وإن الأمريكيين استفادوا من الأنشطة الاسرائيلية لجمع المعلومات وغيرها ليس فقط من الشرق الأوسط لكن في أفريقيا أيضاً. انظر، من بين مصادر أخرى، الكريشيان ساينس مونيتور، ٦ كانون أول ١٩٧٣، والفارديان، ٢٥ فبراير ١٩٧٧، ومارفن وبرنار كالب، كيسنجر، ص ٤٥٥، وفريق الساندي

تايمز. لتقصي الحقائق، حرب يوم كيپور، ص ص ١٠٣،

١١٢، ١١٣.

٣٠ — (توازن القوى العسكري في الشرق الأوسط: نظرة أمريكية)،
مجلة الدراسات الفلسطينية، ربيع ١٩٧٢، ص ص ٥، ٦.
إلا أن عبارة «توازن» كانت في ذاتها غامضة وقابلة لعدد من
التفسيرات داخل الإدارة الأمريكية. لكنها طبعاً كانت من ناحية
المعاني مفيدة في العلاقات العربية الأمريكية بسبب انطباع
التقيد في سياسة امدادات الأسلحة الذي كانت تسعى إلى
إعطائه. روبرت ج برانجر، السياسة الأمريكية من أجل
السلام في الشرق الأوسط، ص ٢٧.

٣١ — بناء على تقرير ظهر في النيويورك تايمز في ١٨ تموز ١٩٧٠،
بقيت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ستين على الأقل
تسير على افتراض أن إسرائيل تملك أسلحة نووية أو تستطيع أن
تجمع بسرعة أسلحة نووية.

٣٢ — بكلمات دايان، (تقع إسرائيل على بعد حركة عمليات واحدة
فقط من جميع العواصم العربية، على بعد أقل من ١٠٠
كيلومتر من القاهرة ودمشق وعمان وبيروت. ليس لدينا نوايا
عدوانية. لكن وجودنا على طول هذه الحدود.. هو أكثر من
مجرد تحدٍّ للأقطار المحيطة بنا — إنه يعرض أسسها للهلاك
تماماً). شابتوي تيريه. موشيه دايان، ص ٣٤١.

٣٣ — في ٣٠ حزيران كان في مصر ١٢٠ طائرة ميغ ٢١ بقيادة طيارين سوفيت وبين ٤٥، و ٥٥ موقع صواريخ SAM³ و ٨٠٠٠ عامل على الصواريخ. مسح استراتيجي ١٩٧٠، ص ٤٧.

٣٤ — كالب وكالب، المصدر السابق، ص ١٩٣.

٣٥ — يقال (إن الحديث الصريح المفاجيء من قبل الرئيس) جاء مفاجأة لكثير من البيروقراطيين. الواشنطن بوست، ١١ تموز ١٩٧٠.

٣٦ — انظر الفصل السادس.

٣٧ — انظر المقال بقلم ستيفورات ألسوب في النيوزويك، ٣ آب ١٩٧٠.

٣٨ — انقسم صانعو السياسة الأمريكية حول الجواب الأمريكي الصحيح. ويقال إن هيئة الأركان المشتركة حَبَّذت إمداد إسرائيل على وجه السرعة بالمزيد من الطائرات وقيام الأسطول السادس بزيارة لها. النيوزويك، حزيران ١٩٧٠.

٣٩ — ذهبت المسز مائير في ٣٠ كانون أول ١٩٧٠ إلى حدّ القول، إن الاقتراح الأمريكي (ينطوي على تهديد خطير لصميم وجودنا). ورد في شلومو سلونيم، العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة، ١٩٦٧ — ١٩٧٣، ص ٢٠.

٤٠ — المصدر ذاته، ص ٢١.

٤١ — ورد على لسان موظف سابق في الادارة الأمريكية (السياسة المبدعة التي تعتمد الى المبادرة. مثلما تعتمد إلى الاستجابة... تتطلب جهداً ضخماً، وقد يُذل هذا الجهد داخل حكومة الولايات المتحدة خلال الأشهر التسعة الأولى من ١٩٧٠ حين كان جهاز الأمن القومي كله — الذي يشمل موظفي الخارجية والدفاع، ووكالة الاستخبارات المركزية ومجلس الأمن القومي — يعمل لصياغة سياسة عسكرية وسياسية استطاعت أن تحقق نتائج هامة للسلام في آب ١٩٧٠) روبرت ج بانجر، المصدر السابق ص ٥٦.

٤٢ — واشنطن بوست، ٨ حزيران ١٩٧٠. بير إفرون، الشرق الأوسط، ص ١١٦.

٤٣ — في هذا أيضا استخدم الأمريكيون عامل الخطر السوفييتي، حين أفهموا الاسرائيليين أنهم سوف يترددون كثيرا في تقديم مزيد من الطائرات لهم إلى أن يتم وقف إطلاق النار. وفي الوقت ذاته سعت واشنطن إلى استغلال علاقة تقديم الأمدادات العسكرية مع إسرائيل وأبلغت موسكو والقاهرة أنها سوف تضطر إلى تزويد إسرائيل بمزيد من طائرات F4 إذا لم تقبل مصر بوقف إطلاق النار. ويتن، المصدر السابق، ص ١١٢.

٤٤ — أشار وزير الدولة روجرز في مؤتمر صحفي في ٢٥ يونيو إلى أنه

ليس من المفيد مناقشة العون العسكري لإسرائيل علناً،
نيوزويك، ٦ تموز ١٩٧٠.

٤٥ — انظر براونجر، المصدر السابق، ص ٢٤.

٤٦ — كان في. حوزة إسرائيل أكثر من أي حليف آخر لأمريكا
معلومات واسعة عن التدابير التكنولوجية الالكترونية الأمريكية
المضادة. كما كان في وسعها الوصول إليها أكثر من أي حليف
آخر.

أسبوع الطيران، ١٩ تشرين اول ١٩٧٠.

٤٧ — رسالة نيكسون الشخصية دليل على نقطة التحول في القرار
الإسرائيلي. لقبول الاقتراح الأمريكي. وقد تضمنت تأكيدات
كثيرة بشأن الموقف الأمريكي من موقف التفاوض الإسرائيلي.
يمكن رؤية مدى مختلف التأكيدات في ضوء الرأي الذي يُعزى
إلى جوزيف سيسكو بأن إسرائيل لن تقدّم أية تنازلات إطلاقاً
حتى تصبح منيعة عسكرياً. ميكائيل بريشر، (إسرائيل ومبادرة
روجرز بشأن السلام)، Orbis، صيف ١٩٧٤، ص ص
٤١٤، ٤٢٥، ادوارد ر. ف شيهان (كيف عملها كيسنجر:
دبلوماسية الخطوة خطوة في الشرق الأوسط). السياسة
الخارجية ربيع ١٩٧٦، ص ٩.

٤٨ — ويتن، المصدر السابق، ص ١١٦ — ١١٧. جدّدت هذه

التأكيدات في نوفمبر لدى زيارة إيمان، وزير الخارجية،
لواشنطن.

٤٩- استقال من الحكومة ستة من وزراء الجناح اليميني في حزب
جاهال، المصدر ذاته، ص ص ١١٧، ١١٩.

٥٠- ولكن بخطر المجابهة بين إسرائيل والطران السوفييتي لم يُستبعد
تماماً إلى أن تم إخراج السوفييت من مصر في تموز ١٩٧٢.

٥١- ورد عن موظفي وزارة الخارجية قولهم إنه لن يتم بيع إسرائيل
طائرات F 4 لأن الاتحاد السوفييتي يطبق قيوداً على شحن
الأسلحة إلى مصر. اقترناشينال هيرالد تريبون، ١٧ تشرين الثاني

١٩٧١.

٥٢- نيويورك تايمز، ٤ آب ١٩٧١.

٥٣- كان الأمريكيون يحاولون أيضاً اللجوء إلى تأكيدات الدعم
للحصول على تنازلات. ففي الصيف زار سيسكو إسرائيل في
محاولة لاقتناع الاسرائيليين بالانسحاب من القناة والسماح
للقوات المصرية بالعودة إلى مواقعها في الضفة الشرقية. ورؤى
عن المصادر الاسرائيلية قولها إن الاسرائيليين كانوا متأكدين من
أن الأمريكيين يستطيعون إرسال ١٠٠ طائرة F 4 على وجه
المرعة الى اسرائيل خلال بضعة أيام، إذا حاول المصريون
استعادة بقية سيناء نتيجة لذلك. نيويورك تايمز، ٢٠ ايلول
١٩٧١.

- ٥٤ — ويتن، المصدر السابق، ص ٢٠٣.
- ٥٥ — ايفرون، المصدر السابق، ص ٢١٧، لكن الولايات المتحدة لم تعلن بصورة غير رسمية عن بيع ٤٢ طائرة F4 و ٩٠ طائرة A 4، وعلى أن تسلم في مدة ثلاث سنوات، إلا بعد أربعة أيام من إعلان إسرائيل قرارها بقبول المفاوضات. ويتن، المصدر السابق، ص ٢٠٧.
- ٥٦ — لا يمكن أيضا تحديد درجة الاستعجال في المحاولات الأمريكية في هذه المرحلة. ويبدو أن الأمريكيين لم يأخذوا كلام السادات مأخذ الجد، وبعد خروج الروس من مصر لا بد أن الحافز إلى القيام بمبادرة دبلوماسية كبيرة قد ضعف أكثر. فأرسل نيكسون بعد خروج السوفييت رسالة سرية إلى السادات تعهد فيها بأن تركز الإدارة على الشرق الأوسط حالما تنتهي الانتخابات الرئاسية والمفاوضات الفيتنامية من أجل السلام. ماتي جولان، المحادثات السرية لهنري كيسنجر، ص ١٤٥. ادوارر. ف. شيهان، المصدر السابق، ص ٩، مارفن وبرنار كالب، المصدر السابق، ص ٤٢٤.
- ٥٧ — المورر. زوموالت، (دروس للناتو Nato من التجربة العسكرية الأخيرة)، اتلانتيك كومونيستي كوارترلي فصلية، شتاء ١٩٧٤ / ١٩٧٥، ص ٤٥٠.
- ٥٨ — للحصول على وصف لهذا التدريب السياسي الحساس جداً،

انظر وولتر لاکور وادوار لوتواک، (کیسنجر وحرب يوم

الغفران، کومانٹیری ایلول ۱۹۷۴.

— ۵۹ جولان، المصدر السابق، ص ۴۶.

— ۶۰ أرسلت إمدادات سلاح محدودة قبل ۱۴ أكتوبر، تشمل

صواريخ جو — جو ومعدات مضادة الكترونية. وجاء مع هذه

الأخيرة تقنيون أمريكيون. فلايت، ۲۲ تشرين الثاني ۱۹۷۳،

وفريق الساندي تايمز لتقصي الحقائق، المصدر السابق، ۲۷۵.

— ۶۱ كالب وكالب، المصدر السابق، ص ۴۸۳.

— ۶۲ شيف، المصدر السابق، ص ۱۹۶. لدى اندلاع حرب الأيام

الستة وضع الأسطول السادس في وضع التأهب التام للمعركة

(تأهب ۱). وأرسلت حاملة طائرات وثلاث مدمرات لتأخذ

مواضعها بين كريت وقبرص في المناطق التي تقوم السفن

السوفيتية بمراقبتها. أما حاملة الطائرات الثانية فقد جيء بها

بعد ذلك من برشلونة إلى الشرق. فريق الساندي تايمز لتقصي

الحقائق، المصدر السابق، ص ۲۷۱.

— ۶۳ ويتن، المصدر السابق، ص ۲۸۷. ملاحظة، تعليق مماثل من

الدكتور شلسنجر، النيويورك تايمز، ۱۹ أكتوبر ۱۹۷۳.

— ۶۴ (تلك السفن التي ضربتها العاصفة، ولم تلق الجيوش العربية

عليها أية نظرة)، سجلات معهد الولايات المتحدة البحري،

ايار ۱۹۷۵.

٦٥ - رأي س. كلاين، (مياسة من دون مخاطر)، فورن بوليسي،
شتاء ١٩٧٤/١٩٧٥، ص ص ١٢٨، ١٢٩. لكن يُستدل
بعض الشيء على مدى العملية وفحواها من وضع أسراب
الدفاع الجوي للحرس القومي الجوي في حالة التأهب، مما يشير
إلى أن الولايات المتحدة كانت تتجه إلى مقابلة التهديد النووي
السوفييتي المباشر لها. أسبوع الطيران، ٢٩ تشرين الأول
١٩٧٣.

٦٦ - أدى وجود صواريخ سكود إلى قيام (بعض الاتصالات على
مستوى عال) مع الاتحاد السوفييتي. واشنطن بوست، ٢١
تشرين الثاني ١٩٧٣. انظر أيضا غلاسمان، المصدر السابق،
ص ١٦٣.

٦٧ - الأسطول السادس، وإن كان أقل عددا، كان يملك ميزة وجود
دعم جوي معه، وكان يحتفظ بميزة للتفوق في قوة النيران. لكن
هذا التقدير لم يكن ليتفق عليه الجميع في القوات البحرية
للولايات المتحدة. فقد ذهب الأمiral زرمالت إلى أن ما كان
يتمتع به الأسطول السوفييتي في المتوسط من تفوق في
الأعداد، مع امكان توفير غطاء جوي له من قواعد في مصر
وسورية ويوغوسلافية وجزيرة القرم، الى جانب الصعوبات في
حصول الأمريكيين على حقوق استخدام القواعد. كان معناه
أن الولايات المتحدة لم يكن أمامها سوى أن ترضخ لتهديد ٢٤

تشرين الأول. غلامان المصدر السابق، ص ١٦٢،
الغاريان، ٢١ تموز ١٩٧٥.

٦٨ — استقال سبيرو أغنو نائب الرئيس في ١٠ تشرين الأول، وفي
١٢ تشرين الثاني حكمت محكمة الاستئناف بأنه يجب على
الرئيس تسليم شرائط البيت الأبيض إلى المدعي العام الخاص،
أرشيبالد كوكس، وفي ٢٠ تشرين الأول صرف نيكسون
كوكس. وعقب هذا مباشرة استقال النائب العام، ايليوت
ريتشاردسن. وقد ورد عن الموظفين الرسميين قولهم ان «التأهب»
نتج عن الشعور لدى الادارة بأنها مطوّقة، بسبب ووتر غيت
جزئياً، لكن أيضاً بسبب «طبيعة الارتباب» لدى كل من
الرئيس نيكسون والدكتور كيسنجر. واشنطن بوست، ٢٨
تشرين الثاني ١٩٧٣.

٦٩ — في ١٧ أكتوبر أخبر كيسنجر وفدا زائراً مؤلفا من وزراء
خارجية عرب أن أمريكا لن تتدخل في القتال إلا إذا «انتهكت
حدود إسرائيل الحقيقية». محمد هيكل، الطريق إلى رمضان،
ص ٢٣٤.

٧٠ — حين بدأت الامدادات الجوية الأمريكية الواسعة النطاق، كانت
واشنطن تعتقد أن إسرائيل على وشك الهزيمة. التايمز، ٣١
تشرين اول ١٩٧٣.

٧١ — اقترناشبال هرالد تريبون، ٣ كانون أول ١٩٧٤.

- ٧٢ — فريق الساندي تايمز لتقصي الحقائق، المصدر السابق، ص ٣٧٦.
- ٧٣ — أمنون سيللا، كيف سيكون شكل الحرب القادمة، ص ١١.
- ٧٤ — الجنرال ب. ك، كارلتن، جريدة القوات المسلحة، آب ١٩٧٤. كانت التجهيزات تتراوح بين ذخيرة للبنادق وثياب داخلية، وبين البطانيات والطائرات المقاتلة. لكن الاسرائيليين لم يتسلموا إلا كمية قليلة من الأسلحة التي طلبوها. لاکور ولوتواك، المصدر السابق، ص ٣٩، ودايان، المصدر السابق، ص ٤٢١/٤٢٢.
- ٧٥ — كالب وكالب، المصدر السابق. ص ٤٧٩، فريق الساندي تايمز لتقصي الحقائق، نظرة عميقة على حرب الشرق الأوسط، ص ١٣٢.
- ٧٦ — لاکور ولوتواك، المصدر السابق، ص ٣٩.
- ٧٧ — لكن يمكن أن يتحمل الدكتور كيسنجر بعض المسؤولية عن هذا. فحينما كان في القدس في طريق العودة من موسكو، أعطى تصريحات كان عدد منها يَحتمل معنى الأمر بالمضي قدما لتطويق الجيش الثالث. جولان، المصدر السابق. ص ص ٨٦/٨٧.
- ٧٨ — كان الأمريكيون قد أكدوا من قبل لكل من العرب والاتحاد السوفيتي بأن الولايات المتحدة لن تسمح للاسرائيليين بتدمير

الجيش الثالث أو تجربيته. جولان، المصدر السابق، ص ص ٨٩، ١٠٤. انظر أيضا هيكلم، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

٧٩ — المصدر السابق، ص ٨٨.

٨٠ — ويتن، المصدر السابق، ص ٢٩٣ — يُذكر عن دايان أيضا قوله إن واشنطن (نقلت البنا دليلا على أن القوات السوفيتية المحمولة جواً تستعد للتدخل مباشرة لانقاذ الجيشين الثاني والثالث المصريين. وأنه إذا لم تقبل إسرائيل بوقف إطلاق النار فإن الولايات المتحدة لن تقف في طريق الاتحاد السوفيتي)، الاوزرور، ١٦ كانون أول ١٩٧٣.

٨١ — جولان، المصدر السابق، ص ص ١٠٥/١٠٦، ١٠٨، دايان، المصدر السابق، ص ٤٤٨، ولورنس ويتن، النزاع العربي الاسرائيلي، ص ٣٢.

٨٢ — جولان، المصدر السابق، ص ١٠٩.

٨٣ — بكلمات دايان «كانت الإشارة كافية» المصدر السابق ص ص ٤٥٨ / ٤٥٩.

٨٤ — يعتقد شيهان أن واشنطن نجحت للمرة الأولى في رسم سياسة عربية «تقوم على التزام أمريكا بالعمل في سبيل الوصول إلى حلّ يحسب حسابا للمصالح العربية، بشرط أن يفهم العرب أن الولايات المتحدة لن تتخلى عن إسرائيل. المصدر السابق، ص ١٧.

٨٥ — على الرغم من أن اللوبي الاسرائيلي ظل يؤلف قيدا كبيرا للضغط الذي يمكن أن تمارسه واشنطن على القدس. المصدر ذاته، ص ٦٧.

٨٦ — واشنطن بوست، ٢١ أذار ١٩٧٦. يلاحظ جولان عن المفاوضات المؤدية إلى اتفاقية فك الارتباط الاسرائيلية السورية (أن اسرائيل كانت تتفاوض لا مع سورية وحدها بل مع الولايات المتحدة بالدرجة الأولى أيضا. فلو لم يتم الوصول إلى اتفاق لكان من الضروري بالنسبة لاسرائيل أن يغادر كيسنجر المنطقة من دون أن يحملها تبعة فشل المفاوضات الأمر الذي كان من الممكن أن تكون له انعكاساته على مجال العون العسكري والسياسي). المصدر السابق، ص ٢١٠.

٨٧ — في نهاية ١٩٧٣. في صيف ١٩٧٤ حين كان الدكتور كيسنجر يتحرى إمكان عقد اتفاقية مؤقتة مع الأردن، وبشكل أهرز في صيف ١٩٧٥ عَقب توقف أول محاولات الدكتور كيسنجر للتفاوض من أجل اتفاقية فك ارتباط مصرية إسرائيلية ثانية.

٨٨ — فاينانشال تايمز، ٢٢ كانون أول ١٩٧٦.

٨٩ — يمكن الاستدلال على القيمة الاقتصادية للعون العسكري الأمريكي إذا علمنا أن الاتفاق العسكري الاسرائيلي في ١٩٧٥ بلغ ١٥٩٠ بالمائة من مجموع الانتاج الوطني، وهو رقم كان

سمتفع الى ٢٦٨٨ بالمائة لو لم تتوافر المساعدة الأمريكية.
المظاهر العسكرية للصراع العربي الاسرائيلي، ص ص
١٨٠/١٨٩، الفايئاشيال تايمز، ٢١ كانون ثاني ١٩٧٧،
شيهان، المصدر السابق، ص ٦٦.

٩٠ — ان المسودة الاسرائيلية لـ «مذكرة التفاهم» بلغت مبلغ التحالف
العسكري والسياسي الرسمي، لكن الولايات المتحدة خففت من
لهجتها ولذلك، باستثناء الفقرة المتعلقة بامدادات النفط، التي
كانت تؤلف في نظر الادارة تعهدا ملزما قانونيا، كانت الوثيقة
بشكل عام بياناً يتضمن حسن نية الولايات المتحدة، فبينما
كان في وسع الدكتور كيسنجر أن يخبر لجنة من الكونغرس أنه
لا يوجد في هذه التأكيدات أي شيء يتجاوز كثيرا الالتزامات
أو نقاط التفاهم القائمة مع إسرائيل من قبل، ذهب الرسمىون
الاسرائيليون إلى أن المذكرة كانت «أكثر جدا من الصداقة
بالمفهوم العام الذي كان قائما بين اسرائيل والولايات المتحدة
حتى الآن». شيهان، المصدر السابق، ص ٦٠، الشهادات،
لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، (نظام الانذار
المبكر في سيناء)، تشرين أول ١٩٧٥. ص ص ٢٢٣،
٢٣٧، واشنطن بوست ٢ ايلول ١٩٧٥.

٩١ — هذا الالتزام كان شبيها بذلك الذي ورد في (مذكرة التفاهم)
التي رافقت الاتفاق الأول لفك الارتباط بين مصر واسرائيل.

لكن، ينص ملحق سري في مذكرة ١٩٧٥ على « ان الولايات المتحدة مصممة على مواصلة الأبقاء على قوة إسرائيل الدفاعية عن طريق إمدادها بأنواع متقدمة من المعدات مثل طائرات F ١6 . وأن حكومة الولايات المتحدة توافق على عقد اجتماع مبكر للقيام بدراسة مشتركة للبند المعقدة وذات التقنية العالية ومن ضمنها صواريخ برشينغ أرض— أرض ذات الرؤوس التقليدية، من أجل إعطاء جواب إيجابي . وأن الإدارة في الولايات المتحدة سوف تطلب سنوياً من الكونغرس الموافقة على عون عسكري واقتصادي لمساعدة إسرائيل في مواجهة احتياجاتها العسكرية والاقتصادية» شيهان، المصدر السابق، ص ٣٤، وواشنطن بوست، ١٦ ايلول ١٩٧٥ .

٩٢— المسودة الأصلية لهذه الفقرة، التي كانت الإدارة قد قبلتها في البداية، كانت تتضمن أنه في حالة تورط قوة أجنبية سوف يكون هناك تورط معاكس فعال أوتوماتيكي، أي عسكري، من جانب الولايات المتحدة. جولان، المصدر السابق، ص ص ٢٤٨، ٢٤٩ .

٩٣— قيل إن المخططات كانت غير ملائمة للأسلحة المقدمة لاسرائيل بموجب الاتفاقية. إن الولايات المتحدة « أقامت، فيما يظهر، نظاماً للأنذار من أجل الحرب الأخيرة وقدمت أسلحة للحرب التالية في آن واحد». روبرت ج. برانجر ودبليو. ر. تاهتينن،

مضامين الوضع العسكري العربي الاسرائيلي عام ١٩٧٦ ،
ص ١٢ .

٩٤ — شيان، المصدر السابق، ص ٦١ . قابل هذا بالدكتور
كيسنجر في الشهادات، المصدر السابق ص ٢١٩ .

٩٥ — دينس شابلن، «التحكم المادي والسلام: الشرق الأوسط»،
جريدة معهد الخدمات المتحدة الملكية، آذار ١٩٧٦ ، ص
٣٥ .

٩٦ — يقال إن السويس أقنعت بن غوريون أنه من دون الدعم
الأمريكي أو القبول الأمريكي لن تستطيع اسرائيل أن تقوم مرة
ثانية بعمل جسور . بار — زوهار، المصدر السابق، ص
٢٥٦ .

٩٧ — ورد في بريشر، أوريس، المصدر السابق ص ٤١٩ . انظر
أيضا دايان، المصدر السابق، ص ٤٦٥ .

٩٨ — لخص الدكتور كيسنجر هذه العضلة تلخيصاً محكماً : (عندما
أطلب من راين تقديم تنازلات يقول لا أستطيع لأن اسرائيل
ضعيفة. لذلك أعطيه مزيداً من السلاح فيقول لا حاجة بي إلى
تقديم تنازلات لأن إسرائيل قوية. » . شيان، المصدر السابق .
ص ٦٦ .

الفصل التاسع

أخطار المواجهة بين الدولتين العظميين

كانت كل أزمة شرق أوسطية كبيرة، وبشكل خاص كل
جولة حرب عربية إسرائيلية، تُنصب شبح مواجهة بين الدولتين
العظميين . وكانت واشنطن وموسكو تخشيان اصطدام قواتهما في
الشرق الأوسط، أو على مقربة منه، اصطداماً يمكن أن يؤدي إلى
قصف نووي متبادل. برز هذا الخطر في أواسط الخمسينات
عندما كانت الحرب الباردة ما تزال حادة. وتجدد بعد حوالي
عشرة أعوام لدى اندلاع حرب الأيام الستة التي أظهر رد الفعل
الأول السوفييتي عليها ما يشبه «القلق الموهوس» على حد تعبير
موظف أمريكي^١. وفي السنوات الأخيرة شبّهت إدارة نيكسون
مراراً الوضع القائم في الشرق الأوسط بذلك الذي كان قائماً في
البلقان قبل الحرب العالمية الأولى، مخدّرة من أن الصراعات في
المنطقة يمكن أن تكون سبباً مساعداً لنشوب صراع بين الدولتين

العظميين شأن المنافسات في البلقان منذ أكثر من نصف قرن .
كم كان هذا التصور واقعياً ؟ يجب عدم المبالغة في
الأخطار ، فقد كانت أزمات الشرق الأوسط أقل خطورة من
الأزمات حول برلين في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، أو
حول كوبا في عام ١٩٦٢ . وكانت دبلوماسية التهديد بين
السويس وحرب تشرين تتضمن عنصراً كبيراً من التمثيل والأيهام .
ويجب في عدد من الحالات النظر إلى تحريك القوات على أنه
محاولات لتشجيع الحلفاء وارهاب الخصوم ، لا علامات على نية
جدية للتدخل . وحتى التأهب الأمريكي الذي حدث في ٢٥
تشرين الأول وسط دعاية كبيرة ، وُصف فيما بعد من قبل
موظف أمريكي بأنه لم يكن مؤذياً من وجهة النظر العسكرية^(١) .
ويمكن أن يصدق هذا على دبلوماسية التهديد السوفييتية في أثناء
حرب تشرين . فلا يزال من غير الواضح الدور الذي كان يمكن
أن تلعبه في الدفاع عن دمشق تلك الفرق السوفييتية المحمولة جواً
والموضوعة في حالة تأهب خلال المراحل الأولى من الحرب .
ويظهر أن ما كان يخشاه الأمريكيون في أثناء أزمة التأهب ليس
تدخلاً عسكرياً سوفييتياً كبيراً في الشرق الأوسط ، بل استخدام
نوع من أنواع القوة الرمزية . ولم يكن القصد من هذا ، لو تم ،

التدخل في القتال، بل الاستجابة لنداء تقدّم به السادات وإعادة إقامة وجود عسكري سوفيتي في البلاد. لكن الحادثة لفتت النظر بسبب حجمها فقط: فلم يكن هناك شيء غير مألوف في دبلوماسية التهديد الشرق أوسطية ما دام هذا التهديد صادراً عن قوات لا تلائم إلا بصورة سطحية أو محدودة الصراع الذي يمكن أن تجدد نفسها متورطة فيه^(٣).

لكن هذه الأزمات كانت تولد قلقاً حقيقياً، مهما كانت نية الدولتين العظميين الحقيقية في التدخل ضعيفة. وكانت نسبة حدوث الأزمات والقتال عالية. كانت تقع أحداث لم يكن بالامكان التنبؤ بها، وكان يُنظر إلى الزبائن كما لو كانوا في خطر محقق أو قطع دومينو على وشك السقوط. وفي ظل ظروف كهذه كان هناك خطر اصطدام أكيد بين الدولتين العظميين. وكان نشر القوات للتهديد يُقابَل بمثله في العادة، وبعد أواسط الستينات كانت لكل من الدولتين العظميين قوات بحرية عاملة الواحدة على مقربة من الأخرى في البحر المتوسط. وإلى أن تمّ التوقيع في ١٩٧٢ على معاهدة تجنب الحوادث في البحر، كان يتكرر نسبياً وقوع حوادث طفيفة لكن تنطوي على الخطر بين سفنهما وطائراهما^(٤). وفي الأزمات كان الأسطولان يراقبان بمزيد

من العناية. لكن في تلك الأوقات بالذات كان الأسطولان يسعيان إلى الوقوف بين الخصم وساحل الشرق الأوسط، كما أن الأسطول السادس، في أثناء حرب تشرين، كان على حد تعبير قائد أمريكي، «هدفاً للهجوم المباغت من عدة نقاط» من جانب الأسطول السوفييتي في البحر الأبيض المتوسط^(١٠).

كانت دبلوماسية التهديد الموجهة ضد القوة العظمى الخصم، كما تبين هذه الحادثة، مبنية إلى حد ما، على التلويح بأخطار الحرب النووية، وكانت تسعى عن عمد إلى خلق شعور بالخطر وعدم اليقين. فلم تكن أية واحدة من الدولتين العظميين قادرة على معرفة كيف ستتصرف الدولة الأخرى الخصم. من الجهة الأمريكية، حيث تتوفر معظم الأدلة، كان عدم اليقين هذا حول النوايا السوفييتية يتجاوز كل التقديرات بشأن محدودية القدرات السوفييتية على التدخل. ولم تكن واشنطن مستعدة تماماً لأهمال التهديد السوفييتي بإرسال «متطوعة» إلى الشرق الأوسط خلال أزمة السويس. وكان هناك قلق حين قام السوفييت باستخدام القوات للتهديد في حرب الأيام الستة، وذلك على الأقل، لأن السوفييت فيما يظهر لم يقرروا بينهم وبين أنفسهم ما الذي يجب فعله^(١١). وكذلك في أثناء أزمة التأهب عام ١٩٧٣،

كانت واشنطن خائفة من أن يتغلب «الصقور» على «الحمام» في موسكو^(٣).

لكن إذا كان عدم اليقين هذا قد أدى إلى موقف من النوع الذي قيل مرة إن الدكتور كيسنجر وصفه بالموقف «الخطر بشكل مميّز»^(٤)، فإن السجلات توحي بأن الخطر الحقيقي يكمن في إمكان إساءة استعمال الدولتين العظميين دبلوماسية تهديد أحدهما الأخرى، أو في إمكان جرهما بصورة من الصور إلى ساحة القتال الشرق أوسطية. كان من الممكن أن يحدث هذا نتيجة لمحاولة مقصودة من جانب أحد الزبائن لجر كفيله إلى القتال. على الرغم من أن ادعاءات المصريين في بداية حرب الأيام الستة بأن الطائرات الأمريكية والبريطانية قد اشتركت في الهجمات الإسرائيلية على المطارات العربية لم يقبل بها الاتحاد السوفيتي الذي كان يملك وسائله الخاصة لمراقبة الموقف العسكري. لكن لم يكن في وسع الاتحاد السوفيتي في الحقيقة تجنب الانجرار إلى حرب الاستنزاف. وخلال العام، اللذين عملت فيهما وحداتهم المقاتلة في مصر كان خطر المواجهة بين القوتين العظميين في الشرق الأوسط أعظم منه في أية فترة أخرى تقريباً. وكان يُرى أن العامل المساعد لهذه المواجهة يكمن في

صراع اسرائيلي سوفيتي كبير . فقُبيل نهاية الحرب بدأت واشنطن تقلق من أن الاسرائيليين ، إزاء التورط السوفيتي المتزايد في منطقة القناة ، يمكن أن يوجَّهوا ضربة مباغتة ضد القاهرة ما داموا محتفظين بالتفوق الجوي^(١٠) . وكانت القدس في الحقيقة ترغب جداً في تجنب اشتباك أعمق مع السوفييت لكنها في الوقت ذاته كانت مشغولة بمعرفة أين ومتى سيتوقف التدخل السوفيتي . كان الخطر ، كما لخصه دايان في أواخر حزيران ١٩٧٠ ، يكمن في عدم قدرة إسرائيل على الوقوف وحدها إذا دخل السوفييت بكامل قوتهم^(١١) .

كان هذا أول تلميح من جانب شخصية إسرائيلية كبيرة إلى أن التدخل الأمريكي المباشر قد يصبح ضرورياً ؛ وتوحي الأحداث التي أعقبته أن هذا الاحتمال كان مقبولا من جانب واشنطن ، ولو بسهولة أكبر بعد أن أصبح وقف إطلاق النار نافذ المفعول على طول القناة . وقد أعطيت تأكيدات على الدعم الأمريكي في حالة وقوع عمل سوفيتي ، عندما نشبت الأزمة الأردنية في ايلول عام ١٩٧٠ ، وتكوّن لدى الاسرائيليين انطباع في أثناء محادثات جرت في واشنطن بأنه إذا دخل السوفييت فعندئذ « لن يظل الأمريكيون خارجاً »^(١٢) . وبناء على أحد التقارير في

١٩٧١ كانت الإدارة تفكر في إمكان إرسال طائرات فانتوم F4 بقيادة طيارين أمريكيين للدفاع عن الأجواء الاسرائيلية في حالة وقوع هجمات سوفيتية على القواعد الاسرائيلية في سيناء^(١١). وتضاءلت هذه المخاطر طبعاً عندما أخرج المصريون القوات السوفيتية في تموز ١٩٧٢. لكن حرب يوم الغفران نصبت مرة ثانية شبح انجرار القوتين العظميين إلى القتال. ولا شك أن السوفيت أنفسهم اعترفوا بأنهم قلقون من أن هذا قد يحدث نتيجة لتورط أمريكا والاتحاد السوفيتي كليهما في عمليات إمداد السلاح بشكل مكثف لم يسبقه مثيل^(١٢). وقد برز الخطر بشكل أقوى حين أخفق الأمريكيون في جعل إسرائيل تحترم اتفاق وقف إطلاق النار في بداية الأمر.

وفي عام ١٩٧٣ كان عامل جديد قد بدأ يؤثر في سلوك الدولتين العظميين. فقد كانت تدور إشاعات عن مقدرة إسرائيل النووية منذ أواخر الستينات. لكن بناء على تقرير لم يؤكد صدر عام ١٩٧٦ كان الاسرائيليون يجمعون فعلاً عدداً من الأجهزة النووية خلال الأيام القليلة الأولى من حرب تشرين، عندما كانوا لا يزالون تحت وطأة ضغط شديد من جانب العرب^(١٣). وقد

يفسر هذا السبب الذي جعل السوفيت يعطون انطبعا بأهم شحنا رؤوساً نووية لصواريخ سكود إلى مصر ، كما يفسر بعض الشيء سبب الأحساس بأزمة حادة في واشنطن في فترة التأهب . إن كثيرا من هذا هو من قبيل الظن . لكن هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن وجود القدرات النووية الاقليمية لا بد أن يزيد التوتر في أثناء الأزمة . وهذا يؤكد الحاجة إلى أن تكون الدولتان العظيمان قادرتين على ضبط أصدقائهما . إذا افترضنا أن الاسرائيليين وحدهم يملكون مقدرة نووية ، فإن العبء المباشر لهذه المهمة ربما يقع على عاتق الاتحاد السوفيتي ، الذي سيكون في الحقيقة مسؤولاً عن جعل العرب لا يضغطون على الاسرائيليين إلى الحد الذي يشعرون فيه أنهم مضطرون إلى استخدام البديل النووي . وهذه الأخطار لا بد أن تجعل الدولتين العظيمتين حساستين بشكل خاص لمطالب أصدقائهما الأمنية ، فيحتاج الأمريكيون إلى ضمان امتناع الاسرائيليين عن استخدام أو حتى عن التهديد باستخدام الأسلحة النووية عن شعور باليأس أو الهجران ، ويحتاج السوفيت إلى ضمان عدم مغامرة أصدقائهم بأية أعمال عدائية ضد خصم يملك إمكانيات نووية . ومن أكثر السيناريوهات تشاؤماً ذلك السيناريو الذي يتصور هجوماً نووياً

مباغتاً من قبل قوة إقليمية على خصومها. ينشأ عنه انتقام بشكل ما من قبل إحدى الدولتين العظميين أو كليهما^(١٦).

وحتى حين لا توجد على ساحة المعركة تطورات مخلة بالاستقرار، يوجد لدى الدولتين العظميين سبب للخوف من احتمال الوقوع في اصطدام إما نتيجة لحسابات مغلوبة من جانبها أو بسبب سوء حظ محض. فهناك دائماً خطر من حدوث حادث أو من وقوع خطأ في قراءة الأشارات. وعندما وقع هجوم على سفينة التجسس ليرتي «الحرية» في أثناء حرب الأيام الستة كان الردّ الأولي لدى واشنطن هو الاعتقاد بأن السوفييت هم المسؤولون عن الهجوم^(١٧). وحين ثبتت المسؤولية الإسرائيلية عن الهجوم اقترحت هيئة الأركان المشتركة إنزال ضربة انتقامية جوية ضدّ القواعد التي شُنّ منها الهجوم الإسرائيلي^(١٨). وكان من الممكن لو أُخذ بهذا الاقتراح أن يثير شكوكاً جدية في أذهان السوفييت حول مدى ثبات الالتزام الأمريكي نحو إسرائيل، وهي شكوك كان من شأنها أن تؤثر في سلوك السوفييت خلال الأزمة التي أعقبت ذلك في ١٠ حزيران. وهناك مَثَلٌ على المبالغة في تقدير نية التهديد نجده في تفسير أمريكا بعض التحركات السوفييتية التي سبقت مباشرة أزمة التآهب^(١٩). فكان هذا عاملاً

إضافياً أسهم في دفع أمريكا للجوء إلى تحركات معاكسة، قيل إنها بلغت من الشدة درجة أزعجت الاتحاد السوفيتي كثيراً^(١١) كما أنها كان من الممكن، لو أن الاسرائيليين لم يذعنوا للمطالب السوفيتية، أن تخلق الجو الذي تزداد فيه بالتدريج صعوبة التفسير المتبادل للإشارات أو العلامات.

إذا سلمنا إذن بأن الأزمات الشرق أوسطية قد تضمنت قدراً لا بأس به من خطر نشوب حرب نووية، إن لم نقل خطراً رادعاً، فما الذي فعلته الدولتان العظميان لمنع الاصطدام بين قواتهما؟ يتضمن السجل جهوداً متنوعة على صعيد الدبلوماسية الوقائية. فقد بُذلت محاولات لأبعاد الأسباب السياسية للصراع الأقليمي. وبعد حرب الأيام الستة بُذل قدر كبير من الجهد بحثاً عن حل للنزاع العربي الاسرائيلي، اتخذ في ١٩٦٨ و ١٩٦٩ شكل محادثات بين قوتين عكست رغبة حقيقية لدى الدولتين العظميين في البحث عن ترتيب مقبول في صراع لم يكن يشمل مباشرة مصالحهما الحيوية لكن كان فيما يظهر ينطوي على أخطار كبيرة. وحدثت بعد توقف المحادثات بين الدولتين مبادرات أمريكية متنوعة ظلت موسكو على علم بها نوعاً ما عن طريق واشنطن. لكن الموقف السوفيتي إزاء حلّ ظلّ متأرجحاً،

على الأقل ، حتى مؤتمر جنيف للسلام في كانون اول ١٩٧٣ ، ولم تستطع أية دولة من الدولتين العظميين أن تبرهن على أنها راغبة في فرض حل على أصدقائها أو قادرة على فرض هذا الحل .

كان الأسلوب البديل الآخر ، للدبلوماسية الوقائية ، والأقل حظا من النجاح ، هو محاولة التحكم في اندلاع الحرب . كان الجانب الأكبر من هذا الجهد ، بالنسبة لأمريكا ، مسألة تأكيد استمرار التزامها بأمن إسرائيل وبقائها ، وضمان استمرار التوازن الاقليمي في القوى بشكل يمنع ظهور أية حاجة ملموسة لدى إسرائيل للقيام بأي عمل عسكري مباغت . وكان لابد لهذا أن يعني إبداء قدر كبير من التفهم لتصورات الاسرائيليين عن مطالبهم الأمنية الخاصة . كما أن طلبات الاسرائيليين من السلاح كانت في أغلب الأحيان مبنية على حجة أنه كلما كانت البلاد أقوى قل احتمال اضطرابها للجوء إلى الحرب . لكن واشنطن قلما كانت تقدم للاسرائيليين كل ما كانوا يطلبونه . وكانت القرارات بشأن إرسال الأمدادات تتأثر في بعض الأحيان بالأمل في أن الاعتدال من الجانب الأمريكي سوف يقابل بالمثل من جانب موسكو . ومارس الأمريكيون مزيدا من التضييق على زبونهم بتكرار إنذاره بأن المبادرة الى عمل عسكري يمكن أن تعرض للخطر

الدعم الأمريكي في الصراع الذي ينشأ عنه . وكانت هذه التحذيرات تتسجل بوضوح في بلد صغير آخذ بالشعور بشكل متزايد بتبعيته العسكرية للولايات المتحدة . وقد انعكس تأثيرها على قرار اسرائيل بشأن السبق الى ضربة مباغتة قبيل حرب يوم (تشرين) "" .

لكن كان هناك حدّ واضح لما يمكن أن ينجزه الأمريكيون في هذا الحقل . فعلى الرغم من أن تقدير واشنطن لتوازن القوى عشية حرب الأيام الستة كان أقل إنذاراً بالخطر وأكثر دقة من تقدير الاسرائيليين ، كان الأمريكيون غير قادرين على إقناع إسرائيل بأنه لم يكن هناك في الواقع داع للجوء الى عمل عسكري مباشر . وفيما بعد شجعت بعض الفئات في واشنطن الاسرائيليين على المضي في حلّهم العسكري الخاص . لكي يعفوا الأمريكيين من الحاجة إلى حمل عبء عسكري آخر بالاضافة إلى عبء فييتنام "" . وبعد أن أحرز الاسرائيليون نصرهم الكبير صارت المقدرة الأمريكية على منع اندلاع حرب أخرى محدودة بسبب فشلهم في تحقيق أي تقمّم ملموس نحو حلّ سلمي . وهذه الصورة أخذ نجاح الدبلوماسية الوقائية الأمريكية يعتمد بصورة متزايدة على درجة الاعتدال الذي كان الروس قادرين أو راغبين في

فرضه على زبائنهم . وقد سعى السوفييت طبعاً إلى ممارسة بعض الضغط على القاهرة ودمشق لمنع المبادرة إلى الخصومات بعد حرب الأيام الستة مباشرة ، وبلغ حرصهم خلال السنوات التي تلت الحرب على منع وقوع هجوم سوري أو مصري مبلغا أذى الى توتر العلاقات مع كلا القطرين^(١٢) . وفي تشرين الأول ١٩٧٠ جرى تحذير المصريين على وجه الخصوص من الشروع في القتال قبل خروج جميع الخبراء السوفييت من مصر . ورفضت طلبات السادات المتكررة من الأسلحة الهجومية في أثناء « سنة الحسم » ، ونصح المصريون بالألا يهاجموا اسرائيل سواء في حدودها لما قبل حزيران ١٩٦٧ ، أم لما بعد هذا التاريخ^(١٣) . وحتى عندما خفت هذه الضغوط في ١٩٧٣ ، ظل السوفييت يذكرون الحاجة إلى حل سلمي للصراع العربي الاسرائيلي ويتقبدون بعض الشيء في إمداداتهم للأسلحة . فالشحنات التي سُلمت في الأشهر التي سبقت الحرب ، رغم كثرتها ، كانت أقل مما كان يتوقعه المصريون . ولم يزود العرب في أية مرحلة بأسلحة كافية للقيام بهجوم شامل على إسرائيل ، وكان تزويد مصر بصواريخ سكود محدوداً بثلاثين صاروخاً تقريباً ، وهو عدد لا يكفي لتحويل نتيجة الحرب لمصلحة مصر^(١٤) . أما الشحنات إلى سورية فلم تتم إلا

بعد حرب تشرين ويقال إنه كان يتم التحكم في استخدام الصواريخ بواسطة نظام «المفتاح المزدوج» الذي يترك للسوفييت الكلمة الأخيرة بشأن استخدامها^(٢٣). وهكذا كان من الممكن النظر إلى الحرب، التي سهّل الاتحاد السوفيتي اندلاعها في ١٩٧٣، كعملية «مأمونة» نسبياً، لأنها محدودة.

واذن فالذي نجح فيه السوفييت، مثل الأمريكيين، هو تأجيل الحرب لا منعها، وعلى هذا كان عبء منع اصطدام بين الدولتين العظميين يقع على الطريقة التي تتصرف بها كل منهما في أثناء الأزمات. وتشير الشواهد إلى ممارسة قدر كبير من الحرص في هذا المجال. لم يكن تدخل الدولتين العظميين ليصبح إمكاناً جدياً إلا عندما يتعرض نظام أحد الاصدقاء للتهديد أو عندما تُهدّد المراكز الحيوية فيه. وكان انتشار القوات على نطاق كبير، سواء للتهديد أم للعمليات، مقصوراً دائماً تقريباً على محاولات الإبقاء على الوضع الراهن. وكان هذا أدعى للقبول نسبياً من جانب القوة العظمى الخصم من أية محاولة لاعادة النظر في الوضع الراهن بالوسائل العسكرية المباشرة. أضف إلى ذلك أن الدولة العظمى كانت تُعطى بانتظام مهلة للتضييق على زبونها لمنعها من القيام بأية أعمال من تلك التي كان يُتوقع حينئذ أن

تعجل في وقوع مواجهة بين الدولتين العظميين أو ما هو أسوأ. وهناك طراز محدّد لسلوك الدولتين العظميين يبرز من أزمتي ١٩٦٧ و ١٩٧٣. فقد كانت الدولة العظمى تبادر الى التهديد اذا تعرض زبونها للخطر. وفي كل حالة كانت الدولة العظمى الخصم ترد على التهديد باللجوء الى شكل من أشكال نشر القوات لردع التدخل الفعلي، بينما تضغط على زبونها الخاص لكي يكفّ، وكان الضغط في بعض الأحيان يتضمن التحذير بأن الزبون معرض لخطر التعجيل باندلاع حرب عالمية ثالثة^(٣٣). وكانوا يكفّون فعلا. ففي ١٠ حزيران ١٩٦٧ وفي ١١ تشرين أول ١٩٧٣، امتنع الاسرائيليون، تحت الضغط الأمريكي السوفيتي، عن متابعة الهجوم باتجاه دمشق. وفي ٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ و ٢٥ تشرين أول ١٩٧٣ امتنعوا تحت ظروف مماثلة عن مواصلة العمل العسكري ضد القوات المصرية. وفي ايلول ١٩٧٠ سحب السوريون قواتهم من الأردن. وإنه لمن قبيل المبالغة التحدث عن قواعد عملية تحدّد الظروف التي يمكن أن تتدخل فيها الدولة العظمى^(٣٤)، أو تهدد بالتدخل من دون التهور في صدام. لكن يبدو أنه كان هناك نظام سلوك شبه واضح يوفق بين المصالح الاقليمية الحيوية والحاجة الأكثر إلحاحا إلى تجنب

الاقتتال بالأسلحة النووية .

وعندما كانت الدولتان العظميان تنشران قوات في منطقة القتال أو على مقربة منها كانتا في العادة تتصرفان بمنتهى الحذر . فعندما تدخّل السوفييت في حرب الاستنزاف ، قاموا إلى حدّ ما بتطمين واشنطن حول الطابع الدفاعي لعملياتهم ، كما أنهم سعّوا إلى تجنب صدام مع الطيران الاسرائيلي خلال شطر كبير من ١٩٧٠ على الأقل . وخلال حرب يوم الغفران بقي الموظفون العسكريون السوفييت في سورية خارج منطقة القتال المباشرة ، ورفضوا مطالب المصريين باطلاق صواريخ سكود على طائرات الأمدادات الأمريكية التي تهبط في سيناء^(٢٨) . وكان السوفييت يتجنبون الإعلان عن نشر قواتهم بهذه الصورة . وعندما كانوا يتعرضون للأصابات ، أو يواجهون « باستفزاز » اسرائيلي جويّ ، كانوا يحرصون على عدم الردّ بطريقة قد تؤدي إلى تفاقم الأزمة^(٢٩) .

وفي البحر الأبيض المتوسط حرصت كل من موسكو وواشنطن على إبقاء قواتهما البحرية بعيدا عن منطقة المعركة ، أولا لتجنب الحوادث ، وثانيا كعلامة على عدم وجود نية للتدخل أيضاً . وعند اندلاع حرب الأيام الستة سُمح لجنود البحرية

الأمريكية بقضاء إجازة في جزيرة مالطة، بينما بقي الأسطول السادس، باستثناء مرتين في ٦ و ١٠ حزيران، بعيداً أكثر من ١٠٠ ميل عن الساحل السوري. كما أن انتشار القوات البحرية السوفييتية، سواء من ناحية تحريك السفن، مع استمرار معظمها على القيام بتمريناته الروتينية، أم من ناحية تكوين أسطول المتوسط الذي كانت تنقصه القوة البرمائية، كان يشير أيضاً إلى نية تجنب التورط^(٣٠). فقد سحب السوفييت في بداية حرب تشرين سفنهم الحربية من الموانئ المصرية، ونقلوا أسطولهم من منطقة القتال المباشرة إلى مواقع في جنوبي كريت. وعلى الرغم من الاحتياطات التي اتخذها الاتحاد السوفيتي ضد التدخل الأمريكي وصف الأمريكيون موقف السوفييت بأنه «معتدل ومتفهم»، ويعطي انطباعاً بأن أسطولهم كان يُعنى بعض العناية بتجنب الحوادث^(٣١). وكان الأسطول السادس هو أيضاً يتجنب منطقة القتال ويتهرب من الإعلان^(٣٢).

وربما كان من حسن الحظ أن أزمة أواخر الستينات وأزمة أوائل السبعينات، اللتين اشتملتا على قدر من خطر التدخل السوفيتي أكبر جداً من تلك الأزمات التي حدثت في أواسط الخمسينات، قد حدثتا في وقت حصل فيه تحسن عام في

أساليب معالجة الأزمات الأمريكية السوفييتية. « فالخط الساخن » الذي أنشئ في أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية ، جرى استعماله لأول مرة خلال حرب الأيام الستة^(٣٣). واعترف كلٌّ من السوفييت والأمريكيين أن حالة الوفاق التي أعقبت إنشاء الخط الساخن سهّلت العلاقات في أثناء حرب تشرين^(٣٤). ولا شك أن الخط الساخن سهّل على الدولتين العظميين البحث للوصول إلى وقف إطلاق النار ، البحث الذي كان قد بدأ مباشرة بعد اندلاع الحرب وبلغ ذروته بالمفاوضات التي جرت في موسكو بين الدكتور كيسنجر والقادة السوفييت ، وإلى صدور القرار الأمريكي السوفييتي المشترك عن مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، بموجب القرار ٣٣٨. إن وقف إطلاق النار هذا ، مثل وقف إطلاق النار في ١٩٦٧ ، ووقف إطلاق النار في ١٩٧٠ ، اللذين صدرا نتيجة التفاوض ، نجح في إنهاء الصراع تماما في المرحلة التي بدا فيها أن من المحتمل ازدياد خطر المجابهة بين الدولتين العظميين ازديادا كبيرا.

لم يكن التوقيت من قبيل المصادفة طبعاً. إن ازدياد حجم الخطر بمحد ذاته يمكن أن يُعتبر أحد العوامل الكبيرة التي تقلل احتمال اصطدام الدولتين العظميين ، لأنه كان يفرض الاعتدال

ويؤلف واحدة من المصالح القليلة التي تشترك فيها كل من موسكو وواشنطن في الشرق الأوسط. وقد بذلت جهود كبيرة لتقليل عامل الخطر. فثبت أن الدبلوماسية الوقائية كانت عنصراً هاماً في كلا السياستين الأمريكية والسوفيتية في الشرق الأوسط. ولم يكن بلا مبرر خوف القاهرة من أن الاتحاد السوفيتي قد يُخضع المصالح المصرية لمطالب الوفاق الأكثر اتساعاً. لكن القوتين العظميين لم تنجحا في إزالة خطر الاصطدام. وأظهرتا أنهما ترغبان في العيش مع درجة من الخطر عالية نسبياً، وفي تعلم لغة الرمز الخطرة والمعقدة التي تُستخدم في معالجة الأزمات. وعلى الرغم من أن الدولتين العظميين على استعداد لممارسة كل الضغوط على اصدفائهما عندما يكون الاصطدام بينهما أمراً وشيكاً، لم يكن احتواء الخطر ليشكل أولوية مطلقة في سياستهما إلا عرضاً. فلم تكن أية من الدولتين العظميين على استعداد للمضي إلى أبعد الحدود في التفكير في فك الارتباط بصورة جدية، ولا لممارسة الضغط الكافي والمستمر لانجاز حل عربي إسرائيلي، أو للوصول إلى تجنب الحرب بشكل دائم. لكي تكون السياسات من هذا القبيل فعالة كان لا بد لها من مستوى من التعاون بين الدولتين العظميين أعلى جداً من ذلك الذي كان

قائما في الحقيقة، وكان لا بد لها أيضا من رغبة أقوى في إخضاع المصالح الإقليمية إلى مطالب الأمن النووي.

ليس من شك أن هذين البديلين لم يكونا مطروحين أمام الولايات المتحدة. لأنهما كانا ينطويان على تعريض المصالح الحيوية للحلفاء الرئيسيين للخطر، وكانا يعنيان وضع إشارة استفهام حول الثقة بالالتزامات إزاء الحلفاء في كل العالم. والاتحاد السوفييتي أيضا لم يكن راغبا في تعريض مركزه الحديث في الشرق الأوسط للخطر، ليس لأن هذا كان له قيمة في ذاته فقط، بل لأن مصالح مشتقة لا يُستهان بها أصبحت تدخل في الحساب. وكان التقليل من عامل الخطر، وبصورة خاصة (الدبلوماسية الوقائية) لا يتضمن فقط أضعاف العلاقات العربية السوفييتية بل تعريض موسكو لانتقاد الصين والعالم الثالث تواطؤ الدولتين العظميين. يضاف إلى هذا طبعاً أن التقليل من عامل الخطر كان ينطوي على خطر إمكان تقوية مركز أمريكا في المنطقة. هذه المشكلات التقليدية للمنافسة الأمريكية السوفييتية كان من الممكن تحسينها فقط، لا حلها، من دون تبدل كبير في طبيعة العلاقات الأمريكية السوفييتية.

الحواشي

- ١ — جورج بول، نيويورك تايمز، ٢٨ حزيران ١٩٧٠.
- ٢ — راي سن. كلاين «سياسة بلا ذكاء»، فورن بوليسي، شتاء ١٩٧٤ / ١٩٧٥، ص ص ١٢٨ / ٩.
- ٣ — جاليا جولان، يوم كييور وما بعد، ص ص ١٢١ / ٢.
- ٤ — للاطلاع على تقرير عن حوادث كهذه انظر نيويورك تايمز، ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٠.
- ٥ — جون غلاستمان، أسلحة للعرب، ص ١٦٢.
- ٦ — جوناثان هوي، أزمات متعددة، ص ص ١٢٥، ٣٦٤.
- ٧ — الأوبزرفر، ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣، وجولان، المصدر السابق، ص ١٣١.
- ٨ — ردا على الأنباء القائلة إن الفرق السوفيتية المحمولة جوا قد وُضعت في حالة تأهب في الأيام الأولى للحرب تشرين. مارفن وبرنار كالب، كيسنجر، ص ص ٤٧٠ / ١.
- ٩ — الواشنطن بوست، ١٦ تموز ١٩٧٠.
- ١٠ — الواشنطن بوست، ١٢ تموز ١٩٧٠.

- ١١ — موشي دايان، قصة حياتي، ص ٣٦٩.
- ١٢ — نيويورك تايمز، ٢٠ ايلول ١٩٧١.
- ١٣ — محمد حسنين هيكل، الطريق إلى رمضان، ص ٢٤٥.
- ١٤ — الغارديان، ٥ نيسان ١٩٧٦.
- ١٥ — انظر روبر برانجر وديل تاهتين، التهديد النووي في الشرق الأوسط.
- ١٦ — هوى، المصدر السابق، ص ص ٣/١٠٢.
- ١٧ — باتريك ماك جاري، الأسطورة والجنون: وكالة الاستخبارات المركزية (CIA).
- ١٨ — انظر غلاسمان، المصدر السابق، ص ٣/١٧٢، وكلاين، المصدر السابق، ص ١٣٣.
- ١٩ — واشنطن بوست، ٣٠ تشرين ثاني ١٩٧٤.
- ٢٠ — انظر كالب وكالب، المصدر السابق، ص ص ١/٤٦٠.
- ٢١ — لورنس ويتن، النزاع العربي الاسرائيلي، ص ٨.
- ٢٢ — للاطلاع على تأثير هذا في العلاقات السوفيتية السورية، انظر شارل ماك لين، العلاقات السوفيتية الشرق أوسطية، ص ٩٠. للاطلاع على العلاقات المصرية السوفيتية، انظر الفصل العاشر.
- ٢٣ — هيكل، المصدر السابق، ص ص ١١٢، ١١٧، مسح

استراتيجي ١٩٧١، ص ص ٧/٣٦، ويتن، المصدر السابق، ٣٩.

٢٤ — غلاسمان، المصدر السابق، ص ص ١١٦/١١٥،

١/١٩٠. خلال حرب يوم الغفران يقال إن السوفييت سربوا رفضهم طلب تزويد الجزائر بقاذفات استراتيجية لكي يبيتوا للغرب نيتهم في ممارسة اعتدال شديد في إمداد الأسلحة.

٢٥ — ليوزوريتشر زيتونغ، ٢٢ آب ١٩٧٤.

٢٦ — صدرت تحذيرات بهذا الشأن إلى الاسرائيليين خلال حرب السويس وفي نهاية حرب تشرين.

٢٧ — من الجدير بالملاحظة أن بعض الرسميين في واشنطن اتخذوا في البداية وجهة نظر بأن التدخل السوفيتي في حرب الاستنزاف كان رداً معتدلاً نسبياً على التهديد الخطير الذي كانت مصر معرضة له من الغارات الاسرائيلية إلى عمق البلاد، الواصلون بوست، ١٤ أيار ١٩٧٠.

٢٨ — جولان، المصدر السابق، ص ٨٧.

٢٩ — من ضمنها حادثة في ٣٠ تموز ١٩٧٠ عندما أسقطت طائرات

سوفيتية من طراز ميغ ٢١، وقُدِّف المركز الثقافي السوفيتي في دمشق بصورة عرضية خلال حرب تشرين، واعتراض اسرائيل عملية إمدادات سوفيتية لسورية.

٣٠ — هوى، المصدر السابق. ص ص ٧٩/٧٠، لندن بينز

جونسن، نقطة التفوق، ص ٣٠٢. خلال المراحل الأخيرة من حرب الاستنزاف يقال ان الأسطول السادس تلقى أوامر بالبقاء على بعد ٢٥ ميلاً من الساحل المصري خلافاً للحد المعتاد وهو ٣ أميال. نيواورليانز تايمز ييكايون، ٢٥ تموز ١٩٧٠.

٣١— جولان، المصدر السابق، ص ٨٠، وغلامان، المصدر السابق، ص ١٦٢.

٣٢— نيويورك تايمز، ٩ تشرين ثاني ١٩٧٣.

٣٣— لكي يشرح لموسكو، من ضمن أشياء أخرى، لماذا أرسلت القاذفات من حاملات الأسطول السادس عقب الهجوم على سفينة التجسس ليبرتي «الحرية». ويظهر أن (الخط الساخن) لم يُستخدم خلال أزمة التآهب في ١٩٧٣. نيويورك تايمز، ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٣.

٣٤— للاطلاع على الآراء السوفييتية، انظر نيويورك تايمز، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٣.

الفصل العاشر

تكلفة السياسة العسكرية

تَحملت الدولتان العظميان تكلفات أقل جدا مما كان يمكن أن يتوقعه أي مراقب لدى تقدير المخاطر في زمن حدوثها . ويرجع هذا بالدرجة الأولى إلى أنهما تمكنتا من تجنب أشد خطرين جديين كانا يكمنان في سياسة التدخل في الشرق الأوسط — خطر الاصطدام الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق، وخطر الانجرار إلى موقف شبيه بموقف فيتنام . وقد ثبت أن هذا الخطر الأخير كان جديًا أكثر في حالة اليمن ومصر ، لكنه امتد أيضا إلى عدد من المواقف الأخرى . كانت الكفالات الضمنية أو شحنات المعدات العسكرية على نطاق ضيق تساعد في إقرار المصالح الفرعية التي صار يرى بعد ذلك بعشر سنوات أن إقرارها يستلزم نشر القوات للتهديد أو للعمليات ، وذلك في المواقف التي كان الخصوم المحليون يتفوقون فيها على زبائن الدولة العظمى — أو ، في

حالة الصراعات الداخلية، عندما يعوز الدولة الزبون التأييد الشعبي اللازم لبقائها. فكانت الدولتان العظميان تواجهان عندئذ اختياراً محرجاً بين إمكان التخلي عن الارتباط على حساب خسارة حليف وتعريض السمعة لخسائر قد تتجاوز النطاق الاقليمي، وإمكان زيادة الدعم، وهو اختيار يثبت المصالح الفرعية من دون ضمان النجاح المتوقع.

تعرضت لهذه المعضلة كل من موسكو وواشنطن في نقاط مختلفة، وكانت وطأتها ثقيلة، ولو بصورة غير حاسمة كما ثبت، على إدارة أيزنهاور خلال أزمة ١٩٥٨ اللبنانية، واستشهد بها للاعتراض على سلسلة من العلاقات العسكرية التالية، من ضمنها تعميق التورط الأمريكي مع إسرائيل وعلاقة نقل الامدادات الناشئة مع أقطار الخليج. ويقال إن السوفييت الذين شاهدوا تورط زبونهم الرئيس في اليمن ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٧، نصحوا المصريين بفك ارتباطهم باليمن قبل حرب الأيام الستة بفترة قصيرة^(١). والسفارات السوفييتية والخبراء العسكريون السوفييت حذروا بدورهم من أخطار إعادة تجهيز الجيوش العربية بعد هزيمتها في ١٩٦٧ كما حذروا من أخطار القيام بدور كبير في الدفاع الجوي عن مصر. ومضت فترة في أواخر الستينات ظهر فيها

الاتحاد السوفيتي في الحقيقة كأنه يزداد انجراراً إلى الصراع العربي الإسرائيلي، لكنه استطاع السيطرة على الموقف أولاً لأن الدفاع الجوي فن يتقنه السوفييت تماماً^(٣). وثانياً لأن السوفييت كانوا مستعدين، كما دلت أحداث ١٩٧٠، للقيام بعمل حاسم. وهكذا نجد أن التكاليف على الرغم من أنها انعكاس في أغلب الأحيان للسياسة العسكرية كما يحددها تطور الأحداث في الواقع لا رغبات الدولتين العظميين، لم تصب بالتضخم بوساطة كارثة. وهي تقع في ثلاث فئات واسعة — تكلفة الامدادات، وتكلفة السياسة الخارجية، وتكلفة داخلية. أهم هذه الفئات هي تكلفة الامدادات. فكثير من الامدادات العسكرية إلى الشرق الأوسط قُدمت بلا مقابل أو بسعر أدنى من سعر السوق. وهناك أدلة على أنه قد حدثت إغارات هامة على مخزونات الأسلحة، والأيدي العاملة الخبيزة، ووحدات القتال النادرة.

من المحتمل أن التورط العسكري في الشرق الأوسط كان يؤلف عبئاً اقتصادياً أكبر على الاتحاد السوفيتي منه على الولايات المتحدة. ولا تتوافر أرقام يمكن الوثوق بها عن تكلفة المعونة العسكرية وتكلفة انتشار القوات للعمليات أو للتهديد، لكن المعدات العسكرية التي زُوِّد بها الاتحاد السوفيتي مصر وسورية

والعراق بين ١٩٥٥ و ١٩٧٠ قُدِّرَت ما بين ٢٥ و ٢٠٠ بالمائة و ٤٤ بالمائة من الانتاج الدفاعي السوفييتي^(٣). وفيما بعد، مع ازدياد التأكيد على تقديم معدات حديثة بدلا من المعدات الفائضة، ربما بلغت المعونة لمصر وحدها ٥ بالمائة من الانتاج الدفاعي السوفييتي^(٤). وليس من الواضح مقدار ما دُفِعَ ثمنه من هذه المعدات. فقد كان المصريون حتى أوائل الستينات يدفعون قطنا وأرضا ثمننا للسلاح. لكن في ١٩٦٥ عُلِّقَ الدفع وجرى شطب قرض للسلاح قدره ٤٦٠ مليون دولار. ومنذ ذلك الحين حتى عام ١٩٧٣، حين بدأت الأقطار المنتجة للنفط تمول صفقات الأسلحة لمصر ولسورية أيضاً، من المحتمل أن المصريين لم يدفعوا ثمن العون العسكري السوفييتي، على الرغم من أن خدمات المستشارين السوفييت في مصر كان يسدّد ثمنها بالعملة الصعبة، كما تراكمت كمية كبيرة من الديون^(٥).

ربما كان تأمين من ٢ بالمائة الى ٥ بالمائة من الانتاج الدفاعي السوفييتي للشرق الأوسط ينطوي من الناحية الاقتصادية على صعوبات أكبر جداً مما يعنيه رقم النسبة المئوية الحقيقي. فقد كانت هناك أيضاً ضغوط لفترة قصيرة على الطاقة الانتاجية وما ينشأ عنها من تأخير في تسليم احتياجات القطاعات الداخلية

ذات الأولوية العالية . وكان حجم القاعدة الاقتصادية السوفيتية لا يساوي سوى نصف حجم القاعدة الاقتصادية للولايات المتحدة . لهذا كانت كل مواجهة تتطلب المجهود العسكري ذاته ذات ثقل مضاعف على الاتحاد السوفيتي . لكن من أجل الحفاظ على نوع من التوازن العسكري كان لا بد لمصر من استخدام جيش أضخم جدا ويتطلب كميات من العتاد أكبر جدا مما كان يتطلبه الاسرائيليون . وحتى ١٩٧٣ على الأقل كانت قدرة مصر أقل جدا من قدرة الاسرائيليين على تمويل متطلباتها الدفاعية^(٧) . ويمكن أن يوضح هذا جزئيا لماذا كان العون للشرق الأوسط لا يحظى بشعبية في الاتحاد السوفيتي^(٨) . ويبدو أن العبء الاقتصادي للتورط العسكري كان أحد الأسباب وراء الانقسامات في الزعامة السوفيتية بشأن مسألة التورط العسكري في الشرق الأوسط برمتها^(٩) .

ألقت تكلفة السياسة العسكرية عبئا أيضا على القوات المسلحة السوفيتية وقوات حلف وارسو . فعلى الرغم من أن الأسلحة التي كانت تقدّم في البداية للعرب كانت (منسّقة) ، كانت شحنات الأسلحة ، ابتداء من أوائل الستينات فصاعدا ، تتضمن أسلحة يمكن أن تكون ذات قيمة على المسرح

الأوروبي^(١١). وزادت سرعة هذه العملية عقب حرب الأيام الستة، فاستُخدمت في مصر في ربيع ١٩٧١ أنواع جديدة من عتاد الدفاع الجوي لم تكن بعد قد أصبحت شائعة الاستعمال في الاتحاد السوفييتي^(١٢). وقد أصيب السوفييت بالهلع بسبب حجم الخسائر العربية خلال المرحلة الأولى من حرب يوم الغفران^(١٣). واعتمدت عملية الامدادات السوفييتية اعتمادا كبيرا على مخزونات حلف وارسو والمخزونات السوفييتية الاحتياطية^(١٤). لكن بناء على النسبة العالية للانتاج الدفاعي السوفييتي خلال أوائل السبعينات ومن ضمنه انتاج ٣٠٠٠ دبابة في العام^(١٥)، من المحتمل أن تكون طلبات كهذه ممكنة الاحتمال. وكان الأكثر مدعاة للانزعاج هو ضعف مستوى إنجاز العتاد العسكري السوفييتي الموضوع بين أيدي العرب، وكون عدة أنواع من العتاد السوفييتي المعقد إما استولى عليها الاسرائيليون ثم سلموها للغرب، أو، كما هو حال مصر عقب التقارب المصري الغربي، صارت مباشرة في متناول جماعة الدفاع الغربية^(١٦).

إن تكلفات الامدادات الأمريكية موثقة بشكل أفضل نوعاً ما: تكلفات العتاد وتكلفات عمليات نشر القوات للتهديد. فقدرت تكلفة عملية ١٩٥٨ اللبنانية بـ ٢٠٠ مليون دولار،

وقدّرت تكلفة عملية إرسال حاملة طائرات إضافية مع سفن أخرى إلى البحر الأبيض المتوسط خلال أزمة ١٩٧٠ الأردنية بـ ٥٠ مليون دولار^(١٧). وبلغ مجموع معونة الولايات المتحدة ومبيعاتها العسكرية للشرق الأوسط ما بين ١٩٤٦ و ١٩٧٢ — ١١٦٩٦ رليون دولار^(١٨). وهو رقم من المستحسن أن ينظر إليه كدليل على ضخامة المبلغ وليس كمجموع صحيح تماماً. وأعطيت إسرائيل فيما بعد مبالغ ضخمة بشكل منح وقروض عسكرية طويلة الأمد. وفي الجانب الآخر من الحساب، أسهمت مبيعات الأسلحة إلى الخليج إسهاماً هاماً في ميزان المدفوعات الأمريكي وفي تحسين حالة الاستخدام في الولايات المتحدة وفي خفض سعر الوحدة لمختلف أنواع العتاد التي اشترتها القوات الأمريكية.

فكانت القوات الأمريكية إذن هي التي تشعر بالعبء الرئيس لهذه التكاليف لا الاقتصاد الأمريكي. كانت أوائل السبعينات فترة موازنات دفاعية راكدة، وأدى الطلب الكبير في الأمدادات العسكرية من جانب إسرائيل وإيران إلى نقص في القوات الأمريكية. ففي حالة إيران كانت المشكلة مركزة في بعثات التدريب كبيرة العدد الضرورية لدعم الزيادة الكبيرة في

القوات الإيرانية، والتي كانت تتألف من المهارات التقنية التي كان كثير منها غير موجود بدرجة كافية في الوحدات الأمريكية^(١١). وثبت أن الصراع الاسرائيلي العربي كان يستهلك مخزونات السلاح الأمريكية. إن الطائرات الحربية التي زُوِّدت بها إسرائيل في ١٩٧٠ لتعويض خسائرها في حرب الاستنزاف جاءت من قوائم القوة الجوية للولايات المتحدة^(١٢). وقيل في السنة التالية إن الموظفين الكبار كانوا قلقين من أن يؤدي استمرار الاستهلاك من قوائم الانتاج إلى إضعاف القوة القتالية للولايات المتحدة في أوروبا والبحر الأبيض المتوسط^(١٣). وأصبحت المشكلة حادة بمحجيء حرب تشرين التي وجدت وزارة الدفاع بعدها صعوبات في تلبية طلبات إسرائيل من الأسلحة وفي تحديث قوات الولايات المتحدة في الوقت ذاته^(١٤). وقد سُحب جزء من المعدات التي أُرسِلت في أثناء الحرب من الوحدات العاملة (من ضمنها ٣٤ طائرة F4E من أسراب القوة الجوية)، وسحب الجزء الآخر من معدات القتال المخزونة من أوروبا لتجهيز الجيوش المهيأة للنقل جواً من الولايات المتحدة إذا طرأ طارئ على مسرح الناتو. وبناءً على أحد التقارير بلغ عدد الدبابات التي سلّمت إلى إسرائيل ١٠ بالمائة من مجموع الدبابات الأمريكية^(١٥). كما ورد في تقرير الدفاع

السنوي للولايات المتحدة عن السنة المالية ١٩٧٧ انه كان لا بد من انفاق ١٦ بليون دولار خلال السنوات الخمس أو الثماني التالية لاعادة ملء مستودعات العتاد الاحتياطية في العالم التي أفرغتها عملية الشحن الجوية الأمريكية الطارئة في ١٩٧٣^(٢٥).

إن تكلفات السياسة الخارجية، أي تأثير السياسة العسكرية الضار في أهداف السياسة الخارجية في كل من الشرق الأوسط وخارج حدوده، هي موضوع أكثر تعقيداً بمجموعه. وكان لا بد للقوتين العظميين أن تزنا بصورة دائمة تكلفات تقديم الدعم العسكري بتكلفات حجب هذا الدعم. لأنه ما إن كانت الدولة العظمى تتورط في المنطقة حتى كان العجز عن تقديم الدعم العسكري لزيائنها عندما ينتظرون الدعم منها، بصورة معقولة أو غير معقولة، يزرع الكراهية ويثير، في بعض الأحيان، الشك حول امكان الاعتماد على الدولة العظمى كحليف أو وكيل، والخوف منها كخصم أو منافس.

إن تكلفات الاهمال العسكري هذه لم تكن شديدة على الولايات المتحدة، على الرغم من أن واشنطن كانت شديدة الحساسية بشأن سمعتها كحليف جيد، إذا سلمنا أن نظام أمنها

برمته يعتمد على المحافظة على ثقة حوالي أربعين حليفاً. وقد اقتصرت التكاليف التي تحملتها الولايات المتحدة من هذا القبيل على الحلف الشمالي ونشأت عن صراعات بين أصدقاء أمريكا. فكانت العلاقات التركية الأمريكية في أوائل الستينات تتوتر بصورة دورية بسبب النزاع القبرصي. وحاول الرئيس جونسون في عام ١٩٦٤ استغلال اعتماد أمن تركيا على الولايات المتحدة والناتو، لمنعها من غزو الجزيرة، وحذّر في رسالة إلى الرئيس التركي من أن حلفاء تركيا (لم تُفتح لهم الفرص للتفكير فيما إذا كانوا ملزمين بالدفاع عن تركيا ضد الاتحاد السوفيتي إذا اتخذت تركيا، من دون موافقة كاملة من حليفتها في الناتو ومن دون تفهمهم التام، خطوة قد ينشأ عنها تدخل سوفيتي)^(٢٦). وبعد عشر سنوات، عندما قامت تركيا بالغزو فعلاً، فرض الكونغرس حظراً على إمدادات الأسلحة لكي يجبر الأتراك على القيام بتنازلات و ليس من المستغرب أن هذه الأحداث قد أحدثت ضرراً فعلاً؛ فقد أدّى حظر السلاح إلى خسارة الاستخبارات الأمريكية والحّد من قدرات قطر من الناتو^(٢٧)، وقوضت، كما هدد جونسون في ١٩٦٤، ثقة الأتراك بالضمانات الأمريكية، كما أدّت الى زيادة تشاؤم الإيرانيين الكامن بشأن مدى صدق التأكيدات التي

تلقوها في إطار حلف الناتو وضمن الإطار الايراني-الأمريكي
الثنائي^(٢٨).

وكان الاتحاد السوفييتي أكثر تعرضا للضيق والانزعاج
بصورة مستمرة وجدية من جراء تكلفات الأهمال العسكري،
فعلى الرغم من أن نشر القوات للتهديد المسرحي في معظمه، في
أثناء أزمة السويس والأزمة السورية في ١٩٥٧، قد أكسب
موسكو رصيда في العالم العربي، فقد تلاشى جانب كبير من
هذه الثقة فيما بعد حين عجز السوفييت عن مجارة الغرب في
نشر القوات عقب الانقلاب العراقي. وقد حدث رد فعل أكثر
جدية بعد حرب الأيام الستة، وصحبه مظاهرات احتجاج
خارج السفارات السوفييتية في القاهرة وبيروت والخرطوم^(٢٩). وكان
المصريون بشكل خاص غاضبين لأنهم امتنعوا عن البدء بالقتال
بناء على نصيحة السوفييت ولأن الاتحاد السوفييتي لم يهب
لنجدتهم في أثناء الحرب. وكما لاحظ أريك رولو «كانوا مقتنعين
من أن الأسطول السادس سوف يتدخل إلى جانب إسرائيل إذا
احتاج الأمر، لذلك كان يبدو من الطبيعي في نظرهم أن الجيش
السوفييتي سوف ينزل في مصر لنجدة القوات المصرية»^(٣٠).
ويمكن أن يكون السوفييت قد أدركوا هذا فسلموا، بناء على رواية

السادات ، رسالة تتضمن وعداً بالمعونة إلى عبد الناصر بينما كان يلقي خطاب استقالته مباشرة بعد الحرب^(٣١). لكن لئن عوّض السوفييت الكثير من الخسائر في سمعتهم بفضل عملية إمداداتهم التالية، فقد ظلت معضلة الموازنة بين أخطار الدعم العسكري، والخسائر السياسية الممكنة الكامنة في الاعتدال العسكري، مسألة قائمة بالنسبة لصانعي القرار السوفييت، خلال السنوات الست التالية. وأدى رفض تزويد المصريين بمقدرة هجومية كبيرة إلى انزال خسائر كبيرة بالعلاقات السوفيتية المصرية. وساعد في التعجيل في اخراج السوفييت في تموز ١٩٧٢ من مصر، وأدى الى تقليص تسهيلات القواعد ثم فقدانها بعد ذلك. وكان عاملاً أيضاً في القرار المصري بعد حرب تشرين بتنوع مصادر السلاح عن طريق الغرب. وأدت قيود مماثلة على إمدادات الأسلحة إلى بعض التوتر في العلاقات السورية السوفيتية^(٣٢). وفي أوائل السبعينات تأثرت العلاقات السوفيتية مع العراق نتيجة لعدم رغبة موسكو في تقديم دعم غير مشروط للعراقيين في نزاعاتهم مع إيران^(٣٣). وكانت الرغبة في تحمل خسائر الأهمال العسكري هذه نتيجة طبعاً لادراك أن الدعم قد ينطوي على أخطار أكبر، ونظراً لأن المنطقة مؤلفة من وحدات سياسية منفصلة كان يصعب نقل

الامدادات العسكرية من دون أن يسبب وحده بعض الاحتكاك . فهو في آخر الأمر كان يعني تعقيد العلاقات الثنائية الأخرى، لكن كان يمكن أن يعني أيضا شيئا آخر أشد خطورة . فقد كانت الامدادات العسكرية تنطوي، كما اتضح في أوائل الخمسينات، على خطر خلق سباقات للتسلح، وعلى خطر الحرب، كما دلت سلسلة الأحداث التي أدت إلى حملة سيناء عام ١٩٥٦ . وأدرك السوفييت هذا فيما بعد، فقال خروتشوف لعبد الناصر بصدد دفاعه عن الرد السوفيتي المحدود على انقلاب العراق : (كنا نخشى بسبب ما نعرفه عن الدفاعكم أن يدفعكم دعمنا غير المحدود لرغبتكم في الحرب إلى القيام بعمل عسكري، وأن تفسروا هذا الدعم بأننا نوافق على أن تقوموا بعمل عسكري)^(٣٤) .

وكادت تظهر مشكلة أخرى في المكان الذي يعمل فيه مستشارون سوفيت على نطاق واسع . كانت العلاقات بين العسكريين والمستشارين السوفييت في سورية خالية من المشاكل نسبيا لا تماما^(٣٥) . لكن الأمر لم يكن كذلك في مصر التي كان عدد المستشارين فيها أكبر وكانوا أيضا يملكون سلطة إصدار الأوامر، مما ولد نفورا عميقا في صفوف القوات المسلحة المصرية . وكان

المصريون يشعرون أيضا أن السوفييت يعجزون عن فهم الظروف المحلية، التي كان قسم كبير من التدريب السوفيتي والمعدات السوفيتية لا يتلاءم معها، كما كانوا يشتبهون بأن السوفييت يستغلون وظائفهم في مصر لأغراضهم الخاصة من التدريب^(٣٦). وكان السوفييت من جهتهم يرون أن المصريين لا يتحلون بالصبر الكافي لتقدير طرائقهم البطيئة والتامة في التدريب، وكانوا قليلي الحكمة فكشفوا عن أسلوب ينم عن السيطرة وينطوي على ما يقرب من الازدراء العرقي لمضيفهم^(٣٧). وعندما أُلغيت في آخر الأمر معاهدة التعاون والصداقة المصرية السوفيتية، وصفت إحدى الصحف المصرية الخبراء والجنود البالغ عددهم عشرين ألفا الذين طُردوا قبل ذلك بحوالي أربع سنوات، وصفتهم بمجيش احتلال، بينما كان على السادات أن يقارن بين تصرف فينوغرادوف السفير السوفيتي آنذاك، وسلوك المفوضين السامين البريطانيين في الماضي مقارنة لا تسرّ.

ولم يلبث الأمريكيون أن وقعوا هم أيضا في مصاعب سياسية. ففي أوائل الخمسينات وأواسطها أبدت الولايات المتحدة قدرا كبيرا من التعاطف مع مشاعر القومية العربية، وخصوصا عندما تباغت واشنطن بعدم اشتراكها في حملة السويس البريطانية

الفرنسية. لكن الولايات المتحدة حين وقفت بعدئذ إلى جانب الاتجاه المحافظ دلت بذلك على أنها لم تكن تقدر قوة الشعور القومي حق قدرها وأنها كانت تقلل من قيمة الشك الشديد بالغرب في المنطقة، إن لم نقل العداء الصريح له^(٣٨). فقد أدى استخدام الأسطول السادس في أزمة الأردن في نيسان عام ١٩٥٧ إلى صدور صيحات دبلوماسية (المراكب المسلحة) وإلى وضع الولايات المتحدة في أعين كثير من العرب في وضع لا يكاد يختلف عن الوضع الذي أكره البريطانيون على التخلي عنه^(٣٩). وفي لبنان اعتُبر قبول الرئيس شمعون مبدأ أيزنهاور من جانب المسلمين، بل ومن جانب بعض المسيحيين، انتهاكاً لقرارات المؤتمر الوطني في ١٩٤٣، الذي أقر مبدأ الحياد في الشؤون الخارجية^(٤٠). وكانت النتيجة اشتداد الصراع الناشئ بين الطائفتين مما أسهم في إثارة التوترات التي انتهت عندئذ بنزول القوات الأمريكية في لبنان في تموز ١٩٥٨^(٤١).

وكان تقديم الأمدادات العسكرية سبباً في ظهور مشكلات أخرى. فقد أصبحت في الولايات المتحدة موضوعاً للكثير من الجدل تلك المخاطر التي تنطوي عليها برامج الخليج التي كانت تتضمن بصورة لم يسبق لها مثيل أعداداً كبيرة من

المستشارين الذين كان يُستعمل في وصفهم «عبارة المرتزقة ذوي
الياقات البيض» التي لا تسر. لكن، كما حدث في أواسط
السبعينات، ظهر أن التكاليف الفعلية التي وقعت فعلاً لم تكن
كبيرة، وكانت من دون شك أقل جداً من تكلفة علاقة
الأمدادات مع إسرائيل التي كانت تنطوي لا على خطر اشتداد
الصراع العربي الاسرائيلي فقط بل على خطر الاساءة الى المصالح
الأمريكية في العالم العربي أيضاً. وقد أدّى الخوف من هذا الخطر
الأخير إلى الاعتدال زمنياً طويلاً في السياسة الأمريكية. فهو
مسؤول عن عدم رغبة واشنطن في الاستجابة للطلبات الاسرائيلية
المتكررة للحصول على الأسلحة خلال الخمسينات، كما أنه
مسؤول عن بعض الخلافات اللاحقة بين واشنطن والقدس بعد
حرب الأيام الستة. فكان يجب على واشنطن أن تحسب باستمرار
حساباً لرد الفعل العربي عند تحديد سياستها المتعلقة بالطلبات
الكبيرة من الأسلحة. وكان هذا ملحوظاً بشكل خاص خلال
أواخر ١٩٦٩ و ١٩٧٠ عندما أبطأ الأمريكيون في تلبية طلبات
إسرائيل المؤلفة من ١٠٠ طائرة سكايهوك من طراز A4 و ٢٥
طائرة فانتوم من طراز F4، بعد أن وصلتهم بصورة خصوصية
تحذيرات من خطر انقطاع علاقاتهم السياسية مع عدة أنظمة

عربية معتدلة وخطر ردّ فعل معاد في سائر أنحاء العالم العربي^(١١). وكان القرار الذي صدر في تشرين الثاني ١٩٧١ بتقديم دعم تقني لصناعة السلاح الاسرائيلية متأثراً بالاعتقاد الخاطيء بأن نقل التكنولوجيا كان أقل ظهوراً «للعيان» لهذا يكون أقل أذى للمصالح الأمريكية في العالم العربي^(١٢). وفي ١٩٧٣ كان ثقل إمدادات السلاح قد بدأ يصبح ذا تأثير مباشر على المصالح النفطية الأمريكية. وفي رواية أن ربط النفط بالسياسة الأمريكية نحو اسرائيل خلال ربيع ١٩٧٣ كان بسبب غضب الملك فيصل من الإعلان عن تقديم طائرات إضافية من طراز F4 إلى إسرائيل في الوقت الذي كان فيه حافظ اسماعيل وزير السادات للأمن القومي في واشنطن^(١٣). وكانت المخاوف على إمدادات النفط الأمريكي لدى اندلاع حرب تشرين قوية إلى درجة جعلت وزير الدفاع يخبر السفير الاسرائيلي بأن الولايات المتحدة لن تسلم طائرات F4 إلا بمعدل طائرة ونصف يوميا وأن الشحنات سوف تتوقف بعد ذلك بيومين من أجل «استطلاع» رد الفعل العربي قبل البت في شأن شحنات أخرى^(١٤). والذي حدث طبعاً هو أن الموقف في ساحة المعركة والجسر الجوي السوفييتي قد أمليا موقفاً آخر. لكن المخاوف الأمريكية لم تكن في غير موضعها.

فقد فُرض حظر النفط بعد وقت قصير من تدشين الجسر الجوي الأمريكي. والسعوديون، على الرغم من أنهم كانوا فيما يظهر راغبين في منح الأميركيين مهلة تنتهي بنهاية تشرين الثاني، لم يلبثوا أن غيروا رأيهم عقب الاعلان في الأسبوع الأخير من الحرب عن عون أمريكي لإسرائيل مقداره ٢ر٢ بليون دولار^(٦٦). ووجد الأمريكيون أنفسهم عام ١٩٧٦ في موقف ينطوي على الحرج وهو القيام بالدور الأكبر من تقديم السلاح لكل من إسرائيل والأردن والعربية السعودية في حين كانوا أيضا تحت ضغط للبدء في علاقة إمدادات عسكرية مع مصر^(٦٧). فقد كان من شأن موقف كهذا أن يخلق تعقيدات في حالة تجدد القتال بسبب الحاجة إلى تجديد الإمدادات^(٦٨).

في خارج المنطقة، تسببت السياسة العسكرية في تكبد خسائر في السياسة الخارجية بصورة توترات في نظم التحالف وفي تطور الوفاق. فكانت أزمتا ١٩٥٦ و ١٩٧٣ كلتاهما شديديتين ومزعجتين. وكان من الممكن لو تكررت أكثر من ذلك أن تسيئا إلى متانة التحالف. لكن التناقضات المباشرة بين أولويات المصالح الملحوظة، رغم شؤمها، لم توقع أذى كبيرا بالأهداف الكبرى لحلف الأطلسي. وتشبيه أيزنهاور السويس «بمخلاف عائلي بسيط»

يبرز حدثي السويس وحرب تشرين، على الرغم من أن التشبيه تصوير ضعيف للحقيقة من دون شك^(١٢٠). كذلك، على الرغم من أن الشرق الأوسط كان في أواخر الستينات وأوائل السبعينات مسرحاً لأكثر المواجهات حدوثاً بين الدولتين العظميين وربما أخطرهما، يظهر أن الأزمات الشرق أوسطية لم تقض بشكل جذري على محاولات الدولتين العظميين على المدى الطويل إقامة علاقة أضمن إحداهما مع الأخرى. فعلى الرغم من أن الأزميتين المصرية والأردنية في ١٩٧٠^(١٢١)، وحرب تشرين قد أثارت الشكوك لدى الولايات المتحدة حول احتمالات الوفاق، نجد أنها لم تسبب، على الصعيد الحكومي على الأقل، أية توترات شديدة أو دائمة في العلاقات الثنائية. وكان الدكتور كيسنجر حريصاً على التنوية بالاعتدال السوفييتي خلال المراحل الأولى لحرب تشرين، وحنى الجسر الجوي لم يُعتبر شيئاً يتجاوز الحدود التي وضعها الوفاق^(١٢٢). لذلك لم تُعرق الحرب بصورة جدية المفاوضات القائمة بين الدولتين العظميين. وأكثر ما تجدر ملاحظته أن محادثات (سالت) استمرت بلا توقف، مثلما استمرت المحادثات حول التعاون بين علماء الفضاء السوفييت والأمريكيين في المستقبل وحول زيارة وفد سوفييتي الولايات المتحدة الأمريكية

للتفاوض بشأن اتفاق جديد حول غاز سيبيريا الطبيعي^(١٠٠). وكانت الادارة الأمريكية مترددة بصورة واضحة في فرض عقوبات اقتصادية أو غيرها على الاتحاد السوفيتي في ميادين لا علاقة لها بالآزمة المباشرة بسبب القيمة العالية التي تعلقها على الحاجة إلى البحث عن تسوية مؤقتة مع غريمها النووي^(١٠١).

على الرغم من ذلك لم تكن الحرب بلا كلفة بالنسبة للوفاق. فقد شجعت في كل من الجانبين السوفيتي والأمريكي منتقدي علاقة الوفاق في داخل البلاد^(١٠٢). واتخذت بعض العناصر في الكونغرس وفي الرأي العام رأيا في السلوك السوفيتي في أثناء الحرب أقل تساهلا من رأي الادارة، وكان هذا أحد العوامل الكامنة وراء تناقص دعم الكونغرس قرار مانسفيلد الذي دعا إلى تخفيض أعداد الجنود الأمريكيين الموجودين في أوروبا الغربية^(١٠٣). أضف إلى ذلك وجود حدود لا بد منها لتساهل الادارة. فكما لاحظ الدكتور كيسنجر أيام أنغولا:

«إن جوهر العلاقة بين الاتحاد السوفيتي، إذا أريد لها أن تمضي نحو تخفيف حقيقي للتوتر، هو ألا يسعى أي من الطرفين للحصول على ميزة وحيدة الجانب إزاء الطرف الآخر، وأن يسود الاعتدال سياسة كل منا، وألا يتم فعل شيء من

شأنه تصعيد المواقف المتوترة إلى مواجهة بين بلدينا ... هذه المبادئ للعلاقات المتبادلة ليست مسألة نية طيبة مجردة فقط ، إنها الأساس الحقيقي للطريقة التي يجب أن تقود بها قوتان عظيمتان مسؤولتان علاقاتهما في العصر النووي . فيجب أن يكون واضحاً أنه عندما تحاول دولة عظيمة الحصول على وضع خاص من النفوذ مبني على التدخل العسكري ، مهما كان الدافع الى ذلك ، فسوف تسعى الدولة الأخرى لأزالة هذه الميزة عاجلاً أم آجلاً^(٥٦) .

وكان لا بد لبعض تكلفات السياسة العسكرية أن يرتد تأثيرها على الأنظمة الداخلية السياسية والاقتصادية . فكل ممثل عسكري في الشرق الأوسط يعتمد على المنطقة اقتصادياً هو معرض للعقوبات . هذا ما وجده البريطانيون في أيام السويس وشعروا به جداً مرة ثانية خلال الأزمة التي أعقبت مباشرة حرب الأيام الستة ، إلى درجة أنهم صاروا في الحقيقة يتلكؤون جداً في دفع خططهم السابقة لتشكيل قوة دولية للحفاظ على حرية الملاحة عبر مضائق تيران . وفي رأي الدكتور كيسنجر ، كلف حظر النفط في ١٩٧٣ / ٤ الولايات المتحدة مليون وظيفة وواحداً بالمائة من الانتاج القومي ، كما أضاف خمس نقاط نسبة مئوية إلى

مؤشر الأسعار. وتوقّعت التنبؤات من حظر النفط في المستقبل أضراراً أكثر فداحة^(٥٧). لكن الدولتين العظميين، على عكس أسلافهما الدول الأوروبية، تجنبنا أخطر التكاليف السياسية الداخلية، وهي تكلفة الاخفاق العسكري. في بريطانيا سببت السويس أزمة سياسية داخلية كبيرة، أما في فرنسا، التي كان فيها النظام السياسي أضعف جداً، فقد كانت أزمة السويس عاملاً مساعداً في سقوط الجمهورية الرابعة بعد ١٨ شهراً^(٥٨). ولم تعان الدولتان العظميان من كارثة كهذه على الرغم من أن حرب الأيام الستة سببت أزمة طفيفة في القيادة السوفيتية^(٥٩)، وأدّى تزامن وترغيت مع حرب تشرين إلى خوف بعض المسؤولين خلال الأسبوع الأول من الحرب، من أن تتعرض إدارة نيكسون للخطر إذا علم الجمهور أن الولايات المتحدة تمنع تسليم طلبات الاسرائيليين من الأسلحة^(٦٠). وكان من الممكن أن تجد أية إدارة أمريكية، حتى من دون كابوس أزمة داخلية بحجم وترغيت، أي عجز عن الوفاء بالضمانة الأمريكية لاسرائيل القائمة بحكم الواقع باهظ التكاليف ومنطوي على أخطار من ناحية السياسة الداخلية^(٦١).

إن المثل الأخير يوضح مرة ثانية القول بأن هذه تكاليف

كامنة في سياسة التدخل في منطقة غير مستقرة عسكرياً وسياسياً كالشرق الأوسط، وأن البدائل تنحصر في كثير من الأحيان في تجنب تكلفة بتكلفة أخرى. إن سياسة الاعتدال، سواء لدى تلبية طلبات الزبائن من الامدادات العسكرية أم عند نشر القوات للتهديد وعلى الأخص للعمليات، قد تكون أقل كلفة من السياسة التي تتصف بالمغامرة، إلا أنها تظل عرضة للعقوبات. لكن، نظراً لما يتمتع به كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من السمعة ومن الموارد التي هي من خواص الدولتين العظميين، ويفضل حسن الطالع إلى درجة ما، أمكهما تجنب أشد عقوبات الكارثة، والتكاليف التي تكبدتها، ولو أنها ليست قليلة، لا يمكن اعتبارها عقوبات رادعة. وكانت السياسة العسكرية، في بعض الأحيان، عقيمة بالنسبة للمصالح الإقليمية. وكان لها آثار مدمرة على نظم التحالف مع الدولتين العظميين، وكذلك على علاقاتهما المتبادلة إلى حد ما، وهو موضوع أصبح يحظى بعناية متزايدة بعد أواسط الستينات. وكان هناك بالإضافة إلى هذا بعض التكاليف الضارة بالاقتصاد الداخلي وباستقرار الحكومات. لكن كان تأثير هذه التكاليف مختلفاً في الدولتين العظميين. وربما كانت الولايات المتحدة أكثر

تعرضاً للأذى ، بسبب اعتماد حلفائها الرئيسيين على نفط الشرق الأوسط وبسبب ارتباطها بإسرائيل أيضاً . أضف إلى هذا أن الأمريكيين كانوا يعانون من نقص في الموارد العسكرية خلال أوائل السبعينات وأواسطها لكنه كان نقصاً يمكن تلافيه من دون مشقة كبيرة بفضل ضخامة القاعدة الاقتصادية للولايات المتحدة . ومن جهة أخرى ، يظهر أن الاتحاد السوفييتي كان يملك الموارد العسكرية الضرورية لكنه دفع ثمناً سياسياً داخلياً أعلى من أجل تقديمها وكان مراراً أكثر عرضة للحرّج بسبب الطلبات العسكرية من جانب زبائنه .

الحواشي

- ١ — سجل الشرق الأوسط، ١٩٦٧، ص ٣٠.
- ٢ — على عكس عجز أمريكا عن التوصل إلى تفاهم مع المقاومة المسلحة في فيتنام.
- ٣ — غور أوفر، (العبء الاقتصادي للتورط السوفييتي في الشرق الأوسط)، الدراسات السوفيتية، كانون ثاني ١٩٧٣، ص ٣٣٦. لكن كنسبة مئوية من انتاج الدفاع التقليدي ربما كان الرقم أعلى جداً، قريبا من ٧٥ بالمائة لمصر فقط.
- ٤ — المصدر ذاته، ص ٣٣٧، بناء على تقرير لوزارة الخارجية في ١٩٧١، تلقت مصر من ٣ بالمائة الى ١٦ بالمائة من مجموع مخزونات الاتحاد السوفييتي من مختلف المعدات الجوية والأرضية.
- ٥ — أوفر، المصدر السابق، ص ٣٣٤، هيكمل، الطريق إلى رمضان، ص ٦٥. تلقى السوفييت فيما بعد عملة صعبة للسلاح أيضا. ومن أجل الاطلاع على تقرير عن طرائق الدفع لقاء المعدات التي جرى تسليمها خلال حرب يوم الغفران،

- انظر غلامان، المصدر السابق، ص ص ١٤٦ ، ٢٢٩ .
- ٦ — أوفر، المصدر السابق ص ٣٤٢ .
- ٧ — المصدر ذاته، ص ٣٤٢ .
- ٨ — لكن يمكن أن يكون هذا انعكاساً لنفور عام من تحويل موارد نادرة إلى خارج البلاد في وقت كانت فيه مستويات المعيشة منخفضة في الاتحاد السوفيتي .
- ٩ — لورانس ويتن، حرب القنال، ص ٣٦٧ .
- ١٠ — غلامان، المصدر السابق، ص ٢٩ .
- ١١ — ويتن، المصدر السابق، ص ٢٤٥ .
- ١٢ — هيكل، المصدر السابق، ص ٢٤٥ .
- ١٣ — توجي التقارير التي صدرت في ذلك الوقت بأن الاتحاد السوفيتي في أوائل السبعينات كان قد وضع بشكل مسبق مخزونات كبيرة من الامدادات العسكرية في شرقي أوروبا . وكانت القدرة على التهيؤ السريع للقتال من الموضوعات التي تناولتها باستمرار الكتابات العسكرية السوفيتية بضع سنوات .
- غلامان، المصدر السابق، ص ٢٢٩ .
- ١٤ — فاينانشال تايمز، ٨ نيسان ١٩٧٦ .
- ١٥ — فاينانشال تايمز، ٢٢ حزيران ١٩٧٦ .
- ١٦ — روبرت مورفي، دبلوماسي بين الحارين، ص ٤٩٧ .
- ١٧ — نيويورك تايمز، ٩ أكتوبر ١٩٧٠ .

- ١٨ — ر. د. ماك لورين، الشرق الأوسط في السياسة السوفيتية، ص ١٠٦ / ١٠٧.
- ١٩ — انترناشيال هيرالد تريبيون، ٣ كانون ثاني ١٩٧٥.
- ٢٠ — المصدر ذاته، ١٣ تموز ١٩٧٠.
- ٢١ — نيويورك تايمز، ٤ آب ١٩٧٠.
- ٢٢ — انترناشيال هيرالد تريبيون، ٢١ تشرين ثاني ١٩٧٤، كانت هذه فيما يظهر الخلفية لعدد من التعليقات من جانب رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة، الجنرال براون، الذي وصف إسرائيل في إحدى المناسبات بأنها عبء على الولايات المتحدة.
- ٢٣ — كانت الأسلحة الأخرى التي تُقدَّم بكميات كبيرة لدرجة تسبب القلق للعسكريين الأمريكيين، تشمل عربات نقل جنود مصفحة، وصواريخ ضد الدروع من طراز TOW، وصواريخ ضد الرادار من طراز شرايك Shrike، وصواريخ جو أرض من طراز Maverick. وجاء في تقرير إسرائيلي: (جيش صغير نسبيا قد استنفذ مخزونات دولة عظمى إلى درجة خطيرة). واشنطن بوست، ١٨ تشرين ثاني ١٩٧٤، ٢٩ كانون أول ١٩٧٥، وزيف شيف، هزة تشرين أول، ص ٢٠٥.
- ٢٤ — أسبوع الطيران، ١٥ ايلول ١٩٧٥.
- ٢٥ — سكوتسمان، ٢٨ كانون ثاني ١٩٧٦.
- ٢٦ — ورد ذكره في فرنك فالي، جسر على البوسفور، ص ١٣٠.

٢٧ — في أوائل ١٩٧٧ قال الجنرال هيج، القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا، عن القوات التركية إنها تعمل بأقل من خمسين بالمائة من قدراتها نتيجة للحظر. انترناشيونال هيرالد تريبيون، ٢ ايار ١٩٧٧.

٢٨ — وقد أدى إلى مثل ذلك رفض أمريكا مساعدة الباكستان خلال حرب ١٩٧٥ الهندية الباكستانية.

٢٩ — سجل الشرق الأوسط، ١٩٦٧، ص ١٦.

٣٠ — ورد ذكره في المصدر ذاته.

٣١ — خطاب في مجلس الشعب، ١٤ آذار ١٩٧٦. مسح الاذاعات العالمية، الجزء الرابع، الشرق الأوسط وأفريقيا، ME/5160.

٣٢ — للاطلاع على شكوى السوريين من إمدادات الأسلحة السوفيتية، انظر التقرير والسجل العربي، ١ — ١٥ آب و ١ — ١٥ كانون أول ١٩٧٢. للاطلاع على الطلبات السورية من المقاتلات المحسنة لمقاتلة الطائرات الاسرائيلية، انظر هيلين كاربير ديكوس، السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ — ١٩٧٥. ص ٢٤٨.

٣٣ — انظر روبرت فريدمان، السياسة السوفيتية إزاء الشرق الأوسط منذ ١٩٧٠، ص ٧٠.

٣٤ — محمد هيكل، ناصر — الوثائق القاهرية، ص ص ١٢٣، ١٢٨.

٣٥ — نيوزهيرتشر زيتونغ، ٢٤ آب ١٩٧٢، والغارديان، ٢٨ ايلول ١٩٧٣. ويقال أيضاً إن الأسد تعرّض لبعض الضغط لكي يحدو حذو السادات ويطرد المستشارين السوفيت.

٣٦ — هيكل، الطريق إلى رمضان، ص ص ١٧٩ — ٨٠. يشير هيكل إلى النوعيات المختلفة للمستشارين السوفيت وإلى الشكوك بأن السوفيت كانوا يستخدمون مصر كميدان لتدريب الطيارين على الطيران في كل الأحوال الجوية. وقد عزّز هذا الطرح سجلّ الحوادث السيء للقوة الجوية المصرية: فبين ١٩٦٨ و ١٩٧١ فُقدت في أثناء التدريب ٦٨ طائرة يقودها طيارون مصريون أو سوفيت.

٣٧ — ادغار أوبالانس، الحرب الالكترونية في الشرق الأوسط، ص ٣٣، وب. ت. فابتيكوييتسي، (ملاحظات لتقدير التأثير السوفيتي في مصر)، في ميكائيل كوفينو وشيمون شامير (الناشر)، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والشرق الأوسط، ص ٢٨٨.

٣٨ — الكسندر ل. جورج وريشار مموكس، الردع في السياسة الخارجية الأمريكية: النظرية والتطبيق، ص ص ٣٢٦، ٣٢٧.

- ٣٩ — المصدر ذاته، ص ٣٣٢.
- ٤٠ — المصدر ذاته، ص ٣٤١.
- ٤١ — الخوف من أن التدخل العسكري الأمريكي يمكن على المدى الطويل أن يقوّض نظام حسين، كان أحد أسباب تراث أمريكا: في التدخل مباشرة في أيام أزمة ايلول ١٩٧٠ الأردنية. مارفن ورنار كالب، كيسنجر، ص ١٩٩.
- ٤٢ — واشنطن بوست، ٨ و ١٥ حزيران ١٩٧٠.
- ٤٣ — نيويورك تايمز، ١٤ كانون ثاني ١٩٧٢، ويتن، المصدر السابق، ص ص ٢٠٤، ٢٠٧.
- ٤٤ — يقال إن فيصل حثّ السادات على طرد السوفييت لكي يدفع الولايات المتحدة إلى الضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضي. شيخ رستم علي، العربية السعودية ودبلوماسية النفط، ص ١٠٧، ١٠٨.
- ٤٥ — كالب وكالب، المصدر السابق، ص ٤٧٤.
- ٤٦ — فريق الساندي تايمز لتقصي الحقائق، نظرة متأملة في حرب الشرق الأوسط ص ص ١٨٠ / ١.
- ٤٧ — عقب التوقيع على اتفاقية فك الارتباط الاسرائيلية المصرية الثانية، صرح الرئيس فورد بأن على الادارة التزاما ضمنيا لتزويد مصر ببعض العتاد العسكري. واشنطن بوست، ٢٥ و ٢٧ سبتمبر ١٩٧٥.

٤٨ — من الواضح أن الولايات المتحدة كانت ستتردد في تقديم إمدادات للطرفين في أثناء الحرب، ولكن عدم تقديم الامدادات للعرب كان من الممكن أن يزيد من احتمال اللجوء إلى فرض حظر على النفط.

٤٩ — دوايت أيزنهاور، شنّ السلام، ص ١٠٧. وقعت إساءة أكبر في ١٩٥٦ إلى العلاقة الأمريكية الفرنسية الأقل استقراراً. وكذلك سببت السياسة السوفييتية في أثناء حرب الأيام الستة توترات جديدة ضمن حلف وارسو، رغم أنه لم يكن هناك تورط عسكري سوفييتي كبير. ويتن، المصدر السابق، الملحق ١، (ردود فعل أوروبا الشرقية على حرب يونيو: دراسة حالة عن الفصل بين المواقف في السياسة الخارجية السوفييتية).

٥٠ — نيويورك تايمز، ١٥ تشرين اول ١٩٧٠.

٥١ — غالبا جولان، يوم كيبور وما بعده، ص ص ٩٣ / ٩٤.

٥٢ — إيان سمارت، (الدول العظمى والشرق الأوسط)، العالم اليوم: يناير ١٩٧٤، ص ١٤. لكن الأمريكيين حاولوا فعلا أن يؤخروا المناقشات في مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، وهو اقتراح عارضه حلفاؤهم الأوروبيون.

٥٣ — جرى التعبير عن هذا بشكل أوضح في أيام التورط الكويتي السوفييتي في أنغولا — وكما يقول الدكتور كيسنجر، (إن تقييد الأسلحة الاستراتيجية.... هو مشكلة دائمة وشاملة لا يمكن

إخضاعها للتغيرات في العلاقات الأمريكية السوفيتية من يوم
الى يوم)، التايمز، ١٥ كانون ثاني ١٩٧٦ .

— ٥٤ جولان، المصدر السابق، ص ٢٤٨ .

— ٥٥ فيل ولينز، (مهما يحدث لتعديل مانسفلد؟)، البقاء، تموز—

آب ١٩٧٦، ص ١٤٩ . بعد الحرب شعرت الادارة أنه من
الضروري تأجيل تقديم مشروع قانون بمنح الاتحاد السوفيتي
وضع الأمة ذات الأفضلية الأولى في التجارة .

— ٥٦ التايمز، ١٥ كانون ثاني ١٩٧٦ .

— ٥٧ خطاب إلى نادي الصحافة الوطني، واشنطن، ٣ شباط

١٩٧٥ .

— ٥٨ الجنرال أندريه بولر، حملة السويس، ص ١٢٧ .

— ٥٩ ويتن، المصدر السابق، ص ٣٦٦ . أنظر أيضا النيويورك تايمز،

٣ شباط ١٩٧١ .

— ٦٠ يروي كالب وكالب عن مصدر عالي المستوى في وزارة الخارجية

قوله (كان في البلاد عدد كاف من الناس ممن يبحثون عن

صديق ثقة في الشؤون الخارجية يتجاوز ووترغيت . كنا دائما

نقول للأمريائيين «عندما تفرقون فنحن معكم» ، حسناً لقد

غرقوا ويظهر أننا لم نكون معهم) المصدر السابق، ص ٤٧٥ .

— ٦١ لاحظ: وجهة النظر بأنه اذا اضطرت الولايات المتحدة إلى

السماح بتدمير إسرائيل فانها سوف تخسر «سم الائم والحقد،

سم الغضب والرد على الاتهام» ، ضمن الولايات المتحدة .
انترناشينال هيرالد تريبيون ، ١٩ آذار ١٩٧٠ . كان من الممكن
توقع عواقب سياسية هامة في أوروبا الغربية أيضا . أضف إلى
ذلك ضرورة عدم إغفال وجود ٣٠ مليون مسلم في الاتحاد
السوفييتي ، كثير منهم على مقربة من الحدود مع الصين .
وللإطلاع على وجهة النظر التي تقول إن السياسة السوفييتية في
الشرق الأوسط لا تؤثر في مواقف القوميات إزاء موسكو
حسب ، بل في علاقات القوميات إحداها بالأخرى أيضا ،
انظر (التطور السوفييتي في الشرق الأوسط) ، شهادات ، مجلس
النواب ، لجنة الشؤون الخارجية ، اللجنة الفرعية لأوروبا ، واللجنة
الفرعية للشرق الأوسط ، ١٩٧١ ، ص ٦٦/٦٧ .

الفصل الحادي عشر

خلاصات ومضامين

لم تشارك قوات الدولتين العظميين المقاتلة في معارك الشرق الأوسط إلا في مناسبة واحدة على عكس سجل أسلافها من الدول الأوروبية . واكتفت كل من واشنطن وموسكو باللجوء إلى دبلوماسية التهديد ونقل الأمدادات العسكرية، إذ كانتا تعملان تحت المظلة النووية . فقامت الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية كما قام الاتحاد السوفيتي أيضا منذ أواسط الخمسينات بنقل كميات كبيرة جداً من الأمدادات العسكرية إلى الشرق الأوسط . وقد استُخدمت هذه الامدادات لضمان الأمن للاصدقاء المحليين، وللحصول على التسهيلات العسكرية والنفوذ السياسي وللحفاظ على توازن القوى الاقليمي . كما استُخدمت الامدادات لتسهيل أهداف الوكلاء الذين كان مدخلهم العسكري في المنطقة أعظم، في العادة، من المدخل العسكري للدولة الكفيل . وبصورة عامة اعتُبر نقل الأمدادات العسكرية

وسيلة للحصول على نفوذ عسكري غير مباشر في الشرق الأوسط مع محاولة حصر التكاليف السياسية والمخاطر العسكرية في حدودها الدنيا في الوقت ذاته.

وقد أمكن تحقيق هذه الأهداف إلى حد ما . لكن نجاح نقل الأمدادات كان يعتمد كثيراً على الظروف . فبعض النزاعات الإقليمية ، كما يتبين من النزاع الاسرائيلي العربي بصورة قوية جداً ، كان يصعب جداً الملحق بها واحتواؤها بتوازن عسكري فقط يتم تنظيمه من الخارج . يضاف الى ذلك أن الأمدادات التي كان يتم نقلها لم تكن دائماً مناسبة لحاجات الدول الآخذة بتنمية قدراتها العسكرية . وكان هناك ميل ، ولا سيما لدى الاتحاد السوفيتي ، لتقديم أسلحة أكثر مما ينبغي مع أقل ما يلزم من التدريب ، لتأكيد التوازن العسكري كما يظهر على الورق لا لتأكيد قدرات دول المنطقة القتالية . لم يكن هذا كله خطأ الدولتين العظميين . فقد عانت واشنطن وموسكو صعوبة كبيرة في ردّ قوائم طويلة لشراء الأسلحة تمّ التعاقد عليها مع الزبائن ، قوائم لم تكن تلتفت إلى مشكلات تشغيل المعدات المعقدة وصيانتها في منطقة كان مستوى التعليم التقني فيها منخفضاً بصورة عامة ، وكانت الأيدي العاملة الماهرة فيها في بداية نشأتها . لكن الدولتين العظميين كانتا

في بعض الأحيان تعقدان المشكلة بتقديم معدات وتدريب
مصممة لساحة القتال الأوروبية لا الشرق أوسطية. ففي حالة
النزاع العربي — الاسرائيلي أسهمت سياسة نقل الامدادات
السوفيتية فعلا في نشوب عدة جولات من القتال، وفي الهزائم
العربية. عندئذ أدركت موسكو، كما أدركت الولايات المتحدة في
فيتنام، أن نقل المعدات العسكرية على مستوى منخفض قد
أدى إلى نشأة مصالح فرعية (مشتقة) أصبحت عندئذ عاملاً
هاماً في تقرير السياسة. وقد نتج عن هذا سلسلة من المواجهات
بين الدولتين العظميين، وعملية كبيرة لنقل الامدادات في عام
١٩٧٣ حاول الاسرائيليون أن يتدخلوا فيها، كما أدى الى استعمال
قوات سوفيتية في القتال في ١٩٧٠ الى ١٩٧٢. ومن الواضح
أنه لم يكن بالامكان اعتبار الامدادات سياسة آمنة من الخطر.
أضف إلى ذلك، أنه على الرغم من اعتماد الأقطار المشتريّة
على الدول العظمى في تأمين قطع الغيار والتدريب والأسلحة
الجديدة، من الواضح أن السلاح لا يشتري النفوذ، إلا إذا كان
للشاري والبائع مصالح مشتركة بينهما، اما إذا لم تكن لهما مصالح
مشتركة، وإذا كانت لهما مصالح قد تصبح مع مرور الزمن
مختلفة، فلا يمكن للدول العظمى أن تكون على يقين من أن

علاقة نقل الامدادات ستسمح لها بتطبيق عقوبات فعالة بشكل كاف لاعادة زبائنها إلى جادة الصواب . وقد كانت محاولة السعي إلى تغيير السياسة المصرية أو تعديلها، كما فعل الاتحاد السوفييتي، عن طريق رفض تزويدها بالامدادات العسكرية، كانت هذه المحاولة سياسة خطيرة وصعبة^(١). خطيرة لأن الدولة الآخذة كان بإمكانها أن تنتقم من كفيلتها، وذلك في أغلب الأحيان بمجرد أنها قدّمت لها مدخلا عسكرياً، وصعبة لأن الدول الآخذة كان باستطاعتها في أغلب الأحيان أن تتحول إلى جهة أخرى للحصول على الأسلحة . وهذه الأسلحة قد لا تكون دائماً متوافرة بالكميات والنوعيات اللازمة أو في المدة التي تريدها الدول المشترية، لكن مجرد التهديد بالتحويل إلى مكان آخر كان في كثير من الأحيان وسيلة فعالة لردع الدول البائعة (الكفيلة) عن السعي لاستخدام علاقات نقل الامدادات العسكرية للتأثير في سلوك الزبائن . ولا تتوافر أدلة إلا في حالة إسرائيل على أن استخدام علاقة نقل الامدادات العسكرية كان له تأثير هام في تبديل سياسات دولة زبون . واسرائيل حالة غير اعتيادية أولاً لأنها بعد ١٩٦٧ لم يكن لديها بديل كبير آخر لتزويدها بالأسلحة . وثانياً لأن الولايات المتحدة كانت حذرة جداً لدى استخدام

سياسة الأمن الاسرائيلي عن طريق استخدام كل من العصا والجزرة .

ويظهر أن دبلوماسية التهديد، على عكس نقل الامدادات العسكرية، قدّمت للدولتين العظميين أداة للتنفوذ العسكري أكثر نجاحاً بصورة ثابتة على الرغم من أنها في بعض الأحيان كانت أكثر خطراً وغموضاً نوعاً ما. فعلى الرغم من أن دبلوماسية التهديد تحوي عنصراً كبيراً من الايهام، وعلى الرغم من انتباه المخططين العسكريين الشديد إلى وجود عدد من القيود في طريقها كالنقص في القوات المتوافرة للتدخل مباشرة، وأخطار تكليف وحدات رمزية صغيرة العمل في بيئة تنطوي على إمكانات العمليات،... على الرغم من كل ذلك كان لتهديد القوة وزنٌ كبير. وكانت واشنطن وموسكو عندما تتعاملان بالتهديد مع أقطار الشرق الأوسط تعتمدان كثيراً على وضعهما كقوتين عظميين. فحتى أقوى أقطار الشرق الأوسط حافظت على احترام سليم للفرق بين مواردها العسكرية الخاصة وموارد الدولة العظمى، وكان يُعتقد بشكل واسع، ولو خطأً في بعض الأحيان، أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي قادران فوراً على جلب قوة ساحقة إلى المنطقة^(١).

وكانت الدولتان العظميان لدى تعاملهما بالتهديد إحداهما مع الأخرى، تسعيان إلى استخدام خطر الحرب النووية إلى النقطة التي تقرر فيها الدولة العظمى الخصم الامتناع عن التدخل العسكري أو الزام زبائنها بالحد من أعمالهم العسكرية. ففي ثلاث مناسبات على الأقل، في آب ١٩٥٧، وتموز ١٩٥٨، وتشرين الأول ١٩٧٣، شمل التأهب القوات النووية وكانت أمريكية في كل مرة. وفي جميع أزمات الشرق الأوسط الكبيرة، ولا سيما خلال حرب الأيام الستة وما بعدها، كانت القناة الأولى للاتصالات هي تلك التي توجد بين واشنطن وموسكو. وكانت هذه القناة بلا شك أسلم من أية قناة مقصورة على لغة التهديد المباشر بين دولة عظمى وزبون الدولة العظمى الخصم في المنطقة. لكنها كانت في بعض الأحيان أيضا هي الطريقة الممكنة الوحيدة للاتصال، إما لعدم وجود علاقات دبلوماسية، أو لأن الأقطار الشرق أوسطية كان ينقصها معدات التجسس الضرورية لمراقبة اشارات التهديد التي تبثها مختلف أشكال التأهب خارج المنطقة.

كان لأساليب السياسة العسكرية هذه من خارج المنطقة تأثير كبير واسع في الشرق الأوسط. فقد اعتمدت جميع أقطار

الشرق الأوسط في الحقيقة على الأسلحة والتدريب من خارج المنطقة. ولا يوجد فعليا عاصمة واحدة في المنطقة لم تتأثر فيها السياسة الخارجية والسياسة الأمنية، بشكل حاسم في أغلب الأحيان، بالوعد بشكل من أشكال الدعم الخارجي أو بالتهديد بالتدخل. فقد ظلت بريطانيا لسنوات عديدة تساعد، بدعم من الولايات المتحدة، في المحافظة على استقرار الخليج. وإلى الشمال ضمنت واشنطن أمن تلك الأقطار الواقعة على الحدود السوفيتية واستقلالها. وفي شرقي البحر الأبيض المتوسط ضمن الأمريكيون بقاء النظام المحافظ في الأردن ولبنان، وسعوا إلى حل مشكلة الأمن الإسرائيلي. وقدم الاتحاد السوفيتي الأمدادات العسكرية لضمان سياسات عبد الناصر المتعلقة بالوحدة العربية ولاعطاء العرب البديل العسكري في نزاعهم مع اسرائيل. كما كفل دعم النظامين السوري والمصري والمراكز الحيوية. لكن تأثير الدولتين العظميين في النزاع العربي الإسرائيلي كان معظمه متوقفا على تفاعل سياستيهما العسكريتين. إن التوازن النسبي، ولو كان محرجاً، الذي حاولنا فرضه، كان نتيجة ليس فقط لتنافسهما، بل لمصلحة يشتركان فيها، وإن لم يكن بنفس الدرجة من كليهما دائما، وهي الوصول إلى حل سياسي أقل غبناً للعرب من الوضع

العسكري الراهن الذي أقامته حرب الأيام الستة. فقد عززت واشنطن عدة مرات دبلوماسية التهديد السوفيتية ونقلتها إلى القدس ليس فقط لكي تحتوي مخاطر المواجهة بل لكي تقلل أيضا من مدى الانتصارات العسكرية الاسرائيلية التي كان الأمريكيون أنفسهم يجدونها محرجة. وفي ١٩٧٠، كما حدث في أثناء حرب تشرين وما بعدها، استغلت واشنطن عن رغبة منها الفرص التي ولّدها الدعم العسكري السوفيتي المتزايد للعرب لكي تضغط على الاسرائيليين ليقوموا بتنازلات.

لكن لمن كانت الدولتان العظميان قد ساعدتا في تهدة الصراع العربي الاسرائيلي فانهما قد استعملتا طرائق في التهدة ظهر في كثير من الأحيان أنها أبعد جدا عن التهدة. فقد أقحمتا هنا وفي أماكن أخرى منافستهما الخارجية في النزاعات التي كانت إقليمية في الأصل. فصار الشرق الأوسط بالنتيجة يبدو في بعض الأحيان وكأنه أكثر قليلا من مسرحٍ آخر للنزاع بين الدولتين العظميين بوساطة الوكلاء، مسرحٍ يقال، بصورة خاطئة في أغلب الأحيان، إن أعمال الوكلاء المحليين فيه هي دائما انعكاس لأغراض كفلائهم (Patrons). فكانت الأزمات المحلية تنقلب إلى مجابهات بين الدولتين العظميين مما حدا بساخر من بيروت

إلى التعليق بأن للدولتين العظميين كثيراً من المصالح «الحوية» وبأنه من العجب أن تبقيا على قيد الحياة^(١).

يضاف إلى ذلك أن التنافس في نقل الأمدادات العسكرية أشعل سباق التسلح في شرقي البحر الأبيض المتوسط والخليج، وكان في مقدور الأقطار الشرق أوسطية الحصول على تشكيلة من الأسلحة الحديثة المدمرة ذات التكلفة المتزايدة التي كان لها دور كبير في تحديد طراز الصراع العربي — الاسرائيلي.

ليس هذان سوى سببين من الأسباب التي تجعل أي تقويم لفعالية السياسة العسكرية من وجهة نظر الدولتين العظميين معقداً للغاية. يوحى السجل التاريخي بأن القوة، على الرغم من القيود التي يفرضها توازن الرعب النووي، وبفضله إلى حد ما في الحقيقة، تبقى وسيلة عملية للسياسة ولو بشكائ محدود. لا شك أن السياسة العسكرية والسمعة التي ترافقها. كانتا ضرورتين لتينك القوتين الخارجيتين اللتين كانتا سبباً في ممانعة أي قدر ملموس من النفوذ في الأحداث في منطقة غير مستقرة إلى حد كبير. وكما قال غروميكو باستخفاف في تعليقه بشأن وسيط الأمم المتحدة الخاص في الصراع العربي — الاسرائيلي، (ليس من غيب في يارنغ سوى أنه لا يملك أساطيل في البحر أو صواريخ في

خو' . ' إلا أن السجل السوفيتي . كأي سجل ، يشير إلى أن
سياسة العسكرية ليست سوى أداة غير دقيقة للتحكم ، وأنها
تلائم ، على الأقل في الظروف السائدة في الشرق الأوسط ، تحقيق
فئات محدودة فقط من الأهداف . كانت السياسة العسكرية فعالة
إلى أقصى حدّ حين كانت تُستخدم لضمان الوضع الراهن ،
وعن الأحرص في الصراعات بين الدول . لكن ، وهذا الاحتياط
منه ، إذا كان القصد وضع الأداة العسكرية في موضعها
الصحيح من إطار السياسة الخارجية الأوسع ، لم تكن
... .. حرة بذاتها في العادة هي التي تسمح للدولتين
العظميين بثبيت ظروف الاستقرار ضمن المنطقة . وعلى العكس
من ذلك كان نشر القوات للتهديد يهدف ، في أكثر من مرة ، إلى
دعم الوضع الراهن في أوقات الأزمة . وكان هذا الدعم لا يسمح
بتحويل بأزاحة المعارضة إلا بصورة عرضية جدا . كما حدث
للملك حسين بالفعل في ايلول ١٩٧٠ . ولم يكن نشر القوات
للتهديد ليسهم في أغلب الأحيان بأكثر من تثبيت الأوضاع التي
تبين أن تحقيق حل في ظلها يكون أسهل على المدى الطويل .
وكانت التهديدات تنفع في كسب الوقت . لكن ذلك كان يتوقف
على مدى وسرعة وجدية المبادرات السياسية التي تُعقب

التهديدات . فجنود البحرية الذين أرسلوا إلى لبنان في ١٩٥٨ أعقبهم بسرعة إرسال مبعوث أمريكي خاص للمساعدة في التفاوض من أجل حل سياسي . والسياسة العسكرية الأمريكية التي صيغت بعناية في أثناء حرب تشرين أعقبها دبنه ماسية الخطوة فخطوة للدكتور كيسنجر . لكن مثل هذه المبادرات لم تكن تتم بصورة آلية ، ولا كانت تنجح دائما . فقد ثبت أن الزبائن تتمرد ، وأن المشكلات السياسية يتعذر اللحاق بها ، وأن الأزمات عندما تنحسر تنحسر معها حاسة الاستعجال . تبدو ضرورة لفرض اللجوء إلى أية مبادرة بخلاف السلام . وفي تاريخ النزاع العربي الاسرائيلي وتكرار وقوع أحداث في الأردن ولبنان شاهد كاف على قدرة الدولتين العظميين على احتواء النزاعات لا على حلها .

ومن بين العوائق الهامة الأخرى في وجه فعالية السياسة العسكرية ، دورها المحدود في الدفاع عن المصالح النفطية وإخفاق الدولتين العظميين في تحقيق أهداف تصحيحية حاسمة . وقد كان هذا الاخفاق ملحوظا بشكل أعظم في حالة الاتحاد السوفيتي ، اذا سلمنا بأنه كان في الأساس قوة تصحيحية بالاصطلاح الشرق الأوسطي . والاستثناءات الواضحة لهذا هي مبيعات السلاح

السوفييتي الأولى لمصر وسورية^{١٢}، لكن الفرص المواتية جداً التي اغتنمها الاتحاد السوفييتي في البداية لم تكن لتسمح له باستغلالها بصورة غير محدودة. ومما يدعو الى السخرية أن الاتحاد السوفييتي نجح في تغيير الميزان السياسي في العالم العربي عن طريق صفقات سلاح صغيرة نسبياً في الخمسينات أكثر من نجاحه بوساطة الأمدادات العسكرية الكبيرة الأخيرة إلى المصريين والسوريين بهدف قلب هزيمة العرب في ١٩٦٧. والسجل الأمريكي هو أيضاً غير مثير هنا. من الممكن أن يكون نقل كميات قليلة من الامدادات العسكرية إلى الأكراد عن طريق إيران في أوائل السبعينات قد ساعد في إضعاف الحكومة العراقية. لكن هذا الانجاز لا أهمية له نسبياً إذا قيس باخفاق دبلوماسية التهديد والامدادات العسكرية الأمريكية في اقناع جيران سورية بالتحرك في أواخر صيف ١٩٥٧ ضد النظام السوري، أو باخفاق الولايات المتحدة في (طرد) الوجود العسكري السوفييتي في مصر بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٢. إن معظم ما حققته السياسة العسكرية الأمريكية في هذا المثال الأخير هو احتواء مدى التغلغل السوفييتي، وزيادة القيود على نقل الأمدادات العسكرية السوفييتية إلى مصر، القيود التي أسهمت فعلاً في إفساد العلاقات المصرية

السوفيتية. كانت هذه القيود على جدوى السياسة العسكرية نتيجة حتمية للظروف الخاصة التي كانت تطبق فيها. فقد كانت الدولتان العظميان تعملان في بيئة سياسية شديدة التقلب وكثيرة التعقيد. ولم تكونا قوتين استعماريّتين بالمعنى التقليدي. لم يكن لهما جنود في المنطقة. وما كان يُسمح لهما بالتمتع بالحقوق التي كان يتمتع بها أسلافهما الأوروبيون بموجب ما يدعى «المعاهدات غير المتكافئة». وكان ينقصهما كثير من المتطلبات الضرورية، السياسية منها والعسكرية. وكانت هناك المشكلة الجدية التي يفرضها التنافس المتبادل. فقد وجدت كل من موسكو وواشنطن نفسها في وضع تكون فيه أية ميزة استراتيجية هامة تحرزها، إما إحداها أو الدول التابعة لها، معرضة للتجميد أو للمعارضة مميزة بماثلة من جانب الدولة العظمى الخصم. لم تقع في الشرق الأوسط أحداث شبيهة بما حدث في أنغولا في عام ١٩٧٥، حيث استطاعت الحركة الشعبية لتحرير أنغولا (MPLA) التي يساندها السوفييت أن تحرز نصراً سهلاً نسبياً لأن الولايات المتحدة لم تكن راغبة في مواصلة تزويد خصومها بالمعدات العسكرية. يضاف إلى ذلك أن الأخطار الكامنة في مواجهة بين الدولتين العظميين أدت إلى نمو تفاهجٍ ضمني بينهما

فاقتصر التهديد وغيره من أساليب نشر القوات على الدفاع عن الوضع الراهن .

ما الذي يمكن استنتاجه إذن بشأن القيمة النسبية للسياسة العسكرية لكل من موسكو وواشنطن ؟ لا جدال في أن السياسة العسكرية قد سمحت للاتحاد السوفيتي بأن يصبح قوة شرق أوسطية ، وهو وضع نشأ بعد عقد اتفاقية الأسلحة مع مصر في ١٩٥٥ . وعلى الرغم من أن موسكو لا تستطيع التحكم في الأحداث في المنطقة ، فلا شك أنها تستطيع أن تؤثر فيها وأن تضع أيضاً حداً للتأثير الذي يمارسه الآخرون ، على الأقل في شرقي البحر الأبيض المتوسط . لكن الثمن كان مرتفعاً ، والأرباح التي تم الحصول عليها على المدى الطويل من توظيف عسكري كبير لا بد أن تبدو ضئيلة جداً ولا سيما في حالة مصر . وقد نشأ جانب من المشاكل من أن التدخل العسكري السوفيتي إلى الشرق الأوسط لم يأت فقط بسبب شعور أقطار شرقي البحر الأبيض المتوسط الراديكالية المعادي للغرب ، بل بسبب صراعها مع إسرائيل أيضاً . فهذا التورط الأخير هو الذي اقتضى نقل إمدادات عسكرية سوفيتية كبيرة بصورة غير متوقعة تماماً إلى المنطقة ، كما تطلب القيام بسلسلة من التهديدات وحتى

استعمال القوات في القتال مرة واحدة. لكن المشكلات تجاوزت ما بدا أنه اختيار غير حكيم للحلفاء: في منطقة كان المدخل العسكري إليها في بدايته، كان على الاتحاد السوفيتي، شأن الولايات المتحدة، أن يأخذ زبائنه حيث يستطيع أن يجدهم. كما أن سياسة نقل الأمدادات العسكرية السوفيتية ظلت سنوات عديدة غير مهيأة بشكل كافٍ لتلبية الحاجات العسكرية الحقيقية لزبائنه، وعندما جرى توسيع الوجود العسكري السوفيتي بعد حرب الأيام الستة، ظهر أن سلوك العسكريين السوفيت، وخصوصاً جيش الخبراء في مصر، لم يكن حساساً ولا مرناً. وكان بعض ذلك يعود إلى خطأ في سيكولوجية السياسة لكنه كان في جوهره انعكاساً لعدم وجود أي اشتراك حقيقي في المصالح على المدى الطويل بين الاتحاد السوفيتي وزبائنه الرئيسيين. كان الاتحاد السوفيتي يبحث عن قواعد عسكرية ونفوذ سياسي وهما مطلبان كانت الدول الراديكالية ترفض بقوة القبول بهما، لأنها كانت لا تزال تذكر جيداً تجربتها التاريخية الحديثة مع الفرنسيين والبريطانيين. وكان الاتحاد السوفيتي، من جهته، يقترّ في دعم هدف العرب الذي يأتي في المقام الأول وهو قلب هزيمة . ١٩٦٧

ويمكن في الحقيقة القول إنه، بعد أن تلاشى الشعور المعادي للغرب الذي ساد في أواسط الخمسينات وأواخرها، أصبحت السياسة العسكرية أداة ملائمة للولايات المتحدة أكثر منها للاتحاد السوفيتي. وكانت أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في الأساس أهداف دولة تريد المحافظة على الوضع الراهن لا أهداف دولة راديكالية. وكان الأمريكيون يتمتعون ليس فقط بميزة مدخل عسكري أوسع من المدخل العسكري السوفيتي، وخصوصاً في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية، بل بوجود زبائن لهم كانوا، إما لأنهم ظلوا بعيدين عن القتال وإما لأنهم يملكون مقدرة عسكرية أكبر، يطلبون من كفيْلهم أسلحة كميتها أقل وتديرها أسهل.. يضاف إلى ذلك أن صانعي القرار الأمريكيين، نظراً لمصالحهم الأكثر أهمية في المنطقة، ربما وجدوا أسباباً لتبهر الدرجة الكبيرة من الخطر الكامنة في السياسة العسكرية أكثر مما كان يجده أندادهم السوفيت. والشك حول السياسة العسكرية الأمريكية قد تركز في عدم قدرة الولايات المتحدة على حل النزاعات الإقليمية وعلى الأخص الصعوبات التي عانتها الولايات المتحدة لدى محاولة وضع الأمن الإسرائيلي على قواعد سياسة أشد ثباتاً، كما تركز في الظن، الذي قد يعكس

جزئيا كمية المعلومات المتوافرة عن صنع القرار الأمريكي أكثر منها عن صنع القرار السوفييتي، بأن الولايات المتحدة قد اتجهت في بعض الأحيان إلى المبالغة في رد الفعل وإلى التخلي بسرعة كبيرة عن الأساليب غير العسكرية في تناول المشكلات^(١).

قد تساعدنا هذه الاستنتاجات في تمييز بعض العوامل التي سوف تحدد دور الدبلوماسية العسكرية في الشرق الأوسط في المستقبل. ويبدو من المحتمل أن تزداد القيود على السياسة العسكرية بدلاً من أن تتناقص. بل إن نمو حجم الأسلحة وتعقيدها في المنطقة يشير إلى أن التدخل العسكري المباشر من جانب الدول الخارجية يُنتظر أن يصبح أصعب وأكثر خطراً من ذي قبل. وقد كان هذا في الحقيقة هدف جانب كبير من سياسة نقل الأمدادات العسكرية الأمريكية إلى المنطقة، لكن يمكن أيضاً أن يكون هناك تحت بعض الظروف حدود لحرية أمريكا في التصرف. فمن المشكوك فيه مثلاً أن تظل الولايات المتحدة قادرة على التفكير في القيام بغزوة لحماية إمدادات النفط في الثمانينات، بعد أن تستوعب القوات المسلحة السعودية الكميات الكبيرة من المعدات المطلوب شراؤها حالياً من الولايات المتحدة. ومثل هذه الاعتبارات تثير أيضاً أسئلة حول فعالية

دبلوماسية التهديد في المستقبل. ومخططو الدفاع عرضة لأن يصبحوا أكثر حذراً حتى بشأن انتشار قوات محدودة في منطقة مسلحة تسليحاً كبيراً تصبح فيها أهداف باهظة الثمن، مثل حاملات الطائرات، معرضة بصورة متزايدة للقوات المسلحة لدول من المنطقة مسلحة بعناد موجه باحكام^(٨). يضاف إلى ذلك أن توافر المزيد، والمزيد من الأسلحة الفتاكة، يمكن أن يؤدي إلى شعور عواصم الشرق الأوسط بأنها أقل تعرضاً للخطر عندما تجد أنفسها ضحايا لدبلوماسية تهديد الدولتين العظميين. وبالنتيجة يمكن أن تعاني الدولتان العظميان من تناقص في السمعة التي اعتمدتا عليها في الماضي من أجل تخويف الدول المحلية لكي تمتنع عن التصرف بطريق معين.

وهناك قيد آخر على السياسة العسكرية الخارجية ينشأ عن استمرار التناقص في توافر المدخل العسكري. إن الطلب على الامدادات العسكرية الآتية من الخارج لا يحتمل أن يستمر بمعدل عال كما كان في أوائل السبعينات وأواسطها، خصوصاً بعد أن يسير التوسع في صناعات السلاح الإقليمية في طريقه بصورة جدية. لكن هذه الصناعات سوف تعتمد في الأجل القصير والأجل المتوسط على نقل التكنولوجيا من الخارج. وحتى في

الأجل البعيد يصعب. على المرء أن يتصور أن يصبح أي قطر في الشرق الأوسط مكتفياً ذاتياً في إمدادات الأسلحة. والأهم من ذلك، القدرة المتزايدة لبعض أقطار الشرق الأوسط على الاستغناء عن الدعم العسكري الخارجي أو على الاكتفاء منه بقدر أقل جداً مما كانت تتلقى منه في السابق. تبدو هذه النزعة أكثر ما تبدو في الخليج الذي تتوافر المداخليل الكبيرة لتمويل تنمية القوات الوطنية فيه، والذي ليست مشكلة الأمن فيه حادة مثل شرقي البحر الأبيض المتوسط. وقد نتج عن ذلك أن معظم دول الخليج كانت في أواسط السبعينات قد أوضحت أنها لا ترغب في أن يحل وجود بحري لأحدى الدولتين العظميين محل الوجود البريطاني، وأن علاقاتها العسكرية مع القوى الخارجية يجب أن تنحصر في نقل الأمدادات إليها.

لكن زوال المدخل العسكري إلى كل أرجاء المنطقة زوالاً تاماً يعتمد آخر المطاف على نمو إحساس بالأمن ودرجة من الاستقرار أعظم جداً مما كان عليه الأمر في الماضي. قد تبدو تطورات كهذه بعيدة. فالتنافس بين العرب، ومشكلات الأقليات، وعلامات الاستفهام حول مستقبل الأنظمة المحافظة، وقبل كل شيء الصراع العربي الإسرائيلي، كلها توحى بأنه سيكون

هناك طلب مستمر على التورط العسكري الخارجي أو فرص مستمرة له. وستكون هذه هي الحال مهما حدث للصراع العربي الاسرائيلي. فاذا لم يوجد حلٌ يظل خطر الحرب ماثلاً، ويُنتظر أن تتورط الدولتان العظميان، في أي صراع كبير، ولو بصورة غير مباشرة على الأقل، على الرغم من أن طراز تورطهما قد يختلف عن طراز التورط في حرب الأيام الستة وحرب تشرين. ويمكن افتراض أن اسرائيل ستصبح في مستقبل قريب قوة نووية بلا ريب، ويُنتظر أن يلعب العامل النووي الأقليمي في أي صراع في المستقبل دوراً أكثر أهمية من دوره في ١٩٧٣. ويصبح هذا الاعتبار أدعى للشؤم إذا تصورنا أن توازن القوى يمكن أن يميل أخيراً ضد إسرائيل ما دامت الموارد الاقتصادية تُستخدم لتحسين قدرات العرب العسكرية بصورة متزايدة ونظراً للأهمية التي أخذ يكتسبها تفوق العرب في العدد مع زوال الفجوة التكنولوجية بينهم وبين الاسرائيليين. وقد تكون إحدى النتائج المحتملة لهذا أن عبء مبادرة الدولة العظمى إلى دبلوماسية التهديد لانقضاء زبونها قد ينتقل من الاتحاد السوفييتي إلى الولايات المتحدة، وأن الولايات المتحدة قد تجد أن مشكلة الأمن الاسرائيلي تزداد صعوبة.

وحتى لو كان هناك حلٌ للصراع العربي الاسرائيلي فمن

المحتم تقريبا أنه سيحتاج إلى شكل من الضمان العسكري الخارجي للتقليل من الشعور بعدم الأمن الذي يُحتمل أن يظل في المستقبل القريب قائما بين كل من العرب والاسرائيليين. ما الشكل الذي سيتخذه هذا الضمان، وهل سيشارك فيه أطراف غير الدولتين العظميين^(١)، وكيف ستُحل مشكلة توفير الأمن لأية دولة فلسطينية، هذه أسئلة تظل مطروحة. وكذلك مسألة ما إذا كانت الضمانات ستزيد أم تقلل من الأخطار بالنسبة للدولتين العظميين. سوف يتوقف ذلك كثيرا على طبيعة الحل. ويمكن أن يتضمن الحل القابل للبقاء شيئا أكثر من إعطاء صيغة قانونية لضمانات بقاء الأطراف الرئيسة القائمة بحكم الواقع التي قدمتها الدولتان العظميان زمناً طويلا، وأن يقلل في الوقت ذاته بدرجة ملموسة خطر اللجوء في المستقبل إلى تنفيذ هذه الضمانات. لكن إذا وجدت الدولتان العظميان، أو غيرهما في الحقيقة، أنهما مطالبتان بضممان اتفاقية غير صالحة للبقاء، كما فعل البريطانيون واليونانيون والأتراك في حالة معاهدة الضمانات التي رافقت تأسيس جمهورية قبرص المستقلة، فإن من الممكن عندئذ أن يؤدي ذلك إلى موقف ينطوي على الخطر.

هناك أيضا مسألة ما إذا كانت الدولتان العظميان

سترغبان في مواصلة اتباع سياسة عسكرية في المنطقة. وقد شهدت أواسط السبعينات في الحقيقة زيادة طفيفة في عدد الممثلين العسكريين الثانويين. وكان هناك أدلة أيضا على عودة المصالح الفرنسية الى الظهور في المنطقة، وخصوصا في العرض الفرنسي لتقديم قوة سلام للمرابطة في لبنان في أيار ١٩٧٦. لكن القضية الرئيسية تتعلق بموقف الدولتين العظميين من الواضح أن الاتحاد السوفيتي هو الآن في وضع لدعم سياسة كهذه أفضل من وضعه قبل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة. فبينما كانت دبلوماسية التهديد السوفيتية في الخمسينات مقصورة على التهديد في عبارات غامضة بارسال «متطوعة» وعلى القيام بتدريبات على الحدود التركية الإيرانية، صار الاتحاد السوفيتي في أوائل السبعينات قادرا على نشر عدد من السفن الحربية في البحر الأبيض المتوسط يكفي لاثارة قلق حقيقي جدا في واشنطن حول حرية أمريكا في التصرف في ظل ظروف الأزمة. ولا بد أن يزداد هذا القلق بعد تجهيز أولى ثلاث حاملات طائرات سوفيتية في عام ١٩٧٦. على الرغم من ذلك يمكن للثأر السياسية المقطوفة من توظيف ضخم، وخطر جدا أحيانا، في الصراع العربي الاسرائيلي، أن تدفع صانعي القرار السوفيتي، فيما يخص هذا

النزاع على الأقل، إلى الحذر والحاجة إلى حل، ولا شك أن هذا الانطباع هو الذي كان الاتحاد السوفيتي يسعى إلى اعطائه في ربيع ١٩٧٧، حين ظهرت احتمالات التسوية، مواتية، نسبياً على الأقل، بشكل غير مألوف. فلم يكن بريجنيف مستعداً فقط لصياغة مقترحات مفصلة بشأن تسوية تعبر بعض الاهتمام لمصالح الأمن الاسرائيلي، بل أشار أيضاً إلى رغبة السوفييت في دراسة المقترحات الأمريكية بشأن الحد من إمدادات السلاح للمنطقة^(١١).

ويظهر أن الأمريكيين أيضاً كانوا تواقين إلى تخفيض سياستهم العسكرية في الشرق الأوسط. ليس هناك أي شك فيما يظهر بأن احتواء القوة السوفيتية وبقاء إسرائيل سوف يظلان هدفين يتمتعان بالأولوية. وأنه على الرغم من تجربة فيمتنام، لن يحدث في السياسة الأمريكية نقلة كبيرة نحو مبدأ العزلة. لكن في ١٩٧٧ كان القلق حول مستوى نقل الإمدادات الأمريكية قد انتشر من الكونغرس إلى الإدارة^(١٢). على الرغم من أن واشنطن كانت تعي أيضاً أن تسوية عربية إسرائيلية كانت لازمة عندئذ أكثر من أي وقت مضى. مع ذلك لم يكن للقوتين العظميين سوى سيطرة غير تامة على الموقف في المنطقة. هل يمكن أن

يتعاوننا لتخفيض مقدار تورطهما العسكري في الشرق الأوسط
وخطره؟ ذلك ماسوف يُرى وسوف يعتمد ليس بالدرجة الأقل
على النفوذ الذي شتكون واشنطن وموسكو مستعدتين لممارسته
على زبائنها وعلى رغبتهما في تطوير علاقة الوفاق.

الحواشي

- ١ — مثال ذلك المصاعب الأمريكية في تركيا عقب حظر الأسلحة المفروض من قبل الكونغرس في ١٩٧٥ .
- ٢ — في ذات الوقت الذي وقع فيه التدخل السوفيتي في حرب الاستنزاف، كان الاسرائيليون على وعي فعلاً بأنهم لن يكونوا قادرين على ربح الحرب، على الرغم من اعتقادهم بأنهم قد يستطيعون ربح المناوشات العرضية بفضل التفوق في التدريب والطيران. لكن قد لا يكون من الحكمة استنتاج أية نتائج عامة من هذا المثال المنفرد الذي يشمل فرعاً من القوات المسلحة ظلَّ يحظى منذ زمن طويل بأولوية عالية في الاتحاد السوفيتي.
- ٣ — الايكونوميست، ٤ ايار ١٩٥٧ .
- ٤ — محمد حسين هيكل، الطريق إلى رمضان، ص ص ٥٦ / ٧ .
- ٥ — تشير الأدلة إلى أن واشنطن هي، كما جرى وصفها، عاصمة ذات أزمة واحدة، وأن ماكينة السياسة الخارجية فيها ليست مبنية بطريقة تسمح بتوجيه انتباه مستمر بالمستوى اللازم لصنع القرار إلى مشكلة واحدة لفترة غير محدّدة من الزمن. وهناك

أيضاً المشكلة التي عبّر عنها موظف سابق في الإدارة وهي «أن السياسة الخلاقة التي تبادر كما تردّ... تتطلب جهوداً كبيرة». روبرت ج براونجر، سياسة السلام الأمريكية في الشرق الأوسط. ص ٥٦.

٦— النجاح الآخر للسياسة العسكرية التصحيحية السوفيتية ربما كان في اليمن. فكان نقل الأمدادات العسكرية السوفيتية أحد العوامل التي أسهمت في الانسحاب البريطاني من قاعدة عدن وفي سقوط اتحاد الجنوب العربي.

٧— إن أوضح مثال على هذا هو أزمة التأهب في تشرين ١٩٧٣. لكن لاحظ أيضاً رفض الأسلوب الأقل قوة الذي اقترحه وزير الخارجية، روجرز، وآخرون في أثناء أزمة الأردن في سبتمبر ١٩٧٠.

٨— هذا مبنيّ طبعاً على افتراض أنه لا توجد تطورات كبيرة في التدابير المضادة لمعارضة مثل هذه الأسلحة. من أجل دليل على هذا الامكان انظر ريشارد برت، تقنيات الأسلحة الجديدة: مناظرات وتوجيهات، ص ص ١١ — ١٢.

٩— بناء على بيان عن الشرق الأوسط أصدرته (المجموعة الاقتصادية الأوروبية EEC) في ايار ١٩٧٧، التسعة (مستعدون للنظر في المشاركة في ضمانات في إطار الأمم المتحدة).

١٠ — خطاب إلى مؤتمر اتحاد العمال السوفييتي، التاسع — ٢٢ آذار
١٩٧٧.

١١ — في أيار ١٩٧٧ أعلنت إدارة كارتر مجموعة من القواعد
الإرشادية القصد منها تخفيض صادرات الأسلحة الأميركية.
وقد شملت هذه حظر تطوير أو تعديل أنظمة الأسلحة المتقدمة
لغرض التصدير فقط، ومنع عقد الاتفاقات للتعاون في إنتاج
(الأسلحة الهامة) والتصريح بأن الولايات المتحدة لن تُدخل إلى
أية منطقة (أنظمة أسلحة متقدمة حديثة التطوير من شأنها أن
تخلق مقدرة قتالية جديدة أو مقدرة أكبر جدا من ذي قبل)
لكن صدرت تأكيدات خاصة فيما يتعلق بأمدادات الأسلحة
الأمريكية لإسرائيل، وأخضعت القواعد المذكورة لشرط عدم
تطبيقها عندما (تضطر أقطار صديقة للولايات المتحدة إلى
الاعتماد على الأسلحة المتقدمة للتغلب على نقاط الضعف
الكمية وغيرها، وذلك من أجل الحفاظ على التوازن الأقليمي).

المراجع

Books and Pamphlets

- Abir, Mordechai *Oil, Power and Politics: Conflict in Arabia, The Red Sea and the Gulf*, London, Frank Cass, 1974.
- Adomeit, Hannes *Soviet Risk-Taking and Crisis Behaviour: from Confrontation to Coexistence*, London, International Institute for Strategic Studies, 1973.
- Bar-Zohar, Michael *The Armed Prophet: A Biography of Ben-Gurion*, London, Arthur Barker, 1967.
- Becker, Abraham *The Super Powers in the Arab-Israeli Conflict*, Santa Monica, Rand P 5167, 1973.
- Beling, Willard A. (ed.) *The Middle East: Quest for an American Policy*, New York, State University of New York Press, 1974.
- Bohlen, Charles *Witness to History, 1929-69*, London, Weidenfeld & Nicolson, 1973.
- Brandon, Henry *The Retreat of American Power*, London, Bodley Head, 1972.
- Bulloch, John *The Making of a War: The Middle East from 1967 to 1973*, London, Longman, 1974.
- Burdett, Winston *Encounter with the Middle East*, New York, Atheneum, 1969.
- Cable, James *Gunboat Diplomacy: Political Applications for Limited Naval Force*, London, Chatto & Windus, 1971.
- Carlton, David and Scharff, Carlo (eds.) *International Terrorism and World Security*, London, Croom Helm, 1975.
- Confino, Michael and Shamir, Shimon (eds.) *The USSR and the Middle East*, New York, John Wiley, 1973.
- Crosbie, Sylvia Kowitz *A Tacit Alliance: France and Israel from Suez to the Six Day War*, Princeton, N.J., Princeton University Press, 1974.
- Dayan, Moshe *Story of My Life*, London, Weidenfeld & Nicolson, 1976.
- Draper, Theodore *Israel and World Politics: Roots of the Third Arab-Israeli War*, London, Secker & Warburg, 1968.
- Eisenhower, Dwight D. *Waging Peace: 1956-61*, London, Heinemann, 1965.
- Evron, Yair *The Middle East: Nations, Super Powers and Wars*, London, Elek, 1973.

- Freedman, Robert O. *Soviet Policy towards the Middle East since 1970*, New York, Praeger, 1975.
- George, Alexander L. and Smokes, Richard *Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice*, New York, Columbia University Press, 1974.
- Glassman, Jon D. *Arms for the Arabs: The Soviet Union and War in the Middle East*, Baltimore, John Hopkins University Press, 1975.
- Golan, Galia *Yom Kippur and After*, Cambridge, Cambridge University Press, 1977.
- Golan, Matti *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step-by-Step Diplomacy in the Middle East*, Bantam, 1976.
- Griffith, William E. (ed.) *The World and the Great Power Triangles*, Cambridge, Mass., M.I.T. Press, 1975.
- Hammond, Paul Y. and Alexander, Sidney S. (eds.) *Political Dynamics in the Middle East*, New York, Elsevier, 1972.
- Helkal, Mohamed *The Road to Ramadan*, London, Collins, 1975.
- Herzog, Major-General Chaim, *The War of Atonement*, London, Weidenfeld & Nicolson, 1975.
- Howe, Jonathan Turnbull *Multicrisis: Seapower and Global Politics in the Missile Age*, Cambridge, Mass., M.I.T. Press, 1971.
- Hunter, Robert *The Soviet Dilemma in the Middle East*, Parts I and II, London, International Institute for Strategic Studies, 1969.
- Hurewitz, J.C. *Soviet-American Rivalry in the Middle East*, New York, Academy of Political Science, 1969.
- International Institute for Strategic Studies, *Conflict in Africa*, London, 1972.
- International Institute for Strategic Studies, *Strategic Survey*.
- International Institute for Strategic Studies, *The Military Balance*.
- International Institute for Strategic Studies, *The Middle East and the International System: I The Impact of the 1973 War, II Security and the Energy Crisis*, 1975.
- Ismael, Tareq Y. *The Middle East in World Politics*, Syracuse, Syracuse University Press, 1974.
- Johnson, Lyndon Baines *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963-69*, New York, Holt, Rinehart & Winston, 1971.
- Jukes, Geoffrey *The Indian Ocean in Soviet Naval Policy*, London, International Institute for Strategic Studies, 1972.
- Kalb, Marvin and Bernard *Kissinger*, London, Hutchinson, 1974.
- Kohler, Foy, Goure, Leon and Harvey, Mose L. *The Soviet Union and the October 1973 Middle East War*, Miami, University of Miami, 1974.
- Laqueur, Walter *Confrontation: The Middle East and World Politics*,

- London, Abacus, 1974.
- Laqueur, Walter *The Road to War*, London, Weidenfeld & Nicolson, 1968.
- Lederer, Ivo and Vucinich, Wayne S. (eds.) *The Soviet Union and the Middle East: The Post World War II Era*, Stanford, Hoover Institution Press, 1974.
- Lenczowski, George *Soviet Advances in the Middle East*, Washington DC, American Enterprise Institute, 1971.
- Luttwak, Edward *The Political Uses of Seapower*, Baltimore, John Hopkins University Press, 1975.
- McClintock, Robert *The Meaning of Limited War*, Boston, Houghton Mifflin, 1967.
- McGwire, Michael *Soviet Naval Developments: Capabilities and Contexts*, New York, Praeger, 1973.
- McGwire, Michael, Booth, Ken and McDonnell, John (eds.) *Soviet Naval Policy: Objectives and Constraints*, New York, Praeger, 1975.
- Mackintosh, J.M. *Strategy and Tactics of Soviet Foreign Policy*, London, Oxford University Press, 1962.
- McLaurin, R.D. *The Middle East in Soviet Policy*, Lexington, Lexington Books, 1975.
- Macmillan, Harold *Riding the Storm, 1956-59*, London, Macmillan, 1971.
- Maull, Hanns *Oil and Influence: The Oil Weapon Examined*, London, International Institute for Strategic Studies, 1975.
- Murphy, Robert *Diplomat Among Warriors*, London, Collins, 1964.
- O'Ballance, Edgar *The Electronic War in the Middle East*, London, Faber, 1974.
- Peres, Shimon *David's Sling: The Arming of Israel*, London, Weidenfeld & Nicolson, 1970.
- Pranger, Robert J. *American Policy for Peace in the Middle East, 1969-71: Problems of Principle, Manoeuvre, and Time*, Washington, American Enterprise Institute, 1971.
- Ro'i, Yaacov *The USSR and Egypt in the Wake of Sadat's 'July Decision'*, Tel Aviv, Israel Press, 1974.
- Safran, Nadav *From War to War: The Arab-Israeli Confrontation, 1948-1967*, New York, Pegasus Books, 1969.
- Schiff, Zeev *October Earthquake: Yom Kippur 1973*, Tel Aviv, University Publishing Projects, 1974.
- Sella, Amnon *What will the Next War be Like*, Jerusalem, Hebrew University, 1975.
- Slonim, Shlomo *US-Israeli Relations, 1967-1973: A Study in the*

- Convergence and Divergence of Interests*, Jerusalem, Hebrew University, 1974.
- Stookey, Robert W. *America and the Arab States: An Uneasy Encounter*, New York, John Wiley, 1975.
- Sunday Times Insight Team *Insight on the Middle East War*, London, Deutsch, 1974.
- Sunday Times Insight Team *The Yom Kippur War*, London, Deutsch, 1975.
- SIPRI *The Arms Trade with the Third World*, Stockholm, Almqvist & Wiksell, 1971.
- SIPRI *Oil and Security*, Stockholm, Almqvist & Wiksell, 1974.
- Tahtinen, Dale R. *Arms in the Persian Gulf*, Washington, American Enterprise Institute, 1974.
- US Congress Hearings, Senate Committee on Foreign Relations, 'Early warning system in Sinai', 1975.
- US Congress House of Representatives Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on National Security Policy and Scientific Developments, 'The Indian Ocean: political and strategic future', 1971.
- US Congress House of Representatives Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on the Near East and South Asia, 'New perspectives on the Persian Gulf', 1973.
- US Congress House of Representatives Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on the Near East and South Asia, 'The Persian Gulf 1974: money, politics, arms and power', 1974.
- US Congress House of Representatives Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on the Near East and South Asia, 'Proposed expansion of US military facilities in the Indian Ocean', 1974.
- US Congress House of Representatives Committee on Foreign Affairs, Subcommittees on Europe and the Near East, 'Soviet involvement in the Middle East and the Western response', 1971.
- Váli, Ferenc *The Turkish Straits and NATO*, Stanford, Hoover Institution Press, 1972.
- Wall, Patrick (ed.) *The Indian Ocean and the Threat to the West*, London, Stacey International, 1975.
- Weintal, Edward and Bartlett, Charles *Facing the Brink: An Intimate Study of Crisis Diplomacy*, New York, Scribner, 1967.
- Whetten, Lawrence L. *The Arab-Israeli Dispute: Great Power Behaviour*, London, International Institute for Strategic Studies, Winter 1976-7.
- Whetten, Lawrence L. *The Canal War: Four Power Conflict in the Middle East*, Cambridge, Mass., M.I.T. Press, 1974.

Articles

- Adomeit, Hannes 'Soviet policy in the Middle East: problems of analysis', *Soviet Studies*, April 1975.
- Ahmad, Eqbal and Caploe, David 'The logic of military intervention', *Race and Class*, Winter 1976.
- Bell, Coral 'Middle East: crisis management during detente', *International Affairs*, October 1974.
- Berry, John A. 'Oil and Soviet policy in the Middle East', *Middle East Journal*, Spring 1972.
- Binder, David 'Israel and the bomb', *Middle East International*, May 1976.
- Brecher, Michael 'Israel and the Rogers peace initiative', *Orbis*, Summer 1974.
- Burrell, R.M. 'Opportunity knocks for the Kremlin's drive east', *New Middle East*, July 1972.
- Burrell, R.M. 'Strategic aspects of the energy crisis', *Brassey's Annual*, 1974.
- Buzan, Barry 'The status and future of the Montreux Convention', *Survival*, November-December 1976.
- Campbell, John C. 'Middle East oil: American policy and superpower interaction', *Survival*, September-October 1973.
- Cline, Ray S. 'Policy without intelligence', *Foreign Policy*, Winter 1974-5.
- Cottrell, A.J. and Burrell, R.M. 'Soviet naval competition in the Indian Ocean', *Orbis*, Winter 1975.
- Cottrell, A.J. and Joshua, Wynford 'The US-Soviet strategic balance', *Brassey's Annual*, 1974.
- Daedalus*, special issue 'The oil crisis in perspective', Fall 1975.
- Dimant-Kass, Ilana 'The Soviet military and Soviet policy in the Middle East, 1970-73', *Soviet Studies*, October 1974.
- Draper, Theodore 'From 1967-1973: the Arab-Israeli Wars', *Commentary*, December 1973.
- Eran, Oded and Singer, Jerome 'Exodus from Egypt and the threat to the Kremlin leadership', *New Middle East*, November 1972.
- Golan, Gaila 'Soviet aims and the Middle East War', *Survival*, May-June 1974.
- Griffith, William E. 'The fourth Middle East War, the energy crisis and US policy', *Orbis*, Winter 1974.
- Heikal, Mohamed 'Soviet aims and Egypt', *Al Ahran*, 30 June 1972, reprinted *Survival*, September-October 1972.

- Hunter, Robert 'In the middle of the Middle East', *Foreign Policy*, Winter 1971-2.
- Ignatus, Miles (pseud.) 'Seizing Arab oil', *Harpers Magazine*, March 1975.
- Journal of Palestine Studies 'The military balance of power in the Middle East: an American view', Spring 1972.
- Kennedy, Edward 'The Persian Gulf: arms race or arms control', *Foreign Affairs*, October 1975.
- Kerr, Malcolm H. 'Nixon's second term: political prospects in the Middle East', *Journal of Palestine Studies*, Spring 1973.
- Klare, Michael 'Gunboat diplomacy, lightning war and the Nixon doctrine: US military strategy in the Arabian Gulf', *Race and Class*, Winter 1976.
- Klinghoffer, Arthur Jay 'Soviet oil politics and the Suez Canal', *World Today*, October 1975.
- Laqueur, Walter and Luttwak, Edward 'Kissinger and the Yom Kippur War', *Commentary*, September 1974.
- Lenzowski, George 'Egypt and the Soviet exodus', *Current History*, January 1973.
- McDermott, Anthony 'Sadat and the Soviet Union', *World Today*, September 1972.
- Mangold, Peter 'Force and Middle East oil: the post war record', *Round Table*, January 1976.
- Ofer, Gur 'The economic burden of Soviet involvement in the Middle East', *Soviet Studies*, January 1973.
- Oren, Stephen 'Syria's options', *World Today*, November 1974.
- Pajak, Robert F. 'Soviet arms and Egypt', *Survival*, July-August 1975.
- Pajak, Robert F. 'Soviet military aid to Iraq and Syria', *Strategic Review*, Winter 1976.
- Quandt, William B. 'The Middle East conflict in US strategy', *Journal of Palestine Studies*, Autumn 1971.
- Ra'anan, Uri 'The Soviet-Egyptian "rift"', *Commentary*, June 1976.
- Ramazani, Rouhollah K. 'Emerging patterns of regional relationships in Iran's foreign policy', *Orbis*, Winter 1975.
- Rostow, Eugene 'America, Europe and the Middle East', *Commentary*, February 1974.
- Rostow, Eugene 'The Middle East crisis in the perspective of world politics', *International Affairs*, April 1970.
- Rouleau, Eric 'Egypt from Nasser to Sadat', *Le Monde*, 9 August 1972, reprinted *Survival* November-December 1972.
- Russell, Jeremy 'Energy considerations in Comecon policies', *World Today*, February 1976.

- Safran, Nadav 'Engagement in the Middle East', *Foreign Affairs*, October 1974.
- Safran, Nadav 'How long will Sadat last? Moscow's not-so-secret wish', *New Middle East*, March-April 1972.
- Safran, Nadav 'The war and the future of the Arab-Israeli conflict', *Foreign Affairs*, January 1974.
- Schoenbaum, David 'Jordan: the forgotten crisis', *Foreign Policy*, Spring 1973.
- Sheehan, Edward R.F. 'How Kissinger did it: step-by-step diplomacy in the Middle East', *Foreign Policy*, Spring 1976.
- Slonim, Shlomo 'American-Egyptian rapprochement', *World Today*, February 1975.
- Smart, Ian 'The superpowers and the Middle East', *World Today*, January 1974.
- Tucker, Robert W. 'Oil: the issue of American intervention', *Commentary*, January 1975.
- Wright, Sir Denis 'The changed balance of power in the Persian Gulf', *Asian Affairs*, October 1973.
- Yodfat, A.Y. 'Arms and influence in Egypt: the record of Soviet military assistance since June 1967', *New Middle East*, July 1969.
- Zumwalt, Elmo R. 'The lessons for NATO of recent military experience', *Atlantic Community Quarterly*, Winter 1974-5.

الفهرس

- ١١ مقدمة الترجمة.
١٧ مقدمة
٣٠ حواشي المقدمة.

○ الفصل الأول

- ٣١ أهمية الشرق الأوسط.
٥٨ الحواشي.

○ الفصل الثاني

- ٧١ الممثلون العسكريون وغير العسكريين
٩٧ الحواشي.

○ الفصل الثالث

- ١٠٥ متطلبات السياسة العسكرية.
١٤٥ الحواشي.

○ الفصل الرابع

- النفط والقوة ١٦٥
الحواشي ٢٠٤

○ الفصل الخامس

- الخليج وشبه الجزيرة العربية ٢١٥
الحواشي ٢٤٧

○ الفصل السادس

- أزمات الاتجاه المحافظ في شرقي البحر الابيض
المتوسط ٢٦٣
الحواشي ٢٩١

○ الفصل السابع

- الالتزام المخرج ، الاتحاد السوفييتي والصراع
العربي الاسرائيلي ٣٠٥
الحواشي ٣٥٣

○ الفصل الثامن

- الأمن الاسرائيلي : المعضلة الامريكية ٣٧٧
الحواشي ٤١٤

○ الفصل التاسع

- أخطار المواجهة بين الدولتين العظميين ٤٣٥
الحواشي ٤٥٧

○ الفصل العاشر

- تكلفة السياسة العسكرية ٤٦١
الحواشي ٤٨٧

○ الفصل الحادي عشر

- خلاصات ومضامين ٤٩٧
الحواشي ٥٢٣
المراجع ٥٢٧

للمترجم

مترجمات :

- ١ — أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة
انجلز — دار الفارابي..... ١٩٥٨
- ٢ — التربية وبيكولوجيا الطفل
بوتر — كلية التربية ١٩٥٤
- ٣ — عمالة العلم
فيليب كين — وزارة الثقافة ١٩٦٢
- ٤ — طرائق تدريس الحساب
ريتر — المطبعة العمومية..... ١٩٥٥

٥ — وسائل الاعلام والتنمية القومية

شرام — وزارة الثقافة ١٩٦٩

٦ — مشكلات التربية المدرسية

مكارنكو — دار الفكر — الطبعة الثانية ١٩٨٣

٧ — فلاسفة القرن العشرين

مورتن وايت — وزارة الثقافة ١٩٧٥

٨ — الاعياء

ليونيد تيرسكو — وزارة الثقافة ١٩٧٠

٩ — النوبة القلبية

اليزابيت ويس — وزارة الثقافة (تحت الطبع) ... ١٩٨٥

مؤلفات :

١ — أصول التربية والتعليم

المطبعة العمومية بدمشق ١٩٥٦

٢ — كيف نعلم أطفالنا

مع آخرين — الطبعة الرابعة — دار دمشق ١٩٦٩

٣ — التربية وعلم النفس

المكتبة الأموية بدمشق — الطبعة الثانية ١٩٦٠

٤ — طرائق تدريس اللغة العربية

مع آخرين — وزارة التربية ١٩٦٩

٥ — القراءة

للمبتدئين على الطريقة الجمالية —

مع آخرين وزارة التربية ١٩٦٩



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Publication... ..

هذا الكتاب

يروى هذا الكتاب قصة أحداث الشرق الأوسط في الفترة الممتدة من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٧٥ .

العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ ، التطورات في اليمن ١٩٥٦ ، الأزمة السورية ، تهديد جاراتها بالعدوان عليها ١٩٥٧ ، نزول القوات الأمريكية في بيروت في عهد شمعون ١٩٥٨ ، حرب حزيران ١٩٦٧ ، الأزمة السورية الأردنية ١٩٧٠ ، حرب تشرين ١٩٧٣ .

يعرضها المؤلف من زاوية التدخل العسكري من جانب الدولتين العظميين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية في إطار دراسة اسباب هذا التدخل ومدى نجاحه ، والعوامل التي كانت تقيد الدولتين .